الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني للشيخ علي رضا بناهيان

ابدّ أن نحصل على رؤية تجاه النظام القائم فى معارف ديننا وإرشاداته

يحتاج الإنسان بين الحين والآخر أن ينظم ويرتّب ذهنه، كما هو الحال فى أجهزة الحاسوب حيث نحتاج تارة إلى تعديل ملفاته ومسح بعضها وإعادة تنسيقها وتبويبها. فإذا لم نقم بتنظيم وفهرسة معلومات الجهاز بشكل صحيح، لن نقدر على استخدامها بالشكل المطلوب بطبيعة الحال. وهذا ما يحدث فى ذهن الإنسان أيضا؛ حيث إننا نعرف الكثير من المعارف والإرشادات الدينية ولكن ينبغى أن ننظمها فى الذهن.

إنّ تبعثر المعلومات فى الذهن يسبّب الضياع ويمنعنا من الوصول إلى أىّ هدف مطلوب. فأحد أهدافنا فى هذه السلسلة من الجلسات هى أن نبحث عن خيط يلمّ خرز الفضائل والإرشادات والمعارف الدينية فى سبحة واحدة. فلولا هذا الخيط لانفرطت خرز هذه السبحة. فلابدّ أن نحصل على رؤية تجاه النظام القائم فى معارف ديننا وإرشاداته.

إن تنظيم المعارف الدينية حول محور رئيس واحد، يمكننا من صرف طاقتنا بشكل صحيح، وأن لا نفرط بإمكاناتنا

فإذا استطعنا أن ننظّم جميعَ الإرشادات الدينيّة حول محور رئيسىّ واحد، عند ذلک سوف نعرف فى ماذا نصبّ کل طاقتنا. وحينئذ سوف لا نفرّط بوقتنا وإمکاناتنا وسوف نعرف ما يجب الحفاظ عليه ولا شک فى أن مثل هذه المراقبة تثمر وتصيب الهدف.

إن کثيرا من المعارف الدينية ولا سيّما المعارف الأخلاقية مبعثرة وغير منظّمة لدى هواتها کما أن أکثر الکتب الأخلاقيّة والمعنويّة لا تعالج هذا التبعثر وأحيانا تزيد فى تناثرها وبعثرتها. إن کثيرا من الکتب الأخلاقية تسطّر مجموعة من الفضائل والرذائل الأخلاقية معا بيد أنها لا توضح العلاقة القائمة بينها بشکل دقيق.

بسبب عدم انسجام المعارف الأخلاقية لدى هواة هذه الأبحاث، لا يدرى من أية فضيلة لابدّ أن ننطلق إلى تحصيل الفضائل./ تبعثر المعارف الدينية أحد الدواعى للابتعاد عن الدين

کما أنه بسبب عدم انسجام المعارف الأخلاقية لدى أذهان هواتها، لا يدرى فى کثير من الأحيان من أية فضيلة لابدّ أن ننطلق إلى تحصيل الفضائل. وهذا ما يسبب أزمة لدى الإنسان ويجعله فى حيرة من أمره. بينما نجد فى معارفنا

الدينية نظاما تتناسق فيه جميع المعارف، بيد أن عدم إدراک هـذا النظـام جعلنـا نتعامل مع هذه المعارف بضعف أو نعتبر العمل بهـذه الأحكـام والمعـارف أشـبه بالمستحيل.

إن أحد أسباب ابتعاد البعض عـن الـدين هـو هـذا التبعـثر وعـدم التناسـق الـذى شاهدوه فى المعارف الإسلامية.

ومن جانب آخر إنّ فهم النظام القائم فى المعارف الدينيـة يبـدو ضـروريا علـى مـن هـم بصـدد النّشـاط الثقـافى حـتى لا يتحيّـرون فـى أمرهـم عنـد تشـخيص الأولويات وتحديد ما يجب تناوله قبل أى موضوع آخر.

إن تنسيق معلوماتنا الدّينيّة فى نظام واحد يزيدنا شوقا واندفاعا فـى حركتنـا، ويمكّننـا مـن مراقبة أنفسنا، كما أنه يضمن النتيجة لمراقباتنا

الكلام الأوّل الذى نقف عنده كضرورة هو أننا بصدد تنسـيق معارفنـا ومعلوماتنـا الدينية. فإن هـذا التنسـيق يعالـج مشـكلتنا فـى تحديـد الأهـداف ويزيـدنا شـوقا واندفاعا فى حركتنا. كما أن هذا النظام يقوينا على مراقبة النفس ويجعـل هـذه المراقبات مثمرة صائبة.

لابدّ لنا من هذا النظام فى سبيل تقييم أنفسنا

إن بعض ما يسببه هذا التشتّت والتبعثر فى المعارف هو أن بعض النـاس أنـاس صالحون بيد أنهم فـى جهـل مـن محاسـن وجـودهم، وفـى المقابـل تـرى بعـض الناس سيئين ولكن يعتبرون أنفسهم صالحين، وهذا ما هو ناتج من عدم انتظـام المعارف فى أذهان الناس. فنحن بحاجة إلى هذا النظام حتى فـى سـبيل تقييـم أنفسنا.

إن فهم هذا النظام ضرورى حتى أثناء مناجاتنا مع الله/ فيا تـرى مـن أى نقـص نتـوب إلـى الله؟

إن فهم هذا النظام ضرورى حـتى أثنـاء مناجاتنـا مـع اللـه، إذ أثنـاء مـا يسـتغفر الإنسان ويناجى ربه، لابدّ أن يعرف النقص والتقصير الذى ينبغـى أن يتـوب منـه إلى الله. ينبغى للإنسان أن يعرف مرضه كى يبحث عن الدواء ببصيرة وروية.

إن جهاد النفس هو ذاك الخيط الرابط بين خرز الفضائل كلّها/ إن خط العمـل فـى ديننـا هـو جهاد النفس

لقد استخدم نبينا الأعظم(ص) عبارة لجهاد النفس بودّى أن أستخدمها فى مقام التعريف بموضوع بحثنا. إن الجهاد فـى سـبيل اللـه مـن أهـمّ الأعمـال وأروعهـا

وواحدة من النتائج التى قد يصل إليها الإنسان أثناء الجهاد هى الشهادة فى سبيل الله وما تشتمل عليه من أجواء الحبّ والعشق. ولكن أثناء ما كان يرجع الرسول الأعظم(ص) من مثل هذا الجهاد، عبّر عن الجهاد وما ينطوى عليه من شهادة وتضحية وفداء بالجهاد الأصغر ثم حرّض المسلمين بالخوض فى الجهاد الأكبر. إذن موضوع كلامنا فى هذه الأبحاث هو «جهاد النفس» الذى أعتبره الخيط الرابط بين خرز الفضائل برمّتها. هذه هى الاستراتيجية الرئيسة فى التربية الدينية وسوف نتناولها بالبحث والنقاش وندرس ماهيتها وكيفيتها بالتفصيل إن شاء الله.

إن مدى قيمة كل امرء هو بمقدار اهتمامه بجهاد النفس/ مدى تلوّث الإنسان مرتبط بمقدار أخطائه فى عملية جهاد النفس

إن الموضوع الرئيس فى التربية الدينية هو جهاد النفس؛ لا مواضيع أخرى كالحسد والتكبر والخمول والحرص والحسرة والصدق والرأفة وغيرها من فضائل ورذائل. طبعا من المؤكد أن قد تبادرت فى أذهانكم بعض الأسئلة والاستفسارات عن سبب هذا التحديد. فلعلكم تسألون إذن ما هو شأن الولاية مع ما تشتمل عليه من أهيمة بالغة؟ ولماذا لم نستبدل جهاد النفس بالعبادة ولم نقل أن هذا الخيط يتمثل بالعبادة؟

فسوف نبحث ذلک فی جلسات طویلة ونشیر إلی موقع کل من العبادة والولایة وبعض الفضائل المهمة فی المنظومة الدینیة. ولکن إن خط العمل فی التربیة الدینیة هو محاربة الأمیال النفسانیة. إن مدی قیمة کل امرء هو بمقدار اهتمامه بجهاد النفس. وفی المقابل یرتبط مدی تلوّثه بالذنوب والرذائل بمقدار أخطائه فی عملیة جهاد النفس. هذا هو المعیار المهم فی تقییم الناس فلا یمکن تقییمهم من خلال مدی صدقهم وکذبهم ومدی تواضعهم وکبرهم وحسب، بل یتمّ ذلک من خلال میزان جهاده أو تبعیته لنفسه. فإن فشل أحد فی عملیة جهاد النفس، سوف یظهر فشله فی ظهور بعض الرذائل کالحسد والکبر والحرص وغیرها. وإذا نجح الإنسان فی عملیة جهاد النفس، سوف یظهر بعض هذا النجاح فی التزامه بأوقات الصلاة ویظهر بعضه فی أخلاقه الطیبة مع الآخرین، وهکذا یظهر فی باقی الفضائل والمحاسن.

ما هی العلاقة بین شهر رمضان وموضوع جهاد النفس؟

بإمکاننا أن نتحدث عدة جلسات لنبیّن ما هی العلاقة بین شهر رمضان وموضوع جهاد النفس، وهل من المناسب أن نطرح هذا الموضوع فی هذا الشهر أم لا؟ ولکنی أکتفی بنقل کلمة للإمام الخمینی(ره) حیث إنکم تودّونه وتعتقدون به وأعفیکم عن استماع عدة جلسات فی سبیل إثبات شدة الترابط بین موضوع جهاد النفس وشهر رمضان.

لقد قال الإمام الخمينى(ره): «كلكم ضيوف الله، والضيافة بالترک. فإن كانت فى الإنسان ذرة من هوى النفس، فهو لم يدخل فى هذه الضيافة وإن دخلها فلم يستفد من هذه الضيافة.» ثم أضيفوا كلام الإمام هذا إلى حكمة النبى سليمان بن داوود (ع) حيث قال: «إِنَّ الْغَالِبَ لِهَوَاهُ أَشَدُّ مِنَ الَّذِى يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ وَحْدَه».[مجموعة ورام/ ج 1/ ص 60] فاعرف أنت مدى صعوبة الطريق أمامنا. ولا شک بأننا لا نريد أن نحرم من بركات هذا الشهر.

ثم يضيف الإمام ويقول: «كل هذه الجعجعة التى تشاهدونها فى العالم فهى لعدم انتفاع الناس بهذه الضيافة، وعدم دخولهم فى هذه الضيافة، وعدم تلبيتهم لدعوة الله»

القواسم المشتركة بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر:

1. النورانية والأجواء المعنوية/ فى أجواء الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش نفس تلک الأجواء المعنوية والروحانية التى كان يعيشها المجاهدون فى أيام الدفاع المقدس

نفس الأجواء الممتعة والجميلة التى يعيش ها المجاهدون فى الجهاد الأصغر، يمكن أن نعيشها فى الجهاد الأكبر وفى خضمّ محاربة النفس. حتى أن الصفاء والجمال الذى يشتمل عليه أجواء الجهاد الأكبر هى أكبر وألصق بالفؤاد من

أجواء الجهاد الأصغر. نحن نستطيع فى أجواء الجهاد الأكبر أن نعيش نفس تلـك الأجـواء المعنويـة والروحانيـة الـتى كـان يعيشـها المجاهـدون فـى أيـام الـدفاع المقدس. حتى أن فى خضم الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش أجواء أكثر معنويــة ونورانية. وأنتم تعلمون أن الإمام الخمينى(ره) هذا الرجل العظيـم الـذى قـامت هذه الثورة المباركة والعظيمة على أكتافه وببركة وجوده، وتربّى آلاف الشـهداء تحت ظله، إنما كان بطلا فى ساحة الجهاد الأكبر.

وأنا أتألم عندما أرى بعـض الإخـوة مـن المجاهـدين يتحـدثون بتحسـر عـن أيـام الجبهة ومعنوياتها وروحانياتها وكأنه ذهبت تلك الأيام ولا فرصة بعـد لهـذا الجيـل حتى يعيش الروحانية والأجواء المعنوية. فهذا كلام باطل من أسره؛ إذ لـم يمنـع الله نعمه عن عباده ولا يظلـم أحـدا بـل يضـاعف نعمـه علـى عبـاده. فـإن هـذه الفرصة التى أعطاها الله للجميع فى ساحة الجهاد الأكبر أثمن بكثير من فرصــة الجهاد الأصغر.

فى أجواء الجهاد الأصغر كنا نشعر بمحبة الله ولطفه بعد ما كنا نضـحى بأنفسـنا وأموالنا، أما فى الجهاد الأكبر وبعد ما نضحى بأميالنا وأهوائنا، نشعر بمزيـد مـن رضا الله ولطفه ونكسب نورا أقوى من النـور الـذى نكسـبه فـى أجـواء الجهـاد الأصغر.

2. الشعور بخطر العدو/ لابد من رصد العدو فى الجهاد الأكبر كما هو الحال فى الجهاد الأصغر، لكى تتمكن من مراقبة نفسك وتستعين بربك

القاسم المشترک الآخر بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر هو تواجد العدو، والخطر الذى يهددنا من جانبه. فعندما تشعر بوجود العدو فى الجهاد الأصغر وتلتفت إلى الخطر الذى يهددک من جانبه، تلتجأ إلى الله وتشعر بالروحانية والمعنوية حينئذ. وكذلک الحال فى الجهاد الأكبر حيث لابد لک أن ترى العدو فيه کى تتمكن من مراقبة نفسک وتستعين بربک. فقد قال رسول الله(ص): «أَعْدَى عَدُوِّکَ نَفْسُکَ الَّتِى بَيْنَ جَنْبَيْک»[عدة الداعى/ص 314]. وفى المقابل إن العدو الخارجى فى الجهاد الأكبر وهو الشيطان الرجيم يبدو ضعيفا من خلال آيات القرآن؛ (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعيفاً)[نساء/76] ولكن لابدّ من أخذه على مأخذ الجدّ.

3. صعوبة العمل والحاجة إلى الشجاعة/ إن الشجاعة التى يحتاجها الإنسان فى الجهاد الأكبر أكثر من الشجاعة التى يحتاجها فى الجهاد الأصغر

كلا الجهادين الأكبر والأصغر هى من الأعمال الشاقة والتى تحتاج إلى شجاعة. وأقسم بالله إن الشجاعة التى يحتاجها الإنسان فى الجهاد الأكبر أكثر من الشجاعة التى يحتاجها فى الجهاد الأصغر. إن خوف فقدان «اللذة» وخوف

فقدان «الجاه والسمعة» وخوف فقدان «الفرصة»، يترک أثره السلبیّ علی شجاعة الإنسان وهذه هی من مصاعب الجهاد الأکبر. إنه لجهاد أکبر حقا.

وأولئک الذین خاضوا فی ساحة الجهاد الأکبر ونجحوا فی هذا المیدان، ینظرون إلی ساحة الجهاد الأصغر کما ننظر نحن إلی المقبلات فلا نهتمّ بالمقبلات کما نهتمّ بالطعام الرئیسی فی المائدة. وکذلک حال الإنسان المحترف فی ساحة الجهاد الأکبر، فإنه بکل سهولة ینزل إلی میدان الجهاد الأصغر ولا یبالی.

ینقل عن الإمام الخمینی(ره) أنه ارتقی المنبر فی أیّام شبابه وألقی محاضرة جیّدة. فاستحسن الحضور محاضرته ومدحوه. بعد ذلک امتنع الإمام عن إلقاء المحاضرات لمدّة أربع سنین عقابا لنفسه بعد أن وجدها طربت لمدح الآخرین وانتعشت لثنائهم. بینما نحن إن نحصل علی مثل هذا المدح نزداد اندفاعا ونعتبره علامة النجاح والتوفیق فی العمل. فانظر مدی الفارق الکبیر بین الإمام وبیننا. طیب لماذا ینبغی أن نخالف نفوسنا بهذه الشدة؟ فهذا ما سوف نتناوله فی الأبحاث القادمة إن شاء الله.

4. عشق الله وحبّ الآخرة/ إن الاهتمام بالله وبالآخرة فى الجهاد الأكـبر أكثر من الجهاد الأصغر

لقد قال الإمام الخمينى(ره) أن القوات التعبئة هى مدرسة العشـق وكـان يؤكـد سماحته على عشق الله وحبّه فى موسم الجهاد الأصغر وأيّام الدفاع المقـدس. ولكن يزداد هذا الاهتمام بالله وبالآخرة فى الجهاد الأكبر. فالذى كان يعشق ربـه فى الجهاد الأصغر ويبكـى مـن فراقـه ويناجى اللـه شـوقا إلـى لقـائه، سـيزداد شعورا بهذا الحب والعشق فى خضم الجهاد الأكبر.

لقد روى عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَـلَّ: وَ عِزَّتِـى وَ جَلَالِـى وَ عَظَمَتِى وَ بَهَائِى وَ عُلُوِّ ارْتِفَاعِى لَايُؤْثِرُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ هَوَایَ عَلى هَوَاهُ فِى شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلْتُ غِنَاهُ فِى نَفْسِهِ، وَ هِمَّتَهُ فِى آخِرَتِهِ و و ضَـمَّنتُ السَّـماواتِ و الأرضَ رِزقَهُ، و كُنتُ لَهُ مِن وَراءِ تِجارَةِ كُلِّ تـاجِرٍ»[الكـافى/ج 2/ ص 137] وقـد رويت هذه الرواية بتعابير مشابهة عن غيره من أئمة أهل البيت(ع).

ولا يخفى عليكم بأنى قضيت ثلاثين سنة من عمرى فى دراسة القضايا الأخلاقية وبودى أن أقدم لكم تقريرا عن نتيجة ما حصلت عليه فى هـذه السـنين الثلاثيـن فى ثلاثين ليلة فى شهر رمضان هذا. ولكنى أعترف أمامكم بأنى لـم أفهـم هـذا

الحديث إلى الآن وكلما قرأته طوال هذه السنين الطويلة شعرت بأنى لم أفهم مغزى هذا الحديث جيدا.

والعجيب هو أن الشرط فى كسب هذه البركات هو أن يؤثر الإنسان هوى الله على هواه فى أمر واحد وقضية واحدة لا فى حياته كلّها؛ «فِى شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا». ومعنى هذا الحديث هو أنّ كلّ الأعمال الصالحة التى قمنا بها واعتبرناها من مصاديق جهاد النفس وإيثار هوى الله على هوى نفسنا فهى ليست كذلك ولا قيمة لها بحيث تؤول إلى تلك النتيجة المباركة المذكورة فى الرواية.

فيبدو ـ والله العالم ـ أننا انتقينا الأعمال الصالحة التى تنسجم مع أهوائنا وقمنا بها، فلم نؤثر هوى الله على هوى نفسنا بالشكل الصحيح حتى لمرة واحدة.

سوف نتناول هذا الموضوع فى الجلسات القادمة إن شاء الله وهو أن لماذا نحن بأمس الحاجة إلى محبة أهل البيت. طبعا أنا فى الليلة الأخيرة وبعد ما وقفنا عند الموضوع ساعات طوال، سوف أقول لكم كلمة بودى أن أقولها فى هذه الليلة الأولى. وهو أن ليس شىء يعين الإنسان على غلبة هواه بقدر حبّ أهل البيت(ع). فإن هذا العامل أقوى العوامل وأجدرها بنصرك على نفسك. وسوف نلتقى غدا يوم القيامة بالتأكيد ونرى صحة ما قلته لكم.

صلى الله عليك يا فاطمة الزهراء

ولكن اسمحوا لى أن أقول لكم أن فى تلك اللحظات التى كان الشباب يقلعون فيها من كل التعلقات والأواصر عشقا بالشهادة ولقاء الله، كانوا ينطلقون بعدما يسمعون مصائب الزهراء(س) فكانوا يذهبون نصرة للزهراء وانتقاما من أعدائها.

فإنک فى تلک اللحظات التى تتدرب فيها على حبّ أهل البيت(ع) وتحاول أن تزداد حبّا لهم، تكسب اللياقة والكفاءة اللازمة لاستلام نصرتهم ومعونتهم عند الحملة فى الجهاد الأكبر، كما كان المجهادون يستعدون للحملات بذكر أهل البيت(ع(.

وأولئک الذين عاشوا أيام البجهة وأيام الدفاع المقدس يعرفون جيدا أن ليس أحد من المعصومين قد نصر المجاهدين بقدر فاطمة الزهراء(س). فلنستفتح حملتنا ضد أهواء النفس فى أول ليلة من شهر رمضان بذكر الزهراء(س)

غربة مفهوم «الجهاد الأكبر» فى معرفة الإنسان/ لا فائدة لمعرفة الإنسان واختياره بدون «الجهاد الأكبر»

فى مقام الإجابة عن سؤال «ما الفرق بين الإنسان والحيوان؟» عادة ما تسلّط الأضواء على كون الإنسان يشتمل على العقل والمعرفة والإرادة والاختيار دون الحيوان. أما السؤال الأهم هو أنّ ما الفائدة من هذه الخصائص كالإرادة والاختيار والمعرفة التى تميّز بها الإنسان عن «الحيوان» و «المَلَک» وتفضّل عليهما؟ ولماذا حظينا بالمعرفة والإرادة والاختيار؟

إن «المعرفة» و«الإرادة» من المفاهيم المشهورة جدا فى حياة الإنسان. ولكن هناک مفهوم آخر مهمّش وغريب، ولولاه لم تبق فائدة للمعرفة والاختيار وهو «الجهاد الأكبر»

إن الجهاد الأكبر مفهوم غريب وعادة ما يهمّش فى معرفة الإنسان وتعريفه. فيا ترى لماذا حظينا بالإرادة والاختيار وما ينبغى أن نختار بها؟ فهل أن موقعنا سواء بالنسبة إلى مختلف الخيارات؟ ولماذا يحظى اختيار الإنسان بقيمة وثمن؟ وهل عملية اختيار الإنسان أمر تابع للصدفة؟

إن قيمة اختيار الإنسان تابعة لاختياره ما يكره، وإلا فلا يفرق حينئذ عن اختيار الحيوان

إن لم تؤخذ نزعات الإنسان بعين الاعتبار، يصبح «حرية اختيار» الإنسان مفهوما مضحكا لا معنى له. فإن نزعات الإنسان ورغباته هى التى تحدد نسبة الإنسان

تجاه مختلف خياراته، ولن يكون اختيار الإنسان قيّما إلا إذا اختار ما يكره ومـا لا يحبّ، وإلا فلا فرق حينئذ بين اختياره وبين اختيار الحيوان.

الإنسان موجود خلق من أجل مجاهدة أهوائه

الإنسان موجـود خلـق مـن أجـل مجاهـدة أهـوائه، وإلا فتبقـى مـواهب الإنسـان كاختياره وحريته ومعرفته مواهب بلا فائدة. إن هويـة الإنسـان وذاتـه والأسـاس فى تعريفه هو أن يجاهد رغباته وأهواءه. وأنا لا أدرى لماذا لا يؤخذ جهاد النفـس فى مقام تعريف الإنسان وبيان أحد مقوّمات ذات الإنسان.

إنّ مصـداقية معرفـة الإنسـان واختيـاره لا تكـون إلا بعـد أن كـان الإنسـان يميـل إلـى كلا الطرفين من خياراته

لو لم يكن لدى الإنسان ميل إلى أىّ مفـردة مـن الخيـارات الممكنـة، لمـا بقـت مصداقية لاختياره وحريّته. فهو عندئذ كالخروف إذا خيّرته بين مفهومى السعادة والشقاء لا يميل إلى أى واحد مـن خيـاراته. ولـو كـان الإنسـان يميـل إلـى أحـد أطـراف الخيـارات، دون الخيـار المقابـل، لجـرى نفـس الكلام أيضـا فـى انتفـاء الاختيار عن الإنسان. وسوف يكون شأنه كشأن الخروف أيضـا فإنـک أن خيّرتـه بين أكل العشب أو أكل الحديد لن يختار الحديد أبدا بـل يختـار العشـب دون أى ترديد. فلا تكون مصداقيّة لمعرفة الإنسان واختياره إلا بعد أن كان الإنسان يميل

إلى كلا الطرفين من خياراته. وفى مثل هذا الاختيار تتبلور كرامة الإنسان. ففى الواقع إن الإنسان عادة ما يختار خياره المفضّل من بين مجموعة مـن الرغـائب والمطلوبات.

السؤال الآخر هو أن كيف يجب أن تكون نسبة هذه الأميال والرغائب مـع بعـض لكى يتحقق الاختيار ويكون ذا قيمة؟ فإذا كانت هذه الرغائب والأميال المختلفـة تستهوينا وتجرّنا إلى نفسها بشكل مساوٍ بلا أن يكون أحدهم أقـوى جذابيـة مـن غيره، تبقى المشكلة على حالها ولم يتحقـق الاختيـار ويبقـى الإنسـان بلا فـارق يفرقه عن الحيوان. كما إذا كان ميلنا إلى أحد أطراف الرغائب أكثر مـن غيـره، سنختاره دائما بطبيعة الحال وسينتفى الاختيار كذلك.

إن أطروحة الله سبحانه و تعالى لتحقق اختيار الإنسان هو جعل «الرغائب القيّمـة الخفيّـة» فى مقابل «الرغائب غير القيّمة الظّاهرة»

لقد أعدّ الله سبحانه وتعالى نظاما لطيفا جدا لتحقق اختيار الإنسان، وهو أن قد جعل للإنسان نوعين من الرغائب، قسم منها أعمق وأمتـن وأقـوى وأكـثر قيمـة ولكنها أخفى، وقسم آخر سطحيّة وأقـل قيمـة وأخـفّ وأقـلّ لـذة ولكنّهـا أجلـى وأوضـح. وهنـا يتبلـور الاختيـار وهـو أن تمـرّ مـرور الكـرام مـن رغباتـك الجليّـة السطحية وتشتغل برغباتك العميقة والقيّمة الكامنة. وهـذه هـى نقطـة انطلاق

الإنسان فى حركته الإنسانيّة وهنا تتبلور هويته الإنسانية وأساسا هذه هى فلسفة وجود الإنسان.

«هوى النّفس» هى رغبات الإنسان السطحية والدانية

لا يتحقق الاختيار إلا فى هذه الحالة وهى أن يغضّ الإنسان طرفه عن إحدى رغباته الدانية والمجرّبة والملموسة والسطحيّة، ثم يركن إلى إحدى رغباته العميقة. فإن هذه الرغائب الدانية والسطحية هى ما يسمّى بهوى النفس.

إن فلسفة خلقك كإنسان هى أن تختار من بين هاتين الرغبتين. إن هاتين الرغبتين ليست سواء وإلا لبقيتَ متحيرا بينهما. ثم إنها رغبتان وليست رغبة واحدة، وإلا لما كان للاختيار قيمة وثمن. ثم إن إحداهما أثقل وألصق بالفؤاد، فهى تأمّن عشقك وما تهواه، وتبعث فى قلبك هيجانا وحماسا، ثم تمتعك بلذة أمتع، وتنفعك بمصلحة أكبر، كما أنها تهديك إلى رشدك وتشعر بالسعادة فى أجوائها، ولكنها خفيّة كامنة، بل تهلك حتى تكشف هذه العلائق الكامنة. وفى مقابل هذه الرغبة هناك رغبة لا قيمة لها وسطحية، تجدها فى نفسك بسرعة وتستطيع أن تجربها أو تعيشها بأسرع ما يكون.

لقد خلق الإنسان لهذا الأمر وحسب. ومن أجله أعطى المعرفة ومن أجله منح الاختيار ومن أجله حظى بالإرادة ومن أجله أعطى الحريّة. هذا هو معنى

الإنسان الذى يشتمل على نوعين مـن الرغبـات؛ الرغبـات الدانيـة وهـى «هـوى النفس»، والرغبات العالية وهى «النزعات الفطرية».

لقـد قـال الإمـام الخمينـى(ره) فـى خصـوص التجـافى عـن العلائـق السـطحيّة والركون إلى العلائق العميقة: «**كل شىء منّا وراجع إلينـا وهـو رد فعـل لنا. لابد أن ننتبه جميعا إلى أن آفة الإنسان هى هوى نفسـه، وهـى موجودة فى الجميع ومستقاة من فطرة التوحيد، حيث إن الفطــرة هى فطرة التوحيد وفطرة الميل إلى الكمال. فإن الإنسـان يطلـب الكمال المطلق وهو لا يدرى. يزعم أنه يطلـب الجـاه ولكـن بعـد أن وصل إليه يشعر بأنه ليس ذاک الأمر الذى يطلبه. فلو جمعوا العالم بأسره وأعطوه للإنسان لن يقنع. تلاحظون أن القوى التى تحظــى بقوة عالية هم أكثر طلبا لها، وأكثر سعيا لتنمية قدرتهم. فإنهم لو سيطروا على الفضاء والبحار والأرض والسماء لن يقنعوا. فإن لــم يسيطر الإنسان على نفسه، سوف يقضى عليه جموحه الذى لا حـدّ له. لابدّ من صدّ هـذا الجمـوح والسـيطرة علـى النفـس... والأهـواء النفسانية التى هى مصدر كل أنواع هذا الفساد». [صحيفه امــام/ج 19/ص 376]**

ناجو ربكم ـ أعزائى ـ فى جوف الليل ولتكن مناجاتكم بتفكّـر؛**(يَتَفَكَّرُونَ فـى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْض).** إن بعض المؤمنين ليسوا من أهل التفكر، بل قد اكتفوا بالتمتع بمناجاة ربّهم وهذه ليست بحالة جيـدة أبـدا. أنـا لا أريـد أن أتكلـم بكلمة جارحة لبعض الإخوة المتدينين الذين قد يعيشون أجواء روحانيـة ومعنويـة فى عباداتهم ولكنهم لم يتعودوا على التفكّر.

قد يتبادر فى ذهن بعض الإخوة أن أين تناسب هذه الأبحاث النظرية الفكرية مـع ليالى شـهر رمضـان ولا سـيما أول ليلـة جمعـة مـن شـهر رمضـان ونحـن جئنـا لنستمع ما يعيننا على تجربة أجواء معنوية وروحية مع الله، فما هـذه الأبحـاث؟! فأقول لهم: حاولوا أن تبكوا وتسكبوا الدموع بهذه الأبحاث. فإن «أولى الألباب» الذين تتحدث عنهم الآية، هم**(يَتَفَكَّرُونَ فى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْض)** ثـم يخرجون بنتيجة رائعة بعد تفكّرهم هذا فيقولون: **(رَبَّنا ما خَلَقْتَ هـذا بـاطِلا سُبحانَک)** فإنك لم تخلق العالم باطلا ولم تخلقنا عبثا، بل خلقتنا لنجاهـد هوانـا ومن أجل هذا الجهاد قد أعطيتنا الاختيار والمعرفة وكرامة الإنسانية. ولولا ذلـک لكنّا كالبهائم، أو كنا كالملائكة لا نجاهد أنفسـنا. ثـم يقولـون: **(سُبْحانَکَ فَقِنـا عَذابَ النَّار) [آل عمران/191]** فيا له من طريق رائع يسلكونه بتفكرهم فى جوف الليل!

لقد خلق الإنسان لكي يتجافى عن رغباته السطحية

لقد خلق الإنسان لكى يتجافى عن رغباته السطحية. لابد أن نضع هـذه الرغبـات السطحية على جانب. فإن وراء هـذه الرغبـات السـطحية شـىء آخـر لابـدّ مـن كشفه. فعلى سبيل المثال قد تكون حاجتك السطحيّة هى أن تملك بيتا، بيـد أن الحاجة العميقـة الـتى وراءهـا هـى لقـاء اللـه. فلابـد مـن كشـف تلـك الرغبـات الكامنة. إن إنسانية الإنسـان بمجاهـدة هـذه العلائـق السـطحية، ولكـن لابـد أن تكون هـذه المجاهـدة ضـمن برنامـج صـحيح. فـإن أراد الإنسـان برنامجـا لجهـاد النفس، ندعوه إلى الإسلام فقد أعطى الإسلام هذا البرنامج.

التقيت ذات يوم فى بيتى بأحد أساتذة الجامعة الفرنسيين الذى كان أصـله مـن الجزائر وكان مديرا متقاعدا فى اليونسكو، فدار بيننـا حـديث إلـى أن قـال لـى: هل تعلم متى يـدخل الفرنسـيون فـى ديـن الإسـلام، ومـا هـو موسـم إسـلامهم هناك؟ فقلت له: لا أدرى. فقال: فى شهر رمضـان! ثـم ذكـر السـبب قـائلا: لأن فـى شـهر رمضـان يشـاهدون المسـلمين لا يشـربون ولا يـأكلون بـالرغم مـن عطشهم وجوعهم، فيستحسنون هذا الدين ويميلون إليه. فكأنهم يقولون بلسان حالهم: نريد أن ندخل فى هذا الدين كى لا نأكل كما تعتلـف البهـائم. فـإذا أكلنـا وشربنا ما طاب لنا كل حين، نشعر كأنما أصبحنا كالحيوانات. ونشـعر بأنـك أيهـا المسلم إنسان لأنك لا تأكل وتشرب كل ما طاب لك واشتهيتَه. فإن هذا الجهـاد

بحد ذاته هو من اللقطات الجميلة والرائعة فى العالم ولهذا استهوت الكثير مـن الفرنسيين غير المسلمين ودعتهم إلى الإسلام.

الأساليب المتعارفة فى كتابة القصص والروايات غير إنسانية

ولكـن فـى مقابـل هـذه الحقيقـة الجميلـة، تجـد أن قـالب القصـص والروايـات والأسلوب المتعارف فى كتابتها قائم على أسـاس مشـتهيات بطـل القصّـة، ثـم تكتب أحـداث القصّـة ومنعطفاتهـا ليـرى المشـاهد أو القـارئ مـتى يصـل بطـل القصّة إلى أمنيته ومراده، فهل سينال ما رامه أم سيرجع خائبا. فـإن مثـل هـذه القصّة تعيسة وغير إنسانية من أصلها، فكيف تريـد أن تجعلهـا قصـة إسـلامية؟! هل يمكن لهذه القصّة التى قامت أركانها على أهواء بطلها ومثابرته من أجل ما يهواه أن تصبح قصّة إسلامية إنسانيّة بمجرد تطعيمها ببعض المظاهر أو الأفعـال الإسلاميّة؟! وهل تصـبح هـذه القصّـة إسـلامية إذا صـحبناها بصـوت أذان أو قبّـة مسجد؟!

إذا تجافينا عـن الرغبـات الواضـحة وركنّـا إلـى العلائـق الخفيـة فقـد تحقـق بهـذا «الجهـاد الأكبر»

إنما يتحقق الاختيار عندما تكون بين خيـارين، أحـدهما أثمـن وأكـثر قيمـة ولكنـه أخفى من نظيره، والآخر أقل قيمة ولكنـه أجلـى وأوضـح مـن نظيـره. فإنـك إن

مررت مرور الكرام عن الرغبة الواضحة وصولا إلى الرغبة الخفيّة فقد حققت الجهاد الأكبر وجهاد النفس الذى هو خيط سبحة جميع الفضائل والمكارم. **يقول أمير المؤمنين(ع): «نِظَامُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى»(غررالحكم/حديث 32)** وقال فى مجال آخر: «**رَأْسُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى» (غررالحكم/حديث 35)**

وقد قال النبى الأعظم(ص) حول أبواب جهنم: «**...وَ عَلَى الْبَابِ الْخَامِسِ مَكْتُوب: لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَالْهَوَى مُجَانِبُ الْإِيمَان»(الروضة فى فضائل أميرالمؤمنين(ع)/ص 177)**

إن جهاد النفس أمر عسير

طبعا إن جهاد النفس أمر عسير. فقد جاء فى الحديث القدسى: «**يَمُوتُ النَّاسُ مَرَّةً وَ يَمُوتُ أَحَدُهُمْ فِى كُلِ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ مُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَ مُخَالَفَةِ هَوَاهُم» (ميزان الحكمة/الحديث 2916).**

كم مرة متّ اليوم؟! فإن قلت: كانت الأوضاع ماشية، فلم تمش الأوضاع على مرامک، بل كنت أنت تمشى على ما تهواه نفسک. أو لعلک كنت منسابا مع الدنيا وتيّاراتها. ولعلک تقول: لم أعثر اليوم على مواطن جهاد النفس، مع أنى لم أرتكب ذنبا ولم أترک واجبا... وهذا يعنى أنک لم تستطع أن تجد مواطن جهاد النفس من شدّة استئناسک بنفسک وأهوائک. فلابدّ أن تفتش عنها وتنقب بين

دفائن وجودک لتجدها، إذ لم تُظهر نفسُک الأمارة نفسَها دائما، فلابدّ من التنقيب عنها وكشفها. فهل زعمت أن أرباب جهاد النفس الذين يموتون فى اليوم الواحد سبعين مرّة، هم أناس ملوثون إلى هذا الحدّ حيث يشتهون الفجور والذنوب سبعين مرة فى اليوم؟! كلا! بل إنهم يبحثون عن خفايا أهوائهم ويحاربونها؛ تلك الأهواء التى استأنسنا بها نحن واعتدنا عليها وألفناها. بيد أنه يذهب مفتشا عنها غير منفكّ عن محاربتها.

خطة الله سبحانه فى تسهيل عملية جهاد النفس

ماذا يمكن أن يقوم به الله سبحانه لتسهيل عملية جهاد النفس علينا؟ لا بأس أن تتأملوا فى هذا الموضوع وسوف أطرح فى الجلسات القادمة بعض الأساليب التى يستخدمها الله تعالى لتعبيد طريق جهاد النفس لسالكيه.

ولكن أروع الطرق وأكثرها تأثيرا وكفاءة وألصقها بالفؤاد هو أن يُظهر لنا واحدة من تلک الرغبات الفطريّة الخفيّة ويفعّلها ثم يقول لنا: تنحّ عن رغباتک الدانية والرخيصة بحبّ هذا الحبيب الغالى الذى كان حبّه كامنا فى زمرة سائر رغباتک الفطرية الخفيّة. فلا سبيل فى هذا العالم إلا حبّ أولياء الله. ومع أن حبّ أولياء الله حبّ مشهود وظاهر، وتجد فى نفسک هذا الحبّ بكلّ وضوح، حيث تشعر بحرارتها فى حرم الإمام الرضا(ع) وعندما تزور الحسين(ع) لا تريد أن تخرج ويضيق صدرک شوقا عندما ترجع من كربلاء الحسين(ع).

سيدى يا أبا عبد الله! انظر إلى هوانا هذا حين نهواك، فإنه الحبّ والهوى الوحيد الذى فى غاية الحسن والروعة بالرغم من ظهورة. إن الله سبحانه قد أظهر لنا بعض النزعات الفطرية ليأخذ بأيدينا ويهدينا بحافزها وطاقتها، ولكن من أروعها هو حبّ أهل البيت(ع). فما أن تتردد على حرم الحسين(ع) برجلک أو بقلبک تتعلق به وتعجز عن وصف مدى حبک للحسين(ع). ثم تحضر مجالس الوعظ والذكر منتظرا نعى الخطيب على الحسين(ع). ولعلک تبتهج بحلول شهر رمضان لكونه يعطيک الفرصة الكافية لاستماع مصائب الحسين(ع) لمدة ثلاثين ليلة متتالية. ولعل هذه الفرصة الرائع ة هى إحدى علامات رحمة هذا الشهر المبارک للناس، إذ أن الحسين(ع) هو رحمة الله الواسعة.

إن هذه الليلة هى أول ليلة جمعة من شهر رمضان فيا ليتنا كنا نقضيها فى كربلاء؛ فى ذاک الحرم العظيم وبجوار تلک الأجساد المرملة بالدماء وتلک الأجساد المقطعة التى لا تزال مدماة بدم عبيط. عندما يتوجه جمع من الموالين إلى حرم سيد الشهداء، كأنه يعبق المكان بعطر حرم الحسين(ع)، ويزدهر المكان بنور الحسين(ع).

ماذا تفعل يا موالى إن ضاق صدرک لهفة إلى سيد الشهداء(ع)؟ فلعلک تذهب إلى مجلس من مجالس الحسين(ع) لتستمع مصائبه وتبكى عليه، أما العقيلة زينب فكلما كانت تشتاق إلى أخيها الحسين(ع) كانت تنحّى قليلا من ستار

المحمل، لترى قمرها المنير فى لياليها الظلماء. عندما يكون البدر فى ليلة تمامه لا تُرى النجوم حوله، أما إذا كان هلالا فبإمكانك أن ترى النجوم حول الهلال، ولهذا كانت ترى زينب نجوما حول هلالها، من رأس أخيها العباس وابن أخيها على الأكبر والقاسم وغيرهم من نجوم بنى هاشم.

ما هذه المصائب التى كانت تجرعها زينب؟ كأن هذه القصة كلها هى قصة زينب وهى الرميّة لجميع سهام بلايا كربلاء. كأن العالم بأسره مشاهد ومتفرج ليُظهر الله أمته زينب ويباهى بعشقها وصبرها فى هذا الدرب... إن واقعة كربلاء هى قصة زينب فى الواقع ونحن مشاهدون.

...ألا لعنة الله على القوم الظالمين

ن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على إنتاج قوة مضافة

لقد خلقنا من أجل أن نحدث تغييرا وتحولا في أنفسنا ونستعين بذلك على إنتاج قيمة مضافة، إذ الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على إنتاج قوة مضافة. فعلى سبيل المثال إنه قادر على استخدام بعض النباتات والأعواد اليابسة المهملة

لإنتاج بعض الصنائع اليدوية كالسلال، وهذا ما يمثّل ضربا من إنتاج القوة المضافة.

وإن ما ننتجه من قوة مضافة هو الذي سوف يوصلنا إلى الكمال وهو الذي يقربنا إلى الله، وبه سوف نفوز بالجنة. ومن أهم تجليّات هذا الإنتاج هو أننا قادرون على تحديد نوع حياتنا الأبدية بأنفسنا. نحن لسنا أولي تأثير كبير على كيفيّة حياتنا الدنيوية، إذ قد قدّر معظمها مسبقا، بينما نملك الحريّة والاختيار في اختيار نوع حياتنا الأخرويّة وكيفيّتها، وبإنتاج القيمة المضافة إنما نحدّد نوع حياتنا الأخرويّة. فالجنة التي سوف نفوز بها غدا إن شاء الله ليست مجرد أجر وحسب بل هي أكثر من ذلك، لأن الإنسان الذي يبني لنفسه بيتا ثم يسكن فيه، لا ينظر إلى بيته كجائزة حصل عليها بعد معاناته في بناء البيت، بل يراه نتيجة عمله.

أحد أسباب رهبة يوم القيامة هو أن الإنسان سيدرك كم كان له دور وأثر مباشر في تحديد جزئيّات وتفاصيل حياته الأخرويّة. لقد تمّ القرار الإلهي على أن نكون نحن أصحاب التأثير المباشر على مليارات السنين المؤبدة وغير المحدودة، وذلك عبر إنتاج القيمة المضافة.

إن نطاق اختيارنا في هذه الدنيا ضيّق ومحدود جدا إلا في...

لقد تم تصميم جزء كبير من حياتنا الدنيوية على يد الله سبحانه دون إدخال إرادتنا ومشيئتنا في ذلك. فقد اختار والدينا وجسمنا وشكلنا ومواهبنا وكثيرا من مقدرات حياتنا بلا أن يكون لنا دخل في هذه الشؤون. نعم، إن مدى تأثيرنا في هذه الحياة غير معدوم على الإطلاق ولكنه في نطاق ضيق جدا.

أما الشيء المطلق وغير المحدود الذي نملكه في هذه الحياة الدنيا هو فكرنا وفهمنا، ومن هذا القبيل أميالنا ورغائبنا القلبية. إن الدنيا وما فيها هي بمثابة المعرض، وليس شأننا في هذا المعرض إلا أن نؤشر ونختار ونسجّل بعض الموارد في قائمة الرغبات المادية والمعنوية. ولكن لا مجال للانتفاع والحصول على ما سجلناه واخترناه في هذه الدنيا، إذ أنها معرض ليس إلا.

وما نحصل عليه في هذه الدنيا من النعم المادية والمعنوية فهي كالشطيرة التي يقدّمها لك صاحب المعرض لتتقوّى بها على مشاهدة باقي أقسام المعرض. فعندما تقوم للصلاة بين يدي ربك، حتى وإن كنت خاشعا في صلاتك ومتمتعا بها، في الواقع أنت كنت تؤشر وتختار بعض البضائع في معرض الدنيا. فكأنك كنت تعبّر عن رغبتك في لقاء الله، حتى تحصل على مزيد من هذا اللقاء في

الجنّة. فإذا اخترت هذا الشيء في هـذا المعـرض سـوف تـدعى إلـى لقـاء اللـه باستمرار، كما سوف تحظى بلقاءات أمتع وأرفع.

وكذا الحال في الزواج والأكل والشرب وباقي ملذّات العيش، فإن ما نملكه في هذه الدنيا هو أن نختار ونؤشر ونوصّي، ولن نحصل على شيء من هذه البضـائع في الدنيا إلا الحد الأدنى.

أما بالنسبة إلى الحياة الآخرة الأبدية اللانهائية فإن لنـا اختيـارا كـبيرا فـي نطـاق واسع جدا، وما أعظمها من حقيقة. إن القيمة المضافة التي نسـتطيع أن ننتجهـا هي ليست مجرد نقود وأموال، بل نحن قادرون علـى تحديـد مصـيرنا ومـؤثرون في مقدرات عالمنا الكبير. وسوف نشاهد مدى تأثيرنا الكبير بمجرد دخولنـا فـي الجنة وسوف نعيش هذا الواقع إلى الأبد.

وقد تعترينا الرهبة والدهشة بعد ما نشاهد مدى تأثيرنا في ذاك العالم، ولا سـيّما إن كنا غير مؤمنين بمدى هـذا التـأثير. فلا تزعمـوا أن مـدى تأثيرنـا فـي الآخـرة بمقدار تأثيرنا في هذه الدنيا. وفي المقابل لا تتوهموا أنكم قادرون علـى التـأثير في مقدرات هذه الدنيا، ولكن كل لحظات حياتنا في هذه الدنيا تـؤثّر فـي جميـع تلك الحياة الأبدية في الآخرة.

إن تصور أكثر الناس عن الجنة تصور خاطئ

إن تصور أكثر الناس عن الجنة تصور خـاطئ، فهـم يتصـورون أن الجنّـة ليسـت بمحل حياة طيّبة. بل هي محلّ يمكث ساكنوها فيها عَطَلَـةً بَطَلَـة ولا شـأن لهـم فيها سوى استلام الجوائز والتمتع بالنعم. فكأننا بأحدهم يجلس تحت ظل شجرة في الجنّة فما يلبث ساعة إلا ويأتيه غلام بملعقة من عسل لذيذ ويقدّمها لـه، ثـم يأتي الآخر ويقدم له كأسا من لبن. فما إن ينتهي من وجبة العسل واللبـن يقفـز في نهر من عسل. ثم يخرج مـن النهـر ويتكـئ علـى أريكـة تحـت ظلال أشـجار الجنة، وإذا بحورية تأتي وتمرّخ كتفيه. ثم يأتى له بعد التمريـخ طبـق مـن دجـاج. وبعد أن ينسف الطبق يقدّم له ملعقة من عسل مـرة أخـرى... وهكـذا إلـى أبـد الآبدين. فإنّ مثل هذه الحياة تحطّم الإنسان ولا يكـاد أن يطيقهـا أسـبوعا واحـدا فضلا عن أبد الآبدين. ولا شك أننا مخطئون في هذا التصوّر عن حياة الجنّة.

لقد قـال اللـه سـبحانه فـي القـرآن: **(وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِـرَةَ لَهِـيَ الْحَيَـوان) [العنكبوت:64]** إذن سوف تكون لنا في الجنة حياة بكل ما تعنيه الكلمـة مـن تعاقيـد ومنعطفـات وأحـداث وجَمـال. إن هـذا التصـور الخـاطئ قـد دفـع بعـض الشباب ليسـأل: ألـى مـتى نجلـس ونتمشـى فـي بسـاتين الجنـان وعلـى ضـفة أنهارها؟ أفلا نملّ ونضجر من تلك الأجواء الرتيبة؟! أو يتسـاءل: إن هـذه الحيـاة الدنيا مع كل ما تشتمل عليه من مواجهات ونزاعـات وأحـداث وملاحـم وقضـايا،

تُضجِر الإنسان وتملّه، فما بالك بالحياة الآخرة الرتيبة التي لا يواجه فيها الإنسان أي قضية تحتاج إلى حلّ أو علاج؟! وكل هذه الأسئلة ناتجة من تصورنا الخاطئ عن حياة الآخرة.

إن واقع الأمر هو أننا سوف نكون أحياء في الجنة وسوف نعيش حياة راقية هناك. فعلى سبيل المثال إن من خصائص حياة الآخرة هي أننا سوف نحظى بطاقة هائلة في الجنان، فهل يعقل أن تكون طاقتنا الهائلة من أجل لعق العسل وحسب؟!

نحن نبذل معظم طاقتنا من أجل حل مشاكل حياتنا الدنيوية، بيد أن جلّ «اختيارنا» هو مختصّ بتحديد كيفية حياتنا الأخروية

لقد خلقنا من أجل إنتاج القيمة المضافة، وإن مفعول هذه القيمة المضافة هو تحديد نوع حياتنا الأخرويّة. فما ننتجه في هذه الدنيا من قيمة مضافة فهو يؤثر بشكل مباشر في كيفية حياتنا الآخرة لا الدنيا. ونحن سوف نموت ونحيى مئة مرة حسرة ونتمنى أن نرجع إلى الدنيا ونقول: لقد أدركنا الآن ما كان يجب علينا، حيث كنا نسعى وراء سراب لحلّ مشاكلنا الدنيوية، وكنّا نجرب مختلف الطرق والوسائل في سبيل تعديل حال هذه الدنيا التعيسة. ولكن هيهات فما اهتدينا إلى ذلك سبيلا.

فلماذا لا نعتبر ولا نعي هذه الحقيقة وهي أن الدنيا ليست بأيدينا ولا دور لنا فيها تقريبا. ولا شأن لنا فيها سوى إنتاج القيمة المضافة التي بها نصنع حياتنا الآخرة؟ من هذا المنطلق أعمروا بيوتكم فإنكم في حال صنعها وهندستها الآن، وإنكم الآن في حال تعيين مساحة أرض قصركم، كما أنكم الآن تختارون جيرانكم وأصحابكم، ومضافا إلى ذلك أنتم تحددون مستوى منطقتكم في الجنة. إنكم سوف تعيشون في تلك الجنة ما لن تقدروا على إحصاء عقودها المليارية في مليارات السنين، وإنها لحياة أضخم وأكبر وأوسع وأرقى جدا من أن تتمدّد في بستان بلا شغل ولا عمل، ثم تستقبل ملاعق العسل وأكواب اللبن بين الساعة والأخرى.

ليست «القيمة المضافة» بمعنى ما نفهمه من الأجر والثواب

الحياة الحقيقية والأصيلة هي في الآخرة، لأن الحياة في هذه الدنيا مصحوبة بالممات، فإننا نطوي جزء كبيرا منها في النوم، أما هناك فنحن صاحون دوما. وتارة نتثاقل عن أداء الأعمال وتارة نتكاسل، بينما في الحياة الأخروية لا ننفك عن النشاط والطاقة دوما. نحن أصحاب الأمر والقرار في كيفية حياتنا الأخروية وهذا هو معنى إنتاج القيمة المضافة. فما إن نذكر «القيمة المضافة» لا يقتصر ذهنكم على الأجر والثواب، مع أنه أجر وثواب أيضا، ولكنه أجر في نطاقه

الواسع جدا، بمعنى أنك قادر على تنظيم آخرتك في هذه الدنيا. فلابد من ترجمة كلمة الأجر والثواب على أساس ذاك العالم العظيم اللانهائي.

إن فهم هذه الحقيقة يحلّ لنا بعض أسئلتنا الكلامية

كل ما موجود في هذه الدنيا فهو وسيلة لنتمكن به من إنتاج القيمة المضافة، وهنا منطلق بحثنا. إن ميزة آدم الذي خلقه الله هو القدرة على إنتاج القيمة المضافة. فكان الملائكة في غفلة عن هذه الحقيقة وهذا ما دفعهم للاستفسار عن سبب خلق آدم والآدميّين، إذ وجدوا أن من شأن هذا الكائن بما يشتمل عليه من حريّة وقوّة وشهوات، أن يسفك الدماء وأن يستغلّ قدراته وإمكاناته في الفساد. فلمّا طرحوا سؤالهم، قال الله لهم: إنّي أعلم ما لا تعلمون.

ولعلّ إحدى الحقائق التي كانت قد خفيت عن علم الملائكة هو مدى قيمة إنتاج القيمة المضافة، فإنّ قيمتها وثمنها يستحقّ خلق الناس حتى إذا فسد وأفسد جمع منهم. وهذا ما لم يفهمه كثير من الناس أيضا. حيث يسأل بعضهم، هل كان يستحق خلق الإنسان بغية إنتاج القيمة المضافة مثلَ هذه المظالم والإجرام وسفك الدماء؟ نعم يستحق.

فإن كنت ترى عدم استحقاقه، قل لي أين موقعك الآن في هذا العالم وما الذي تراه الآن حتى تقيّم وتستنتج؟! ألك ميزان يقارن بين قيمة خلق الإنسان والظلم

الذي ارتكبه في العالم؟! فإذا أردت أن تخرج بنتيجة أدقّ لابد أن تتأمل بمزيد من الدقّة، ثم تحاول أن تدرك الحياة الأخروية، كما ينبغي أن تشاهد قيمة أولئك الذين أنتجوا القيمة المضافة وعاشوا في أجوائها. فإن استطعت أن ترى هذه الحقائق سوف تقرّ باستحقاق خلق الإنسان على رغم ما قد يرتكبه من إجرام.

أطيلوا الفكر والتأمل في المعاد

نحن الآن وفي كل آن من حياتنا نعيّن ونحدّد كيفية حياتنا الأخروية وذلك من خلال آمالنا وأهوائنا وأدعيتنا وسلوكنا وأفكارنا وأقوالنا وبكل فعل نقوم به.

نحن ـ أيّها الإخوة ـ بأمسّ الحاجة إلى تغيير رؤيتنا عن المعاد. فقد استوقفني بحث المعاد في هذه الليلة ولا أدري كيف أمرّ من موضوع المعاد وأدخل في بحثنا؟ إن إدراك المعاد يمثّل إحدى مشاكلنا فلابدّ من إطالة الفكر والتأمل فيه.

فلا ينفع الإيمان بالله وبأنبيائه ورسله ما لم يؤمن الإنسان بالمعاد.

فإن لم نأخذ المعاد وحياة الآخرة بعين الاعتبار، يصبح كل شيء عبثا بلا معنى. والمعاد، هو أصل الحياة. على أي حال لا مجال لنا للوقوف عند موضوع المعاد فلابد من مغادرته. اللهم! أنر أبصارنا برؤية المعاد. فمن أجل أن أشرح لك يا إلهي كيف تنر أبصارنا، دعني أقرأ هذه الرواية. وبالتأكيد إنك عالم بكل الحقائق وتعلم كيف تنير أبصارنا إن شئت ذلك، ولكن لعلّ بعض الإخوة لم يدركوا

المقصود من هذا الدعاء ولم ينتبهوا إلى مستواه الرفيع فلا بأس أن أقرأ لهم هذه الرواية الشريفة عن أمير المؤمنين(ع) حيث يصف المتقين: «**فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَ هُمْ وَ النَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ»(نهج البلاغة/الخطبة 193).** فلنشاهد الآخرة هكذا. ويا حبذا لو استطعنا أن نرى الجنة أيضا ولا نار جهنم فحسب. إذ غاية ما يناله بعض ضعاف النفوس هو أن ينتبه إلى نار جهنّم، فيصبّ كل اهتمامه بالخلاص منها بلا أن يهتمّ بالجنّة. فيقول: حسبي أن أخلص من نار جهنّم ولا يهمّني بعد أين ما حُشِرت وسكنت. أما أنتم فحاولوا أن تتألموا من نار جهنم بدافع شوقكم إلى الجنّة. فانظروا إلى نار جهنّم كمانع مزعج حال بينكم وبين الجنّة. فلابد أن يصحب الخوفَ من النار شوقُ الجنة.

ما دور العلم في إنتاج القيمة المضافة؟

فلنرجع إلى موضوعنا إذ قد ابتعدنا عنه كثيرا. لابد أن ننظر إلى موضوع جهاد النفس كهدف خلقة الإنسان. إذ خلق الإنسان لكي ينتج القيمة المضافة، وبالتأكيد إن نطاق هذه القيمة التي يستطيع الإنسان إنتاجها نطاق واسع جدا، فإنه سوف يكون أبديا في حياة الآخرة وهو الذي يحدد مصيره ويتحكم في كيفية حياته.

انطلاقا من مـدى تـأثير القيمـة المضـافة فـي نـوع حياتنـا الأخرويـة، يتبـادر هـذا السؤال وهو أن كيف يمكن إنتاج القيمة المضافة. أرجو أن تطيلوا الوقوف عنــد هذا السؤال. بودي أن تطيلوا التفكير حتى يتكوّن حزن فـي قلـوبكم ثـم تنقلبـوا إلى ربكم وتناجونه بهذا الحزن في ليالي مناجاتكم. فلا تبكـوا بلا سـبب وغـمّ ولا تكونوا بلا حزن وغمّ معنوي، فإنّ البهائم لا يحزنون لشـيء وحاشـاكم أن تكونـوا مثلَهم. ولكن بودّي أن يكون حزنكم مستوحى من هذه المعرفة ومن التأمل في هذا الموضوع.

كيـف يمكـن للإنسـان أن ينتـج القيمـة المضـافة؟ إذا أردت أن أفتـح الموضـوع بالتفصيل سوف لا أقدر على إنهائه حتى بعد خمـس سـاعات، ولكـن أحـاول أن أطرحه بإيجاز.

إذا ازداد الإنسان علما، هل يمكن أن نفترضه قد أنتج قيمة مضافة؟ فهـل يعقـل أن يكون الإنسان قد أنتـج القيمـة المضـافة بمجـرد أن علـم شـيئا بعـد مـا كـان يجهله؟! إن مجرد ازدياد المعلومات لا ينتج القيمة المضـافة للإنسـان، ولا سـيما إذا لم يكن للإنسان دور في ازدياد معلوماته، كمن كان يمشي في مكان وإذا به يسمع معلومة جديدة لم يكن يعرفها. أو كالذي حصّل علـى بعـض التجـارب فـي حياته ومن مواقف فشله وخسرانه. فهل يعقل أن يكـون هـذا الإنسـان قـد أنتـج قيمة مضافة بكسب هذه المعلومات؟! كلا.

طبعا، لا أعتقد أن العلم بلا قيمة وثمن في هذا المسار، ولكنه يعين الإنسان على إنتاج القيمة المضافة، وبهذا القدر إنه ذو قيمة. أما إذا لم يعن الإنسان على إنتاج القيمة المضافة عند ذلك يصبح صاحبه (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً)(سورة الجمعة/الآية 5) وأنتم تعلمون أن هذه الآية هي في شأن بعض العلماء الذين حصلوا على معلومات، ولم تنزل في حق الحاسوب الذي خزنت فيه ملفات الكتب. مع هذا قد يصير مَثَل الإنسان العالِم كالحمار يحمل أسفارا. إذن لا يكفي العلم بوحده لإنتاج القيمة المضافة.

ما دور العمل في إنتاج القيمة المضافة

هل أن العمل يكفي لإنتاج القيمة المضافة؟ كلا. فعلى سبيل المثال إن بعض الكائنات كالنمل في عمل دؤوب بلا ملل أو تعب، فلا نقدر على القيام بنصف ما يقومون به، حتى قد ضرب بهم المثل في العمل والاجتهاد، لشدة عملهم وجهدهم، ولكن لا يمكن أن نعتبر مثل هذه الأعمال تنتج القيمة المضافة التي نبحث عنها.

إن العمل قادر على معونتنا في إنتاج القيمة المضافة، ولكن ليس هو بقيمة مضافة بالأصالة. إذ كما ذكرت إن الحيوانات تعمل وتخدم أيضا. فانظروا إلى الأبقار مثلا، فإنهم لا يقفون عن العمل النافع لحظة. نحن نقف عن العمل

ولكنّهم لا يقفون. فتارة يعتلفون توفيرا للحليب، وأخرى يعدّون تقرير ما اعتلفوه قبل ساعة، ليستعرضوه مرة أخرى [كناية فكاهية عن اجترارهم]. فيا لها من عامل مجتهد خدوم! حتى أن البعض أصبحوا من عبدتها، ولا يدرى فلعل السبب هو ما شاهدوه منها من عمل مستمرّ وخدمة متواصلة، وهذا ما جرّهم إلى عبادتها. [كان الشيخ ممازحا في هذه العبارة]. فلا يستطيع الإنسان أن ينتج القيمة المضافة على سبيل الأصالة لا بالعلم ولا بالعمل.

إن ما ينتج القيمة المضافة هو جهاد النفس

إن ما ينتِج القيمة المضافة باستخدام العلم والعمل، هو كيفية مواجهة الإنسان مشتهياته ومدى إعمال التغيير فيها. فإذا استطاع الإنسان أن يؤثّر على أهوائه ومشتهياته، سوف يقدر على ترك بصمة تأثيره على العالم بأجمعه. لقد خلق الإنسان لصنع التغيير وإنتاج القيمة المضافة ومن أجل التأثير على العالم. وإنّ مركز هذا التغيير هو نفس قلب الإنسان ونزعات الإنسان ذاته. ثم لا سبيل لصنع التغيير القيّم إلا فيما إذا واجه الإنسان موانع ومصاعب في مسار صنع التغيير. لا أن يكون ذاك التغيير ملائما لأهوائه وشهواته. إذن لا تنتج القيمة المضافة بما يلائم هوى الإنسان كالأكل والشرب والنوم وغيرها.

لا يمكن إنتاج القيمة المضافة إلا بمخالفة الأهواء والمشتهيات. فعندما تقاوم نزعاتك السطحية متخلّصا منها إلى النزعات الأصيلة والعميقة، هنا تنتج القيمة المضافة، ومقاومة النزعات السطحية هذه هي ما يسمّى بجهاد النفس. فأنت صرت إنسانا من أجل جهاد النفس وإنتاج القيمة المضافة والوقوف أمام بعض نزعاتك ورغباتك. ومن هذا المنطلق إن إنسانية الإنسان وهويته الإنسانية مرهونة بمدى مخالفته لرغباته وشهواته.

عدم تلبية الأهواء هو ما يسبب إدراك الهوية الإنسانية

فاختاروا ما شئتم من رغباتكم لتقضوا عليها. ولكن ليس لكم حقّ الاختيار إذ قد أحاطكم الله ببرنامجه بكلا نوعيه المتمثل بمقدّراته وتكاليفه. فتأملوا إذ سوف نخوض إن شاء الله في البرنامج الإلهي لجهاد النفس.

أما الآن فلأضرب لكم مثالا؛ ما إن يدخل الطفل في السابعة من عمره، يواجه بعض الموانع في محيطه وفي بيته. وهذه السنة هي منطلق حياته الإنسانية. فمنذ السنة السابعة لابد أن يعرف أنه قد يحبّ شيئا ولكن يجب أن يكفّ عنه، وقد يرغب في شيء غير مرغوب لدى أمّه وأبيه، فينبغي أن يمتنع عنه.

إن الكفّ عن المشتهيات موضوع حياتك، وليس بقضية مقطعية لتحاول حلّها وتعيش باقي حياتك بدونها. إن موضوع حياة الإنسان هو أن يفتش عن مشتهياته

لسحقها. فهي ليست مشكلة الإنسان ولا بقضيّة طارئة في حياته بل هي قاعـدة أساسية في حياة الإنسان. فـإن زعـم أحـد أنـه قـادر علـى حـلّ جميـع مشـاكله وبإمكانه أن يصل إلى جميع رغباته، فليسع ويكد ما يشاء لنرى أين يبلغ؟ بعد ما انصرفتَ عن هذه الجلسة، كيف تريد أن تجاهد نفسك؟ سـوف تنـام فـي وقت متأخر وسـوف يصـعب عليـك الاسـتيقاظ بطبيعـة الحـال، إذن اتضـح أحـد مواطن جهاد النفس بحمـد اللـه. بعـد ذلـك وفـي وجبـة السـحور قـد لا تشـتهي الطعام فتأكل رغما على نفسك، أو تشتهيه وتأكله بلذة، فينتظرك النهار الطويل حيث تمنع فيه من الأكل والشرب، فيجوع ويعطـش جسـمك ويطـالب بالطعـام، ولكنك تُسكته وتأمره بالصبر إذ ليس بجسم حيوان بل جسم إنسان.

فعندما يصوم الإنسان يشعر بإنسانيته. لا أدري كـم تـدركون هـذه الحقـائق أيهـا الإخوة، ولا شك في أنكم أعرف مني بها. حينما ينهى الإنسان نفسـه عـن بعـض ملذّاتها وشهواتها، هنـاك يشـعر بـأنه إنسـان ويشـعر بهـويته الإنسـانية. ولكـن لا ينبغي أن يخالف الإنسان هواه بلا ضابط وبرنامج. فهناك برنامج لابـدّ أن يمشـي الإنسان على أساسه.

أنواع جهاد النفس

على أساس تقسيم شامل جدا، تنقسم مقاومة النفس على شكلين، وأرجـوا أن نوفّق لدراسة كلا الشكلين إلى آخر رمضان: فتارة ترغب في شيء ولم تعطَـه، فلابد أن تتحمّل هذا الحرمان وتصبر، بل يجب أن ترضـى بمـا قُسِـم لـك. وتـارة أخرى تشتهي شيئا تملكه وتقدر عليه، ولكن يجـب أن لا تمـدّ يـدك عليـه وتكـفّ عنه. فكلا هذين الشكلين هما نوعان لجهاد النفس.

يفرض الله عليك نوعين من الجوع؛ فتارة تصفر يدك من المال لتأكل بها شـيئا، وتارة تملـك مـالا ولكنـك صـائم. فهنـاك عملان لابـدّ لـك منهـا فـي مسـار جهـاد النفس؛ الطاعة والرضا؛ الطاعة في قبال التكليف، والرضا في قبال التقدير.

وهنا تُظهر بعضُ النفوس عقـدَها وأمراضـها، فقـد يسـأل اللـه أحـد أن يغنيـه ولا يحرمه شيئا، على أن يكفّ هو بنفسـه عـن بعضـها بـدافع التكليـف! وهـذا مـا لا ينسجم مع الأطروحة الإلهيـة، إذ إن اللـه شـاء أن يحرمنـا مـن بعـض مشـتهياتنا تقديرا ولا تكليفا، ليمتحن مدى رضانا بتقديره. إنه يعلم جيدا مدى حاجة الإنسان إلى مال الدنيا ولوازم الحياة، ولكنه شاء أن يحرم الناس مـن بعضـها، ليـرى مـا يخطر في قلوبهم وما رأيهم. فلماذا خلقهم الله أناسا؟ إنما ذلك من أجـل جهـاد النفس. يبدأ موسم الرضا بقدر الله من السنّة السابعة، وكذلك موسـم الطاعـة

فإنه يبدأ من ذاك الوقت. فلابد أن نبدأ بمصارحة الصبيّ بحقيقة الحرمان والمنع من ذاك الوقت.

أرجوكم أيّها الإخوة أن لا تجعلوا جهاد النفس كفضيلة إلى جانب سائر الفضائل، فإن هذه الرؤية جفاء بحقّ هذا الموضوع وفلسفة خلق الإنسان، وجفاء بحق الدين كلّه. إذ إن جهاد النفس ليس بواحد من المواضيع بل هو أصل حياتنا ومن أجله خلقنا.

ألا يتعارض هذا البحث مع الروايات المؤكدة على العمل وكسب الرزق؟

لا يخفى عليكم أيها الإخوة أنني لم أبلّغ لدين انفعالي بلا أثر. فلا تسألوني بعد المحاضرة عن الروايات التي تدعونا إلى مكافحة الفقر والعمل الاقتصادي، إذ إنّها لا تتعارض مع هذه الأبحاث بل تؤكدها. فإن جمال الأطروحة الإلهية هو أن لابد من أن تسعى ضد عيلتك، أما إذا أصابك فقر رغما على سعيك وعملك فلا تحزن كثيرا، وابتسم رضاً بقضاء ربك.

لعلك تقول: «إذا كان الله قد قدّر علينا بعض المشاكل رغما على اجتهادنا وسعينا، فلماذا نعمل ونجتهد، ولنترك الدنيا برمتها إلى أن نموت جوعا». الجواب هو أن لو كان القرار على أن لا تسعى لإبعاد الفقر عن حياتك، لما استطعت بذلك أن تنتج القيمة المضافة. ولكن المشكلة وصعوبة هذا الإنتاج هو

أنك مكلّف بالعمل وتعمل فعلا لكسب الرزق الحلال، فيقدّر الله لك مـن يعتـدي على أموالك وينهب ما حصلت عليه بكدّ يمينك، فتتألم وتحـترق. فـإذا اسـتطعت أن ترضى بقدر الله وقضائه وتبتسم فـي أعمـاق قلبـك، يرتقـي مسـتواك وتنتـج شيئا من القيمة المضافة. ولا شك في أن هذا الرضا لا يتعارض مع غضبك علـى المعتدي والسعي لاقتصاص حقك منه.

لقد أوجب الله علينا العمل وطلب الرزق وأذاقنا حلاوة الغنى وكسب المال، ثـم يسلب منّا المال بأنواع الحيل والأسـاليب فـي منعطفـات الحيـاة وأحـداثها. إنهـا لأطروحة الله الرائعة في إذاقة عباده مرارة الحرمان، وذلـك فـي سـبيل تـوفير أرضية جهاد النفس الذي خلق من أجله الإنسان.

هل في ترك اللذة لذة

بعد هذا الكلام كلّه، يبقى سؤال لابدّ من طرحه، وهو ما حلاوة هذه الأطروحـة؟! لعلك تقول لي: قررنا على تحمل مرارة حياة الدنيا في قضائها وتكليفها، فما لنا والسؤال عن اللذة والحلاوة؟! ولكن هـل يمكـن أن يفـرض اللـه علـى الإنسـان عملا مرّا ثم لا يـذيقه حلاوة فـي هـذه الـدنيا قبـل الآخـرة؟! كـان يقـول الشـيخ بجهت(رض): «**إن طويت طريق السعادة، فمـن المحـال أن لا يـذيقك الله طعمه فـي هـذه الـدنيا**». فـأين حلاوة هـذه المـرارة؟ إن حلاوة هـذه

المرارة هي أنك قد جاهدت نفسك من أجل أحدٍ، وهـو اللـه سـبحانه. واللـه هـو الذي سوف يذيقك حلاوة تنتعش بها. أيها الأحبـة! إننـا قـد خلقنـا مـن أجـل اللـه نفسه ومن أجل التقرب إليه ومن أجل شمّه ومن أجل إدراكه ومـن أجـل رؤيتـه ومن أجل الشعور به، وكل هذه الكلمات عاجزة عن حكاية تلك الحقيقة الرائعـة التي يعيشها الإنسان مع ربّه

لقد خلقنا من أجله وأمامنا طريق واحد للاتصال بالله وهو إنتاج القيمة المضـافة عبر جهاد النفس. لابد لك في هذا المسار أن تقضي على أنانيتك، ولا سبيل لهذا الهدف سوى أن تكفّ عن شهواتك في مقام كسب رضا الله وطاعته. فإنــك إن فعلت ذلك تزداد لطافة وخلوصا يوما بعد يوم.

فهذا شوطك والميدان ميدانك، إذهب وابحث وفتّـش عـن أوامـر اللـه وبرامجـه لتهديك وتعينك على جهاد نفسك. إذهب وفتش عن هذه الأوامـر ومـواطن جهـاد النفس ولو تحت التراب والصخور. فإن عثرت على عشرة أحكام وعملت بهـا لا تقف عن التفتيش فإن تبحث تجد مزيدا من أمثالها.

فلا تقف عن مجاهدة نفسك وسحق هذا التنين ذو الألف رأس الـذي إن قطعـت لـه رأسـا، ينبـت مكـانه سـبعون ألـف رأس كلهـا تختفـي تحـت أغصـان الحيـاة وأوراقها، فاستخرجها من تحتها وابدأ بقطعها واحـدا بعـد الآخـر، و لا يـزال تنمـو

رؤوسه إلى أن يتوفاك الله. فعند ذلك تلقي سيفك من يدك وتتنفس الصــعداء.

لقد خلقنا لجهاد دائم مع شهواتنا

إن الحسن والصلاح إنما هو جهد وسعي دائم لذبح تنين النفس، لا أن تبلغ مكانـة أو مقاما وحسب. فإن كنت بخيلا وقطعت رأس البخل من نفسك، لا تقف إذ مـا إن قطعت رأسا يخرج رأس آخر. فاذهب في عملك وواصل جهادك.

يتجسد الحسن والصلاح في الجهاد الدائم لا في قتل رجـل أو رجليـن. إنـه جهـاد مستمر دائم مـع رغبـات الإنسـان وشـهواته الـتي تتجـدّد وتسـتحدث ولا تنتهـي. فليس معنى الامتحانات الإلهية غير أنـه يسـتخرج كـل آن إحـدى رغبـات نفسـك ويجعلها أمامك لتحزّ رأسها. وأحيانا تجد هـذه المشـتهيات جيّـدة، وأحيانـا تجـدها من حقك، وتارة تجدها رغائب ضرورية ليست بكمالية.

لقد خلقنا لجهاد مستمر مـع رغباتنـا، سـواء أكـان طريـق الجهـاد عـبر التكـاليف الإلهية التي لابد من إطاعتها، أم كان عبر التقديرات الإلهية التي لابـد أن نرضـى بها. فليس لنـا تجـاه أحـداث العـالم كلـه سـوى تكليـف واحـد، وهـو ذبـح نفسـنا الأمّارة.

فعلى سبيل المثال قد يأتي أحد ويشتمنا ويسبّنا كذبا وعدوانا، فتكليفنا الأول هو أن نذبح نفسنا أولا، ثم نرى هل لنا تكليف آخر تجاهه. فهل ينبغي أن نردّ عليه أو يجب أن نؤدبه، ولا بأس أن نؤدبه أن استدعى التكليف. ينقل عن أمير المؤمنين(ع)**: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَعَ النَّاسِ فِي مِيضَاةِ الْمَسْجِدِ فَزَحَمَهُ رَجُلٌ فَرَمَى بِهِ فَأَخَذَ الدِّرَّةَ فَضَرَبَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ لَيْسَ هَذَا لِمَا صَنَعْتَ بِي وَ لَكِنْ يَجِيءُ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنِّي فَتَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ هَذَا فَتَضْمَن»[الاختصاص/ص 159]**

فانظر ما هو تكليفك؟ إن تكليفك هو أن تذبح نفسك وتقطع رأسها. ويمكن مشاهدة مدى أهميّة جهاد النفس من خلال بعض الروايات. قال أمير المؤمنين(ع): «**فِى خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُهَا»(تحف العقول/ص 91)**

وقال كذلك: «الرُّشْدُ فِى خِلَافِ الشَّهْوَة»(تحف العقول /214)

وكذلك روي عن الإمام الجواد(ع) أنه قال: «**لَن يَسْتَكمِلَ العبدُ حقيقةَ الإيمانِ حتّى يُؤْثِرَ دِينَهُ على شَهْوَتِهِ، و لَن يَهْلِكَ حتّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ على دِينهِ» (كشف الغمه/ج 2/ص 348).** فنحن نتصور أن محل استكمال الإيمان في استماع الدروس العقائديّة، ولكنه تصور خاطئ. إن أصل الموضوع ومنطلق ازدياد الإيمان ونقصانه هو شهوة الإنسان. ولهذا ترى بعض الناس يكرهون الدين، لأن مقتضى العمل بالدين هو مخالفة الهوى.

اتباع الهوى هي النقطة المقابلة لعبادة الله

واستمعوا إلى هذه الرواية يا عباد الله، الذين تعبدون الله ولا تعبدون شيئا سواه. روي عن الرسول الأعظم(ص)**: «ما تحت ظِلِّ السَّماء مِن إلَهٍ يُعبَد مِن دونِ اللّه أعظم عندالله من هَوَىً مُتَّبَع»[الدرّ المنثور/ ٦/٢٦١].** فاتباع الهوى وعبادة الهوى هو النقطة المقابلة لعبادة الله. وهي ضرب من أنواع العبادة؛ **(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ)[الجاثية:23]**

العامل الوحيد الذي يعيننا على مخالفة الأهواء هو الخوف

يقول الله سبحانه: «**وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[النازعات/40 و 41]**

هل رأيتم أن كثيرا من الناس يجهلون أهمية الخوف من الله وضرورته؟ فهناك الكثير يقولون لماذا يجب أن نهاب الله، ولماذا تؤكد على أن نخافه، ولماذا تأتي بجهنّم دائما أمام أعيننا.

إن كثيرا من الناس بل حتى المؤمنين لا يدركون أمرين. فلا يدركون السبب من كثرة ذكر جهنّم في القرآن؟ ولا يعرفون لماذا يجب أن يخافون الله سبحانه؟ إنهم يدركون ضرورة إصلاح نفسهم ولكن لا يفهمون السبب من هذا التخويف. وهذا سؤال متبادر لدى كثير من الناس.

أتعرفون لماذا يتبادر هذا السؤال لـدى أكـثر النـاس؟ لأنهـم لا يعرفـون موضـوع حياتهم الرئيس. إن موضوع حياتك أخـي العزيـز هـو مخالفـة الهـوى والرغبـات، وليس شيء يعين الإنسان على مخالفة الهوى كالخوف. فاكتبوا هذه العبارة مئة مرّة؛ إن العامل الوحيد الذي يعين الإنسان على مخالفة أهوائه الممتعة واللذيذة والمشهّية هو الخوف. فخذ الخـوف عسـى إن شـاء اللـه أن تصـل إلـى مرحلـة العشق، وعند ذلك يشتدّ خوفـك. ومـن أجمـل أنـواع الخـوف هـو مهابـة المقـام الربـوبي؛ **(وَ أَمَّـا مَـنْ خـافَ مَقـامَ رَبِّـهِ وَ نَهَـى النَّفْـسَ عَـنِ الْهَـوى) [النازعات:40]** ولكن كثيرا من الناس لا يعرفون تكليفهم الرئيس، ولا يـدرون لماذا جاءوا إلى هذه الدنيا، ولا يعرفون أن شغلهم الأصلي هو مخالفة الشهوات. فزعموا أنهم يقدرون على إصلاح نفسهم مع حفظ ما طاب ولذّ لهم. فلا يـدرون أصل المشكلة والعلّة.

لقد جاء في رواية عن الإمام الصادق(ع) : «**الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ وَ عُمُرٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَـدْرِي مَـا يَكْتَسِـبُ فِيـهِ مِـنَ الْمَهَالِـكِ فَهُـوَ لَا يُصْـبِحُ إِلَّا خَائِفـاً وَ لَا يُصْـلِحُهُ إِلَّا الْخَوْفُ»[الكافي/ج 2/ص 71]** ثم يأتي من يدعي الفهم في القضـايا الدينيـة والتربية والأخلاق والعرفان، ويعطيك صورة عن الدين وإذا بـه قـد حـذف نصـف القرآن! فلا يتحدث عن نار جهنم وعن العـذاب وعـن ضـرورة خـوف اللـه. فـإن

سألته عن السبب يقول: «أليس المهم أن يصلح الإنسان ويحسن، فها أنا قد انتهجت طريق الصلاح فما الداعي للخوف إذن. ثم إن عثرتُ على ما راق لي من الحسن والصلاح أسعى لاكتسابه وإضافته إلى سائر أعمالي وصفاتي الصالحة»

فإنه قد أخطأ الطريق ويتصور أن الصلاح هو أن يضيف إلى صالحاته ما استحسنه من الصالحات، وإنه في الواقع لم يخالف هواه شيئا. وسوف ترون يوم القيامة كم من أمثال هؤلاء الصالحين سوف يكبّه الله على وجهه في جهنّم؛ هؤلاء الصالحين الذين انتحلوا القداسة والصلاح عبر انتقاء ما طاب لهم ونبْذِ ما لم ينسجم مع هواهم.

ما هو الطريق الذي تريد أن تسلكه؟ إنه هو الطريق الذي يتحدث عنه قوله: **(وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى)**، ولا يتحقق هذا السلوك إلا بـ **(وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ)**

إن بعض المؤمنين يتكبرون على بعض آيات القرآن

اسمعوها منّي أيها الإخوة! يشهد الله أن بعض المؤمنين يتكبرون على آيات العذاب في القرآن، فعندما يمرّون من إحداها يمرون منها وكأنها لا تعنيهم وكأنهم أرقى مستوى من الوقوف عندها! فلا أدري لعلهم يريدون التمتع والتلذذ بالآيات العرفانية التي تتحدث عن جمال الله! أو يريدون أن يعيشوا أجواء

العشق ومناجاة الله بلا أن يقفوا عند قوله: (وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ)! اقرأوا هذه الآية القرآنية حيث يقول الله: **(وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا)[مريم/71]** فهل ينبغي أن يستهين الإنسان بأمثال هذه الآية؟!

إخوتي الأعزة! أينما وجدتم في أنحاء طهران جلسة تجمع نفرا من المؤمنين وكانوا يبكون ويضجّون خوفا من نار جهنّم فاقصدوها وتمسّحوا بجدرانها وأبوابها، تزدهرْ قلوبكم نورا. وإن استطعتم أن تبكوا مثلهم فلا تنسونا من الدعاء.

هل قرأتم دعاء الإمام الحسين(ع) في يوم عرفة؟ إذ بعد دعاء وبكاء طويل وفي أوج الدعاء رفع الإمام الحسين(ع) رأسه وبصره نحو السماء ودموعه تجري كالقِرَب فقال بصوت عالٍ: **«يا أسمع السامعين ويا أبصر الناظرين... وَ أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حَاجَتِي إِلَيْكَ الَّتِي إِنْ أَعْطَيْتَنِيهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعْتَنِي وَ إِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أَعْطَيْتَنِي أَسْأَلُكَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّار» [زاد المعاد/ص 182].** فهل كان مستوى الإمام الحسين(ع) نازلا ومستواك عال؟! وكذا الحال في دعاء جوشن الكبير إذ تنادي ربّك ألف مرة وبعد كل مقطع تقول: «سبحانك يا لا إله إلا أنت الغوث الغوث خلصنا من النار يا ربّ». فإن هذا الخوف من نار جهنم هو الذي يشحن الإنسان بطاقة يتقوّى بها على حرق هوى نفسه.

أسأل الله أن يفهمنا معنى الهوى

اللهم وفقنا لمعرفة هوى النفس. فقد يكابد الإنسان عمرا طويلا بلا أن يعرف هوى نفسه. فتراه يتحدث عن الهوى تلبية لهواه، ويجاهد نفسه بدافع هوى نفسه، فهو متنقل من سيئ إلى أسوأ. أذ ليست معرفة الهوى بأمر بسيط؟ إنه سرطان خفي لا يمكن كشفه في أيّ مختبر، ولا علاج له سوى نار جهنّم. فلا سبيل لك سوى أن تخاف نار جهنّم، فعند هذا الخوف تتفتح عليك أبواب المناجاة.

كل من يعاني من مرض في دينه ونفسه، فالسبب هو أنه لم يدرك نار جهنّم جيدا، فإن عرفها لن تبقى له مشكلة بعد. أنا لا أعرف ما هذا الخوف الذي جعل الحسين(ع) يستغيث بربّه في آخر ساعة من حياته في حفرة المذبح وينادي: «يا غياث المستغيثين»! وليت شعرى ما هذه الخشية التي كانت تعتري أمير المؤمنين(ع) حتى يغشى عليه ويصير كالخشبة الملقاة؟![راجع أمالي الصدوق/ص 79]. نحن لم نخف نار جهنم بعد، فأصبحت نصف آيات القرآن لنا بلا أثر، ونتلوها بلا تأمل ووعي. فلا نخاف الله ولا نخاف نار جهنّم.

إذا دخل هذا الحزن في قلوبكم وأصبحتم بحاجة إلى هذا الخوف، فاسمحوا لي أن آخذ بأيديكم إلى باب من أبواب الحوائج. فإن هذا الباب قد أعطى حوائج

الكثير من الناس مع صغره. فتعالوا هذه الليلة ندقّ هذا الباب ونسأل هذه الحاجة المعنوية.

إن للحسين(ع) بنتا صغيرة قد أودعها في خربة الشام. تلك البلاد التي كانت أموية في ذاك الزمان وإذا بها انقلبت على يد هذه البنت الصغيرة، فإن تذهب الآن إلى الشام وتسأل عن دين الناس، سيجيبك الكثير أننا علويّون. وكان مبدأ تحول الشام من ذاك اليوم الذي دفنت فيها هذه البنت الصغيرة.

بأبي الطفلة المضروبة المهضومة! فإن لم تضرب هذه البنت لما ضرب طفل في التاريخ. فلا أدري بأي ذنب ضربوها؟! هل كان ذنبها هو أن قتلوا أباها ورفعوا رأسه فوق الرماح؟! فهل حقها هو أن تضرب بالسياط بهذا الذنب؟! ما كان ذنب هذه الطفلة وما كانت جريمتها؟! كفاها ذنبا أن تكون بنت الحسين(ع)! ويكفيها جريمة أن كانت تنادي أباها الحسين(ع) شوقا ولهفة إليه!

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

ا نهدف إليه في هذه السلسلة

إن المحاضرات والأبحاث التي نطرحها نحن الخطباء في هذه المنابر عادة لا تخلو من هذه الحالات التالية؛ فإما نطرح شيئا مغفولا عنه وقلّ ما ينتبه إليه الناس، فنتحدث ونذكّر الناس على هذا الأمر المهمّ الذي يعرف الناس أهميّته ولكنهم غفلوا عنه. وإما أن يكون الموضوع مجهولا لا يعرفه أحد، وهذه حالة

نادرة جدا، فنادرا ما يحصل أن نرتقي المنبر ونقول: نريد أن نتحدث في هذه المحاضرة عن شيء لا يعلمه أحد! إذ قد سمع الناس كثيرا من المعارف الدينية، إلّا أن تشتمل المحاضرة على نقطتين أو ثلاث لم يعلمها بعض الحضّار. وتارة تكون المحاضرة موعظة وهي أن يتحدث الخطيب مع الناس بقوّة وشدّة كي تستيقض قلوبهم من سباتها ويتأثرون بنصائحه ومواعظه.

أما الآن وفي سلسلة هذه المحاضرات، لم تنطبق هذه الأبحاث على واحد من تلك الأنواع في إلقاء المحاضرات، مع أني غير صالح لجميعها. إن الهدف الذي نرمي إليه في هذه السلسلة، لا هو من قبيل التذكير ولا من قبيل الموعظة ولا من قبيل التعليم والإخبار، بل هو من قبيل تغيير الرؤى.

إن رؤى الناس وحركتهم وأجواءهم الذهنيّة خاطئة ولابدّ من تغييرها. ولا يخفى أن تغيير الرؤى ليست بعملية هيّنة، إذ لا تتغير رؤية الإنسان بالاطلاع على معلومة خاصّة أو على رواية أو اثنتين. بل هو بحاجة إلى عمليّة جذرية ينقلع فيها عن رؤيته السابقة تجاه الدين ليحصل على الرؤية الجديدة التي رءاها صائبة.

إن وفّقتُ بعون الله لتغيير رؤيتكم، بعد ذلك إن حاولتم أن تغيروا رؤية أحد آخر، سوف تواجهون صعوبة، إذ إن تغيير الرؤى أساسا هو عمليّة صعبة. إن هذه الليالي الثلاثين في شهر رمضان لخير فرصة للتأمّل في موضوع واحد، وخير فرصة لإصلاح الرؤى. فإن الرؤية تختلف عن المعلومات البسيطة. إن الرؤية

غير التذكير، وإنّها تختلف بطبيعتها عن استماع الموعظة بهدف اندفاع الروح وكسب الحافز للعمل.

إن رؤية الناس بشكل عام تجاه موضوع الدين و ما يدور في فلكه غير صائبة

هنا أدعي ادعاءً في محضركم وهو أن رؤية الناس بشكل عام تجاه الحسن والصلاح غير صائبة. وإن رؤيتهم تجاه الدين غير دقيقة، إن لم أقل أنّها غير صائبة. إن رؤية الناس بشكل عام تجاه الحياة وفلسفتها غير صائبة. كذلك هم غير صائبين في رؤيتهم تجاه الهدف السامي والراقي الذي يجب أن يختاروه.

طبعا إن إثبات هذا الإدعاء بحاجة إلى بحث متسلسل طويل، وإلا فإن أكتفي بالإدعاء فقط، تواجهوني بسؤالين صعبين وسوف لا أستطيع الجواب بسهولة. وهي: ما هي رؤية الناس الخاطئة؟ ثم ما هي الرؤية الصائبة في رأيك؟

إنّ تبيين رؤيتنا بحدّ ذاته هو أمر عسير، فما بالك إن أردنا تبيين الرؤية الصائبة. إن ما أدعيه خلال هذه الأبحاث هو أن رؤيتنا تجاه التربية ومسار العبودية والسير والسلوك إلى الله وكذلك رؤيتنا تجاه الحياة وفلسفتها وفلسفة كل ما يجري ويحدث في الحياة ليست برؤية صائبة، أو على الأقل ليست دقيقة. فما نصبو إليه خلال هذه السلسلة هو تغيير الرؤى. فلابد أن تمتزج

مجموعة ومنظومة من المعلومات والمعارف معا لتنهض بتغيير رؤية الإنسان وتغيير قبلته واتجاهه. وأنا أعلم أن هذه الكلمات والعبارات هي كلمات كليّة وعامة لا يمكن إحساسها ولمسها، فلابدّ لنا من الدخول في البحث. فأقترح عليكم أيها الإخوة أن تواكبوا الأبحاث بلحاظ تسلسلها واتصالها، وإلا قد لا يحصل ما نصبو إليه.

ما معنى تغيير الرؤى؟

فلأشرح قليلا ما هو المقصود من تغيير الرؤى. إن لمست بيدك أعضاء فيل في الظلام الدامس، ماذا تشعر بهذا اللمس وما سيكون انطباعك عن هذا الكائن الذي لمسته بيدك؟ فمرة تمسّ بطنه ولعلك تزعم أنه سقف صلب، وأخرى تمس رجله فتتصور أنه عمود محكم، ثم تلمس جنبه وجسمه، فقد تشعر أنه جدار عال. فهل سوف تحصل على صورة كاملة وواضحة لهذا الفيل إن لمست باقي أعضائه؟ فهل تستطيع أن ترسم صورته؟! كلا أبدا.

أما إن ابتعدت عن الفيل قليلا وفُتِح لك المصباح، تستطيع أن ترى الفيل بنظرة واحدة، وعند ذلك تعرف حقيقة الأعضاء التي لمستها بيدك وسوف تعرف شأنها وموقها من كل جسم الفيل وما تؤدي من دور في هذا الحيوان ككل. فإن الصورة التي تلقيتها من الفيل في ذاك الظلام الدامس مع أنها لا تخلو من الصحّة تماما ولكنها لم تعطك رؤية صحيحة. وأنا أقول لكم إن كثيرا من

معلوماتنا المتناثرة عن الدين صحيحة ولكننا لم نستخرج من هذه الأجزاء صورة مركبة صحيحة عن الدين فلم نحصل على رؤية صائبة تجاهه.

إن الحصول على رؤية صائبة وصورة متكاملة تجاه الفيل أمر يسير، لكن تعالوا إلى الدين فما هي الصورة التي لابدّ أن نحملها عنه؟ أعدّوا فهرسا عن آيات القرآن التي تزيد عن ستة آلاف آية بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الوصايا الأخلاقية، فمن أين نبدأ وإلى أين ننتهي؟! وما علاقة بعضها ببعض؟ فهل يمكن أن نربط جميع معارف الدين كخرز السبحة في خيط واحد؟

فهذه مقدمة أضفناها إلى ما قدمناه في الجلسة الأولى حيث ذكرنا هناك أن لابدّ من تنظيم معلوماتنا المتناثرة عن الدين في نطاق منظومة واحدة. وأضفنا في هذه الليلة أن لابدّ أن تكون لنا رؤية شمولية وجامعة وصائبة عن مجموع المعارف الدينية بحيث تشخِّص الرابط والعلاقة بين مختلف أجزاء الدين.

أحد آثار هذه الرؤية، اتضاح تكليف الإنسان

ما فائدة هذه الرؤية؟ أرجو أن تسمعوا هذه العبارة بتمعّن. من أهم فوائد هذه الرؤية الشمولية والصائبة هي أنها تشخص تكليف الإنسان بشكل دقيق. إنه لإدعاء كبير جدا، وهو أنه ليس لنا في كل الحياة سوى تكليف واحد. فلابدّ أن نراقب شيئا واحدا فقط. وسوف نعي هذه الحقيقة إن شاء الله. فليس

المطلوب هو أن نقوم بمئة عمل ولأن أن نزيل مئة عيب ونحصل على مئة حسنة، فكلها أمر واحد.

فلابدّ أن نعرف ذاك الأمر الواحد الذي تشتمل عليه كل الأعمال الصالحة، إذ إن جميع الحسنات والصالحات بدءً من الحد الأدنى من القضايا الأخلاقية إلى أقصى مراتب عشق الله وعشق أوليائه، هي صور لهذا الأمر الواحد الذي لا آخر له. فإن عرفت هذا النظام وصحّت رؤيتُك واتجاهُك، عندئذ ترسم خطا مستقيما من موقعك الذي أنت فيه إلى نقطة الهدف، وسوف تعلم ماذا عليك وما الذي يجب أن تقوم به.

أما إن لم يقدر الإنسان على رسم هذا الخط المستقيم، يبقى في حيرة بين مختلف الفضائل والرذائل فلا يدري أيصلح حسده أم يراقب بخله أم يقضي على حب المقام أم يزيل حب الراحة؟! أفهل هي عيب واحد أم عيبان؟ بل هي آلاف، فما يصنع هذا الإنسان المسكين الضائع بين عيوبه ورذائله؟!

إن هذه الحيرة ليست بحالة جيدة، فليس من الصحيح أن يكون الإنسان في حيرة من أمره لا يعرف حاجته الأولى من بين مختلف الصفات الجيدة، من قبيل الصدق والصبر والتواضع والكرم وغيرها. إن هذه الحالة هي حالة الحيرة المذمومة. قد يقول البعض أن الجميع مبتلون بهذه الحيرة. أقول: فهل تصبح حالة جيدة إن ابتلى بها الجميع؟! فأين موقع معرفة النفس إذن، وكيف نتمكن

من محاسبة النفس؟ فإن لم تكن رؤيتي صائبة تجاه الطريق الذي أريد أن أسلكه وإن لم أعرف تكليفي الرئيس ولا أميّز بين التكليف الأصلي والفرعي، لن أستطيع أن أحاسب نفسي أبدا.

من آثار هذه الرؤية، تبلور الحكمة في قلب الإنسان

إن دور النبي(ص) هو أن يعلّم الناس الكتاب والحكمة؛ (هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) [الجمعة:2] فما معنى الحكمة؟ إن الكتاب هو علم يدخل في قلب الإنسان من الخارج، أما الحكمة فهي علم تفور من داخل القلب. فالحكمة هي إنتاج العلم لا تعلّمه. فكأن الله أراد من النبي الأعظم(ص) أن يربّي أفراد أمّته لكي يصيروا حكماء.

من خصائص الإنسان الحكيم هي أنك عندما تقرأ عليه الروايات، يتقبلها بكل رحابة صدر ويؤيدها بقلبه. فهو يدرك صحتها ويعرف موقعها من الدين. فتجده يتحدث بمضمون الروايات قبل أن يسمعها أو يعثر عليها في كتب الحديث. فتأتي الآيات والروايات مؤيدة لما كان يشعر به في قلبه.

متى يصل الإنسان إلى هذه الحكمة؟ عندما يشاهد الفيل كلّه بنظرة واحدة. أما إن لم ير الإنسان هذا الفيل وكانت معرفته به عبر بعض اللمسات المتفرقة وحسب، لا يستطيع أن يصدّق أو يستوعب كثيرا من كلمات المتحدّث

عندما يتحدث عن الفيل. فإذا تحدّث عن ذنبه أو تحدّث عن خرطومه يتلقّى هذه المعلومات كمعلومات جديدة غريبة على قلبه وقد لا يستطيع الاستيناس بها.

أما الحكيم فهو الذي قد رآى الفيل كلّه. فعن أي عضو من أعضاء الفيل تتحدث معه، يتفاعل معك ويكمل كلامك وحتى قد يزيدك ببعض المعلومات. فالحكيم هو ذاك الإنسان الذي تلصق الروايات بفؤاده لشدّة انسجامها مع ما طُبِع عليه قلبُه، ثم يعرف موقع الروايات من الدين وما هو دورها في حركة الإنسان الدينية. هذا هو أحد أبعاد الحكمة.

من خصائص الحكيم هي أنّه يكون على بصيرة من نفسه. فهو يعرف داءه وعيوبه. ذات يوم قال لي رجل من أولي البصائر والألباب: إن بيني وبين الإمام الخميني(ره) بونا شاسعا. فاستغربت من قوله وقلت في نفسي: أمن الفنّ أن يعرف الإنسان أن بينه وبين الإمام الخميني(ره) بعد المشرقين؟! ولكني ما كنت أستطيع أن أبدي استغرابي له إذ كنت أحترمه كثيرا. ثم زال استغرابي في جملته التالية حيث قال: ولكني أعلم السبب والداء الذي جعلني أتأخّر عن مقام الإمام(رض). فعرفت أنه يتحدث بحكمة ووعي. وإلا فأنا أيضا أدعي أن هناك بون شاسع بيني وبين الإمام(رض)، ولكني لا أعرف الأمراض التي أخّرتني عن ذاك المقام، ولكنه قال إني أعرف العلة والداء الذي سبّب هذا البون الشاسع.

هذه هي الحكمة. فإنها تجعلك تفهم وتعلم أكثر ممّا سمعت. وهـذا هـو أثـر الرؤية والمشاهدة، حيث إنك تشاهد مشهدا عبر لحظة واحدة، ولكنك تقدر على كتابة ما شاهدت في مئة صفحة. وكلما رأيت المشهد من زاوية جديدة، تستطيع أن تكتب حقائق جديدة عن المشهد. فينبغي أن نرى الدين بطريقـة نتمكـن مـن شرح مختلف أبعاده للناس وأن نعطيهم صورة صحيحة عن الدين. لابد أن ندرك ماهية علاقتنا بالدين جيّدا ولا نخدع أنفسنا.

مرور على ما انتهينا إليه في الجلسات السابقة

كل هذا الكلام الذي مـرّ الآن واسـتغرق ربـع سـاعة، كـان مقدمـة البحـث. فلنرى هل نستطيع أن نتقدم في البحث في نصف الساعة الباقيـة. فلنسـتعرض بإيجاز ما انتهينا إليه في الجلسات السابقة.

لقد خلق الإنسان بصفته قادرا على إيجاد التغييـر فـي وجـوده، وقـد عبّرنـا عن هذا المعنى في الليلة البارحة بإنتاج القيمة المضـافة. فتـمّ القـرار علـى أن يكون الإنسان قادرا على ترقية نفسه وتحسينها. ثم قلنا لا يتمّ هذا الإرتقـاء عـبر ازدياد المعلومات وحسب، إذ إن مجـرّد ازديـاد المعلومـات لا يحسّـن شـيئا فـي العالم. وسوف تتضح أحقية هذا الإدعاء من خلال الأبحاث التالية.

إن الارتقاء والتطـوّر منـوط بـأن تشـتملَ أنـت علـى رغبـة أو رغبـات، ثـم تتخلّص من بعض رغباتك عبر صراع شديد بين الرغبـات، إلـى رغبـات أخـرى. أو أن تغيّر هواك في خضمّ تضارب الأهواء. فهذا الارتقاء منوط بتغيير ثمين.

فإن كنت تحبّ شيئا ما ثم تعمد إلى أكله أو لبسه أو اتخـاذه تلبيـة لهـواك، فإنك لم تتغيّر. وسوف يكون شأنك كشأن الملائكة الذين يحبّون الله ويسـبحون بحمده بمقتضى طبيعتهم، فإنهم لا يقدرون على إيجاد تغيير في داخلهـم. فـإنهم صالحون ويبقون صالحين. ولكنك لست مثلهم إذ المفترض منك أن توجد تغييـرا وأن تتكامل وتكسب الصلاح عبر عمليّة التغيير. هنا قد يتبادر فـي ذهنكـم سـؤالا وهو لماذا وجب ذلك وما السبب مـن اختصـاص الإنسـان بهـذا التغييـر، وسـوف نجيب عن هذا السؤال لاحقا إن شاء الله.

لقد قُدّر للإنسان أن يكون قادرا على تغيير نفسه ويكسب الصلاح عبر هذا التغيير، لا أن يكون موجودا صالحا من الأول كما هو الحال في الملائكة. بل لابـد أن يترقّى ويصلح من خلال صيرورة وتغيّر. فـإن نجـح إنسـان فـي هـذه العمليّـة واستطاع على إنجاز ذلك فقد سبق الملائكة وتفوّق عليهم. ولا سـبيل لنيـل هـذا الهدف سوى أن تكون مشتملا على رغبات متعددة، وتُعطى حقّ الاختيار من بين أهواء ورغبات شتّى وكذلك تُعطى قدرةَ الاختيار، ثم تصرع رغبةً وتختار أخرى.

هذا هو الحدث الرئيس الذي خُلقتَ إنسانا من أجله. وقد بدأت حياتك الإنسانية من هذا المنطلق. وصار الإنسان إنسانا لما يشتمل عليه من أهواء متضاربة لابدّ أن يختار بعضها دون الأخرى وهذا هو شأنه إلى آخر عمره. أما ما هي الرغائب التي لابدّ أن يصرعها الإنسان وما التي يجب أن يختارها وكيف يكون مسار هذا الصراع، فلابدّ أن نتحدث حول هذه المواضيع في المستقبل.

فلسفة خلق الإنسان/ هوية الإنسان الرئيسة/ حقيقة الدين

السؤال الذي لابدّ أن نجيب عنه بادئ ذي بدء ونهضمه جيدا هو أن لماذا جئنا إلى هذه الدنيا أساسا؟ لقد جئنا إلى الدنيا لنرغب ونشتهي بعض الأشياء ثم لا نمدّ أيدينا إليها. جئنا لنحبّ بعض الأشياء ثم نعاني من حرمانها. جئنا إلى الدنيا لنجاهد شهواتنا. ثم ما قيمة العلم في هذه الظروف؟ العلم خادم لهذا الحدث وهذه الملحمة. العلم خادم لهذا الجهاد. هذه هي قيمة العلم. فلا قيمة للعلم بالأصالة بل هو خادم لهذا الجهاد ويسهّل عملية الجهاد على الإنسان. إنه يهدي الإنسان ويخدمه في هذا المسار. فإن استخدمته في هذا السبيل يكون علما نافعا قيّما، وإلّا فيصبح مدعاة لهبوط مستواك وقلة قيمتك.

وكذلك الحال في العمل، فالعمل القيّم هو ما كان ناتجا من هذا الجهاد. أما إذا كان من قبيل عمل النحل في عمليّة إنتاج العسل فلا فائدة له. إذ يطير النحل ويجلس على الأزهار ويمتصّ شهدها ثم ينتج العسل بمقتضى غريزته

وطبيعته. فهل يستحق الأجر والثواب والجنان بهذا الإنتاج؟! كلا، إذ لا قيمة لهذا العمل ولأن الله لم يعلّمها عملا آخر، ولم تتردّد النحلة بين خيارين قطّ حين طيرانها في البساتين والحدائق، ولم تهشّ نفسها إلى الميتة مثلا لتبقى مترددة بين امتصاص دم الميتة أو شهد الزهور! فبسبب هذا الفارق الأساسي، صار الزنبور زنبورا وصرتَ أنت آدميّا. فمنذ أن عزم الله على أن يجعلك إنسانا، شاء لك أن تجاهد أهواءك فقد أُخِذ عنوان «مخالفة الأهواء» كعنصر محوري في تعريف هويّتك الإنسانيّة.

لعلّك تسأل: أيّ الرغائب أحاربها؟ ولكن قبل أن تطرح هذا السؤال حاول أن تثبّت هذه الحقيقة في ضميرك، وهي أن قد خلقت من أجل مخالفة أهوائك. فحاول أن ترسّخ هذه الرؤية وتثبتها جيّدا، ثم يأتي الله ويعطيك البرنامج، إذ إن الدين هو برنامج جهاد النفس. فإن لم تكتبوا العبارة مئة مرة هذه الليلة، فعلى الأقل اكتبوها بخط كبير مرة واحدة وانصبوها أمامكم.

إن الدين عبارة عن برنامج لجهاد النفس ومخالفة بعض الأهواء. هذا هو برنامج الدين، ولكن قبل أن يكون جهادُ النفس برنامج الدين، كان جزءً من هوية الإنسان وكان يمثل فلسفة خلق الإنسان. وقد سبق أن قرأت لكم كلام أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «فِی خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُهَا»(تحف العقول/ص 91). فإنّ هويّة الإنسان وصلاحه، في هذا الجهاد بغض النظر عن أحكام الله ويوم القيامة،

بل قد صُبّت تركيبة الإنسان على هذا الأساس. فمن لم يجاهد نفسه يخـرج عـن تعادله ويترنّح يمينا وشمالا.

لم يفهم الكثير معنى الدين و معنى الحياة

أتذكر في أيام الصبى حيـث كنـا نـذهب إلـى المدرسـة فـي طهـران، كـان المعلمون يمارسون الضرب ويؤدبون الطلاب بهـذا الأسـلوب. ذات يـوم أحضـر الأستاذ الطالب وقال له: ارفع يدك وبدأ يضربه. فكـان الطـالب يصـرخ ويقـول: «أوجعتني العـودة، لا تضـرب يـا أسـتاذ»! فـردّ عليـه المعلّـم متعجبـا وقـال: أنـا أضربك لتتألم وتشعر بالوجع. يبدو أنـك لا تعـرف معنـى هـذا الضـرب ولا تعـرف سببه، إذ إن الغاية مـن الضـرب هـو الألـم! فكلمـا كـان الطـالب يتـأوّه ويصـرخ ويقول: أوجعتني وألمتني...، كان يقول المعلم: إنني جئت أضربك من أجـل هـذا الوجع والألم. فإن كنت غير راض، حاول أن لا أضـربك أبـدا، لا أن تعـترض علـى وجع الضـرب. فكـانت نظـرة هـذا الطـالب تجـاه ضـرب المعلـم وتـأديبه نظـرة خاطئة.

وكذلك الحال في من يستدلّ على عمل ما لكونه يُعجبـه، ففـي الواقـع إن رؤيته للحياة غير صحيحة. فقد زعم أن الحياة هي مثابرة للحصول علـى الأهـواء والمشتهيات. في حين أن الحياة على عكس ما يزعم تماما.

فقد جئنا في هذه الدنيا لنخالف أهواءنا ومشتهياتنا المتنوعة والمتضادة والمتعارضة ولابدّ لنا من أن نضحّي ببعضها في سبيل بعض أخر وتعسا لي إذ دائما أضحّي برغباتي الفطرية والإلهية في سبيل الشكلاتة والحلويات وأمثال هذه التوافه وطوبى لكم إذ تضحون بمشتهياتكم الدنيوية في سبيل رغائب أسمى وأعلى.

لعلك تسألني ألا يمكن أن يكون الدين بالنحو الذي يوفّر لنا ما نرغب وما نشتهي ولا يعارضها؟ لعلك لم تعِ القضية جيدا، ولم تفهم السبب من خلقك إنسانا. فإن أدرك الناس هذه الحقيقة، بعد ذلك لا يمكن لأحد أن يغضب في الشارع أو البيت. فهذا الذي يغضب وينفعل بمجرد أن يزعجه أحد، لم يفهم معنى الحياة. فهو يتصور أن المفترض والقاعدة هي أن لا ينزعج ولا يتألم في حياته. فلا يعلم المسكين أن فلسفة الحياة هي أن يتألم ويلاقي مختلف الإزعاجات.

أكتبوا هذه الآية المباركة؛ (لَقَد خَلَقنَا الإنسانَ فِى كَبَد)[البلد:4] فقد خلق الله الإنسان في كبد، لا أنه مجرد قد اقترح عليه أن يكابد. فما معنى الكبد؟ يعني الشدّة والأحداث التي لا تلائم هواي. هذه هي فلسفة الحياة، وليست أحداث جاءت بها الصدفة. فقد خلقتَ لهذا العناء وتجرّع هذه الآلام.

لابدّ من تربية الأولاد على هذا الأساس

متى يبدأ الوالدان بتعليم الكَبَد والعناء لأولادهم؟ لا أن يفرضوا عليهم العناء ويصعّبوا عليهم الحياة حتى يتعقدوا ويفرّوا من العناء. إن تربية الولـد بمعنـى أن ترحّب صدره لاسـتقبال الكبـد والعنـاء. فلابـدّ أن يصـبح الولـد أهلا لتحمـل الآلام والمشاكل. لابدّ أن تتحدث أمّه معه بكل سـهولة عـن المشـاكل والآلام والمحـن التي سوف تنهال عليه في حياته. فكلما شعر الولد أنه تخلص من مشاكل الدنيا وآلامها لابدّ أن تنبهه على اشتباهه وتقـول لـه: لا تنخـدع عزيـزي فسـوف تأتيـك سهامها وآلامها ومحنها، فلا تخف إذ هـذه هـي قاعـدة الحيـاة. يـروي يـونس بـن يعقوب يقول سمعت الإمام الصادق(ع) يقول: «مَلْعُونٌ كُـلُّ بَـدَنٍ لَا يُصَـابُ فِـي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْماً قُلْتُ مَلْعُونٌ قَالَ مَلْعُونٌ قُلْتُ مَلْعُونٌ قَالَ مَلْعُونٌ فَلَمَّا رَآنِـي قَـدْ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قَالَ يَا يُونُسُ إِنَّ مِنَ الْبَلِيَّةِ الْخَدْشَةَ وَ اللَّطْمَةَ وَ الْعَثْـرَةَ وَ النَّكْبَـةَ وَ الْهَفْوَةَ وَ انْقِطَاعَ الشِّسْعِ وَ اخْتِلَاجَ الْعَيْنِ وَ أَشْبَاهَ ذَلِكَ إِنَّ الْمُـؤْمِنَ أَكْـرَمُ عَلَـى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْماً لَا يُمَحِّصُهُ فِيهَا مِـنْ ذُنُـوبِهِ وَ لَـوْ بِغَـمٍّ يُصِـيبُهُ لَا يَدْرِي مَا وَجْهُهُ وَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَضَعُ الدَّرَاهِمَ بَيْـنَ يَـدَيْهِ فَيَزِنُهَـا فَيَجِـدُهَا نَاقِصَـةً فَيَغْتَـمُّ بِـذَلِكَ ثُـمَّ يُعِيـدُ وَزْنَهَـا فَيَجِـدُهَا سَـوَاءً فَيَكُـونُ ذَلِـكَ حَطّـاً لِبَعْـضِ ذُنُـوبِهِ». [التمحيص/ص 31]

فإن صببت كلّ نشاطك في الحياة الدنيا من أجل إزالة الآلام والمتاعب عن حياتك فإنك مشتبه تماما وتهدف إلى غاية لا تنالها أبدا. وإن دلّت مساعيك العقيمة على شيء فإنها تدل على أنك لم تفهم معنى الحياة.

ما الذي نستطيع أن نغيره في خضمّ الآلام والمحن؟

الشيء الوحيد الذي تقدر عليه في خضمّ هذه الحياة المليئة بالمحن هو أن تختار نوعية محنتك وترفع مدى انتفاعك بمحنتك. بمستطاعك أن تحسن الاستفادة من ألمك كما بإمكانك أن تستقبل وتتلقى وتحتضن المحن التي اخترتها. فاستقبل المحن إذ قال أمير المؤمنين(ع) في دعاء كميل: «لا يمكن الفرار من حكومتك». ما معنى عدم إمكان الفرار من حكومة الله؟ أحد أوجه حكومة الله هي هذه السنن التي تتحكم في حياة الإنسان ومن أصول هذه السنن هو المحنة وكوني عاجزا عن محو المحن والآلام في الحياة.

فإني باق في المحن وسأعيش في خضم الآلام، ولكن إلهي! أعنّي على تحمّل أفضل الآلام وأرقاها، لا أن أعاني وأتألم بسبب الحسد. لماذا نعاني من الحسد؟ فلنختر المعاناة والآلام الراقية والسامية إن كان لابدّ لنا منها.

أحد خيارات الألم والعناء التي أمامكم هو ألم الحسد، فإن ألم الحسد وحزنه شديد جدا وحتى قد يصيب الإنسان بأمراض غريبة. والخيار الآخر هو ألم الحسرة، وذلك أن تتحسر على ما فقدته وضاع منك، فهو حزن يحكي عن خلل

عقائدي، إذ قال الله سبحانه: (ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا في أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسير * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُور)[الحديد:22ـ 23].

هذه نماذج من الآلام والأحزان التعيسة والسلبية.

وهناك آلام جيدة، مثل ما لو تفضلت على أحد ورأفت به، ثم ينكر فضلَك ولا يقدّرك. أو أن تقوم بعمل أو إنجاز ما فيأتي آخرون ويُشْهرونه باسمهم. كيف تريد أن تحترق ويتألم قلبك، بالحسد أو بسرقة جهدك ونشاطك؟! أما أن تقول لي: لا أريد أن يحترق قلبي مهما كان السبب، فهذا ما لا يمكن. فلا تفرّ واختر أحدهما فلا يمكن أن يصلح الإنسان إلا أن يغصبوا حقّه. إذ إن راقب الإنسان جميع الناس وجميع الشؤون حتى لا يظلمه أحد ولا يغصبه أحد ولا يأكل حقّه أحد، فهو أشبه شيء بالذئب من الإنسان. فقد روي عن الإمام الصادق(ع): «لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ مُطَالَبَةُ الْإِخْوَانِ بِالْإِنْصَافِ»[أمالي الطوسي: 280]

هل تظن أن الله يسمح لك بالفرار من هذا القانون وأن تعيش حياة هادئة بلا أن يظلمك أحد. فما إن تسلك سبيل الصلاح وتحاول أن تحسّن نفسيتك وروحيّتك، وإذا يبتليك الله بأشخاص لا يقدّرون فضلك وإحسانك فتندم من كلّ فضل وإحسان!

لا يمكن الفرار من الحزن والعناء فاختر ما شئت من أنواعها. أيهما أفضل التحسر على ما فاتك من الدنيا، أو حزن الخجل والندم بين يدي الله؟ فإذا كنت ممن يتحسر على الدنيا، لن تتمكن من البكاء والتحسر على فرص التقرب إلى الله، ولن تقدر على بكاء التوبة أبدا، إذ قد انشغل لبّك بالأحزان الأولية الدنيوية.

كيف كانت مراقبة أولياء الله

لقد آمن أولياء الله بقوله تعالى (لَقَد خَلَقنَا الإنسانَ فِى كَبَد) فأخذوا يراقبون قلوبهم، لكي لا يعتريها حزن سيّئ للحظة واحدة، وفي المقابل لا تخلو قلوبهم من حزن جيد. لقد جعلوا حياتهم على أساس أن لا تخلو من الأحزان الجيّدة. وأنا أعرف بعض أولياء الله الذين كانوا يؤذَون وحتى يضربون من قبل زوجاتهم. هذا هو قانون الحياة، إذ قد أعدّ الله المرارة والعناء والحزن والبلاء للجميع.

إن استطعت أن تجعل أحزانك أحزانا راقية جيّدة، تزدهر وتنمو. سلام الله على الحسين(ع) إذ كل ما اشتدّت عليه المصائب والأحزان يوم عاشوراء ازداد وجهه إشراقا. كما قال الإمام زين العابدين(ع): «وَ كَانَ الْحُسَيْنُ(ع) وَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَصَائِصِهِ تُشْرِقُ أَلْوَانُهُمْ وَ تَهْدَأُ جَوَارِحُهُمْ وَ تَسْكُنُ نُفُوسُهُم»[معاني الأخبار/288]

لمّا عفا الله النبي إبراهيم(ع) عن ذبح ابنه إسماعيل، حزن إبراهيم وتمنّى أن لم يؤمر بذبح الكبش. إنه كان يحبّ إسماعيل(ع) ولكنّه حزن بعد هذا الإعفاء، إذ فاتت منه فرصة التضحية وتقديم القربان. ما معنى القربان وتقديم الأضحية أيها الإخوة؟ هو أن تذبح شيئا تحبّه في سبيل الله وبأمر الله. فحزن إبراهيم لأنه لم يوفّق لتقديم الأضحية في سبيل الله، إذ لم يقدّم ابنه إسماعيل. وكان إبراهيم صادقا في حزنه واكتئابه.

أسألكم سؤالا؛ هل أن الله قد خفّف الحزن والبلاء على إبراهيم بإعفائه عن ذبح إسماعيل؟ هل تتصورون ذلك؟! كلا، إذ لم يخفّف الله على إبراهيم أبدا. إنه قد عفاه عن ذبح ابنه إسماعيل ولكن كشف له عن حدث مفجع آخر لا تساويه فجيعة ذبح مئة إسماعيل. لقد قال الله سبحانه له: «يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيْكَ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا خَلَقْتَ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ص فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسُكَ قَالَ بَلْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي قَالَ فَوُلْدُهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وُلْدُكَ قَالَ بَلْ وُلْدُهُ قَالَ فَذَبْحُ وُلْدِهِ ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْجَعُ لِقَلْبِكَ أَوْ ذَبْحُ وُلْدِكَ بِيَدِكَ فِي طَاعَتِي قَالَ يَا رَبِّ بَلْ ذَبْحُ وُلْدِهِ ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْجَعُ لِقَلْبِي» وكان إبراهيم صادقا في هذه الأجوبة. ثم نقل الله قلب إبراهيم إلى كربلاء وإلى جانب حفرة مقتل الحسين(ع)، فكأن كل هذه القصّة كانت مقدمة لمجلس عزاء الحسين(ع). ثم قال له: «يَا إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ

طَائِفَةً تَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ سَتَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ ظُلْماً وَ عُدْوَاناً كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ وَ يَسْتَوْجِبُونَ بِذَلِكَ سَخَطِي»[الخصال، ج 1، ص 58]. فهل قد خفف الله على إبراهيم؟ كلا بل أوجع قلبه بألم وحزن أشدّ. فلو كان قد ذبح إسماعيل لما انفجع قلبه بهذه الشدّة، إذ لم يأخذ إسماعيل موقع الحسين(ع) من قلب إبراهيم(ع).

توبوا إلى الله من أحزانكم الرخيصة

لابدّ أن نبحث عن الآلام والأحزان الراقية والبناءة. ولنتب إلى الله سبحانه في هذه الليلة من الآلام السيئة التي تحمّلناها وبذّرنا بها طاقاتنا وأتلفنا بها قوانا فقضينا بها على إنسانيتنا وسوّدنا بها قلوبنا ولم نحصّل بذلك غير الألم والعناء. فلنتب من هذه الآلام التعيسة، ونتقرب بهذه التوبة إلى درجة الاستغفار.

كيف كان أولياء الله، وكيف عاشوا وما كانت آلامهم وأحزانهم؟ فكل أحزانهم كانت في خدمة الله وفي سبيل الله وبسبب ما كانوا يشعرون به من البعد عن الله والبطؤ الذي كانوا يشعرون به في مسيرتهم نحو الله. فهذا كان حزنهم وألمهم وكانوا يزدادون حزنا وألما يوما بعد يوم.

كان يتجلّى لهم الله سبحانه بشيء من جماله وآلائه، فكانوا يحزنون من بعدهم عن الله وطول المسافة بينهم وبين الله، مع قربهم واتصالهم بالله. وكلما يتجلى لهم الله سبحانه يأخذهم الخجل والحياء والحزن والحسرة، إذ

يرون أنفسهم عاجزين عن أداء شيء من حق الله عليهم. ولهذا يبكون ويضجون ويسكبون الدموع ويطيلون الوقوف بين يدي الله.

لماذا لا نقدر على تجرّع هذه الآلام والأحزان؟ لأننا غرقنا في مستنقع الحياة الدنيوية وانشغلنا بآلامها وأحزانها وعنائها عن تلك الأحزان الراقية. ينقل السيد أحمد ابن الإمام الخميني(رض) أن الإمام كان يمسح دموعه في آخر سنة من عمره بالنمنشفة وما كان يكفيه المنديل! وهذا حزن لا علاج له، إذ مهما أجابه الله ولطف به وتجلى في قلبه، يبقى يشعر بمدى بعده عن الله وتبقى دموعه تنهمر من شدة هذا الحزن الجميل والرائع.

أما نحن التعساء فلا نشعر بهذا الحزن. إذ أردنا أن نفرّ من الأحزان والغموم ولم نخضع لقاعدة الحياة و فلسفتها. فما زلنا نعترض على خلقنا و فلسفة خلقنا، ونفرّ من الآلام والمتاعب كالأطفال.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

يا أبا عبد الله! إن ما شاهده إبراهيم الخليل من مسافة آلاف السنين وفجع به طيلة حياته، قد شاهدته العقيلة زينب من مسافة أمتار. ساعد الله قلب زينب، فيا لها من امرأة عظيمة. الهي في هذا الشهر المبارك وفي هذه الجلسات عرفنا على عظمة مقام العقيلة زينب.

لا أدري، فلعلّ قد خطر لإبراهيم هذا السؤال أن من الذي رأى الحسين(ع) في آخر لحظات حياته، ومن الذي ودّعه آخر مرة. ألا يا إبراهيـم! العقيلـة زينـب هي آخر من ودعت الحسين(ع)، هي التي حيرت عقول الرجال بصبرها وطاقتها على تحمل هذا المصاب العظيم. وأنا لا أدري أين كانت زينـب حينمـا رفـع رأس الحسين(ع) على الرماح؟

...ألا لعنة الله على القوم الظالمين

مرور على ما سبق

لقد بدأنا الأبحاث ـ أيهـا الإخـوة الأعـزّاء ــ بطـرح موضـوع بـدلا م ـن طـرح مسألة. فقد كان موضوعنا بالتحديد هو الجهاد الأكبر، أو جهاد النفس أو مخالفــة الهوى على أساس مختلف التعابير التي جاءت في الروايات وآيـات القـرآن. ثـم طرحنا في أجواء هذا الموضـوع سـؤالا مهمّـا ثـم تحـوّل السـؤال بالتدريـج إلـى مسألة وقضية.

سألنا لماذا اعتبر النبي الجهاد جهادا أصـغر مـع كـونه مـن أفضـل الأعمـال الصالحة وقد ينتهي إلى الذروة والقمة المتمثلة بالشهادة، وبالرغم من اشــتماله على الصعاب والمتاعب، ثم دعا إلى جهاد من نمط آخر وسمّاه الجهاد الأكبر.

هل أن مخالفة النفس ومحاربة الأهواء النفسية جهاد واقعا؟ وهل أنها أكبر من ذلك الجهاد؟ وهل أن ظاهرة الحرب وأيام الدفاع المقدس التي عشناها في

بداية الثورة، هي ظاهرة أصغر من الجهاد الأكبر؟ فقد انطلقنا بالبحث من هذا الموضوع.

ثم أردفنا إلى هذا الموضوع بعض المعلومات وأجّلنا إثباتها إلى إشعار آخر. فكانت هذه المعلومات هي أن هناك عبادة سيئة وأساسية في مقابل عبادة الله، وهي عبادة الهوى. وهي النقطة المقابلة لجهاد النفس. فقرأت عليكم بعض الروايات في هذا المجال من قبيل ما روي عن رسول الله(ص) حيث قال: «ما تَحَت ظِلِّ السَّماءِ مِن إلهٍ يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ أعظَمَ عِندَ اللهِ مِن هَوىً مُتَّبَعٍ» [ميزان الحكمة، ج 13، ص 61]

ثم ذكرنا أن الروايات قد اعتبرت مخالفة الهوى نظامَ الدين، فقد روي عن أمير المؤمنين(ع): «نِظَامُ الدِّينِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى وَ التَّنَزُّهُ عَنِ الدُّنْيَا»[تصنيف غرر الحكم، ص 241]. ما معنى نظام الدين؟ يعني خيط السبحة. فعلمنا أن الجهاد الأكبر ليس أكبر من الحرب والجهاد المسلح وحسب، بل إنه نظام الدين والنقطة المقابلة له هو اتباع الهوى. ثم ذكرنا أن العمل الرئيس والأساسي الذي يجب أن نقوم به طيلة حياتنا من أوّلها إلى آخرها ليس سوى جهاد النفس.

لا يكفي العلم بأهمية جهاد النفس

ولكن لا تنحل المشكلة بمجرّد أن قلنا أنّ أهـمّ جهـادٍ هـو جهـاد النفـس، إذ من أجل أن ندرك هـذا الكلام ونقتنـع بـه، لابـدّ أن نعـي بعمـقٍ أنّ جهـاد النفـس محور عبادتنا وحياتنا.

أنا أعتقد أن تسعة وتسعين في المئـة مـن النـاس الـذين سـمعوا بالجهـاد الأكبر ومخالفة النفس لم يفهموا معناه جيدا. كما أني أسوأ حالا من جميعهم ولا سـيما علـى مسـتوى العمـل. ولكنـي أرى أن هـذا الموضـوع لـم يأخـذ مـوقعه المحوري فـي أذهـان النـاس ورؤاهـم، فليسـت هنـاك رؤيـة صـحيحة تجـاه هـذا الموضـوع. وقـد قلـت فـي مقدمـة المحاضـرة السـابقة إننـا نهـدف عـبر هـذه السلسلة إلى تغيير الرؤى تجاه هذا الموضـوع. فمـن أجـل إدراك هـذه الحقيقـة بعمق، ووجدان محورية جهاد النفس في الحياة والدين، ومن أجل أن يصبح هـذا الجهاد همّنا الرئيس في الحياة، لابدّ من كلام ونقاش وبحث مفصـل، إذ لا تنحـل المشكلة بكلمتين.

ثم بعد ما اتضحت لنا هذه الحقيقة واستوعبناها بكل وجودنـا، حينئـذ ننتقـل إلى كيفية هذا الجهاد، وما هي الرغبات الـتي لابـد مـن محاربتهـا وكـم يجـب أن نخالف أهواءنا. فهذه أبحاث تأتي في المرحلة الثانية. أمـا الآن فلابـدّ أن نسـعى لاتضاح أصل هذه الحقيقـة. فـإن اتضـحت سـوف تسـخّر ذهننـا وإدراكنـا بشـكل

كامل. وسوف تكون حاضرة في ذهننا دائما، وتبشّر بمراقبة مستمرة مؤثرة وموفقة. إنكم لستم أشخاصا سيئين، فلماذا تفرّطون بطاقاتكم؟ ولماذا تسمحون لقواكم أن تضعف وتتضاءل فتعجزون عن المراقبة؟ لأنكم تزعمون أن يجب عليكم أن تراقبوا أنفسكم في مئة قضية. ولكن القضية ليست كذلك. فلابدّ لكم من مراقبة قضية واحدة. أما دمج مئة موضوع في موضوع واحد بحاجة إلى فهم عميق جدا.

لابدّ أن تدرك هذه الحقيقة بكل وجودك يا أخي العزيز! وهي أنّك لا تحتاج إلى مواجهة الحرص والحسرة الباطلة، ولا تحتاج إلى الاحتكاك بموضوع الصدق والصبر وكثير من المواضيع الأخرى. كما لست بحاجة إلى الاحتكاك بالتكبّر والتواضع. فأنت بغنى عن الاحتكاك بكثير من المواضيع، إذ قضيتك قضية واحدة فصبّ همّتك كلّها في معالجة هذه القضيّة. وسوف نخوض في هذا الموضوع إن شاء الله.

لا مفرّ للمؤمن وغير المؤمن من جهاد النفس

لماذا جهاد النفس؟ لا أريد أن أكرّر ما ذكرته في الليالي السابقة، بل أحاول أن أجيب عن هذا السؤال بإشارة وبطريقة أخرى؟ أولا، لا يخفى عليكم أيها الإخوة أن جهاد النفس عمل عسير. ومن جانب آخر لستم وحيدين في

مخالفة هواكم، بل قد اجتمع الله ووجودكم والكون بأجمعه على مخالفة هواكم، سواء أكنتم مؤمنين أم كافرين. هذا معنى كونكم غير وحيدين.

يقول الله سبحانه وتعالى: (لَقَـد خَلَقْنـا الإنسـانَ فـي كَبَـد) لا «لقـد خلقنـا المؤمن في كبد». فلا سبيل لأحد إلى حذف الكبد والعناء من حيـاته. وقـد سـبق أن ذكرنا معنى الكبد والعناء وهو تلك الأحداث التي تقع بما لا تشتهي أنفسنا.

بالرغم من سلوك بعض المساكين الجهلة الـذين يفسـقون بهـدف تخفيـف الألم والعناء عن حياتهم وأولئك الذين يفرّون من الدين طلبا للمزيد مـن الراحـة وفرارا من العناء، لا يستطيع أحد أن يخفف مـن عنـائه بـترك واجـب أو ارتكـاب محرّم. ولا يشدّد الالتزام بالدين من عناء الإنسان.

إن مخالفتك الهوى ليس من وظائفـك فقـط، بـل هـي مـن شـؤون دنيـاك وشؤون ربّك أيضا. فلن يسمح الله سبحانه لك بحياة بلا عناء ومنغّصات. هذا هـو الواقع شئت أم أبيت. لمـاذا؟ سـنتحدث عـن العلـة لاحقـا كمـا تحـدثنا قليلا عـن سبب هذا الشيء سابقا. أما الآن فلنشاهد الواقع ونرى هذه الحقيقة في العـالم وهي أن لا مفرّ من العناء والكبد لإي إنسان مهما كان دينه وعمله.

هل تتصورون أن تحمّل العناء مختـصّ بمـن يريـد أن يسـلك الطريـق إلـى الله؟ كلا! فقد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى من القرآن الكريم: (يا أَيُّهَا الإنْسَانُ إنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كـدْحاً فَمُلاقيـهِ)[الانشـقاق:6]. أنـا قـد طرحـت هـذا

الموضوع في مكان آخر بلا أن تكون لي الفرصة الكافية للخوض فيه بالتفصيل. فجاءني بعض المستمعين الكرام وقال لي: إن كلامك مرّ جدا! فأرجو من الإخوة أن يمعنوا النظر في مضامين الأبحاث ليروا هل الكلام مرّ واقعا؟! أليس هذه الخطاب الصريح مستوحى من أسلوب القرآن إذ يقول: (يا أَيُّهَا الإنْسَانُ إنَّك كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً فَمُلاقيهِ)؟ فماذا يريد أن يفهّمنا القرآن؟ ولماذا يتحدث بهذا القدر من التأكيد؟ إنه يخاطب الإنسان مهما كان دينه ومذهبه ومهما كان التزامه وتديّنه. يقول له إنك في طريق ومسار ينتهي إلى لقاء الله، فهذا هو مصيرك المحتوم الذي لابدّ منه. ثم لا يخلو سيرك إلى الله مهما كان مضمونه ونوعيته، من السعي والكدّ والكدح الشديد.

يقول: (كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً) فهل أنا الذي أبالغ في التأكيد؟! لماذا يعطي الله سبحانه للناس هذه المعرفة بكل صراحة؟ لأن من شأن هذه المعرفة أن تسهّل على الناس مصاعب الدين. فإنها تحكي عن حقيقة راقية جدا وتقول لك عش كيف شئت، فهل تزعم أنك تستطيع أن تعيش بلا أن تجاهد نفسك؟ بل إنك سوف تجاهد نفسك بلا شكّ. وتلذّذْ في الدنيا وتهرّبْ مهما شئت من مخالفة الهوى، فهل تتصور أنك سوف تنجح في هذا الهروب؟ كلا! فإنك سوف تخالف هواك بلا ريب.

وأنا أتصور أن ليس هناك بشارة تدفع الإنسان إلى مخالفة هواه أكثر من هذه الحقيقة الرائعة التي تعبّر عنها هذه الآية المباركة: (يا أَيُّهَا الإنْسَانُ إنَّك كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً فَمُلاقيهِ). هل تنزعج من السيطرة على نفسك وتريد أن تطلق عنانها؟ لا بأس، كن كيف شئت ولكنك سوف تضطر إلى السيطرة على نفسك بلا شك.

في الأمس كنّا نقول لا مفرّ ولا مخلص من الألم والعناء، وليس لك إلا أن تختار أحد أنواع المعاناة والآلام. أما في هذه الليلة أقول شيئا آخر ـ أيها الأحبّة ـ وهو أنه هل تريد أن لا تجاهد نفسك مضافا إلى العناء الذي تفرضه عليك الحياة؟ فلا سبيل إلى ذلك إذ سوف تجاهد نفسك أكيدا. إذ في حركتك إلى الله تعالى سوف تسعى سعيا مصحوبا بالعناء والألم وهذا هو الكدح، أي سوف تجاهد نفسك، وإن كان بلا ثمر وطائل ونتيجة.

إن رؤية الله سبحانه وتعالى في القرآن رؤية دقيقة وخاصة جدا تختلف عن رؤانا بكثير. فقد قال سبحانه:(أُولئِكَ الَّذينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُم)[الكهف/105] فلعلك تقول: أفهل كانوا يعملون شيئا حتى تحبط أعمالهم؟ نعم! إذ كل الناس يعملون ولكن الله يقبل أعمال الصالحين فقط وإلّا فالكفار والفاسقون يعملون ويكدّون ويكابدون ويجاهدون أنفسهم ويتحملون العناء والتعب والسَهَر وكلّ شيء.

أنظروا إلى من حولكم بتمعّن. من الذي لا يجاهد هوى نفسه؟ أي إنسان وفي أي بلد وفي أي ثقافة؟! إن جميع الناس يجاهدون أهواءهم ويكفون عن الكثير من مشتهياتهم وكلّهم مؤدّبون بمجموعة من الآداب والأصول وكلهم يتحملون العناء والألم في حياتهم، ولكن ما أكثر الناس الذين يجاهدون أنفسهم ويتحملون المشقّات والصعاب والآلام والمحن والأحزان من أجل غايات تافهة لا قيمة لها فلا ينضجون ولا يرشدون ولا يترقّون، أما أنت فاجعل جهادك الذي لا مناص منه جهادا صحيحا قيّما.

كلّما فررت من جهاد النفس وركنت إلى أهوائك سجّل الموقف، لترى أنك سوف تضطر إلى مجاهدة نفسك في نفس الموضوع ولكن بلا نتيجة وبغير صواب. إنها قاعدة لا يسمح الله لأحد بالفرار منها.

إن فهم هذه القاعدة يقضي على حالة العجب

لا أريد أن أخوّفك بذكر هذه الحقائق أبدا. ولكن أريد أن تخرج بهذه النتيجة من خلال هذا الكلام، وهو أن تناجي ربك وتقول له: إلهي أنا لم أفعل أيّ شيء بمجيئي إليك ومناجاتك في جوف الليل وتحمل العناء في سبيلك. أنا لم أفعل أي شيء ولم أضحّ بشيء. ماذا فعلتَ في جنب الله؟ هل عانيت وسهرت مثلا؟ كان لابدّ لك من المعاناة والسهر، فلو كنت لم تعان ولم تسهر مع الله، لعانيت وسهرت في محل آخر بلا نفع ولا رشد، بيد أنك عانيت وسهرت هنا فأجرت

ورشدت. إذن العناء مشترك والسهر مشترك فلا تمنّ على الله ولا تحسب أنك شيء ولا تتوهم أنك قد ضحيت بشيء.

هل تعلمون يتحسّرون أهل النار؟ إنهم يتحسرون لأنهم قد عانوا وقاسوا بقدر المؤمنين، ولم تكن حياتهم الفاسقة في الدنيا حياة بلا عناء وألم وحزن. فيشعرون أنهم عاشوا في الحياة الدنيا بتعب وألم وعناء ثم صار مأواهم النار، أما أنت فعشت في الحياة الدنيا بنفس المقدار من العناء والكدح إن لم يكن أقل منهم، ولكن ذهبت إلى الجنان! ولعلّ هذه الحقيقة هي التي جعلت الأنبياء يبكون ويصرخون حسرة على أممهم، إذ يرون مدى الخسران العظيم الذي يلحق بالإنسان إن لم يلتزم بدين ربّه.

قلب الإنسان محط تعارض الأهواء

ذكرت في الليالي السابقة أن تركيبة الإنسان قد اشتملت على أهواء ورغائب مختلفة، وهذا ما وفّر الأرضية لعناء الإنسان، إذ لا يقدر الإنسان على تلبية جميع رغباته، ولا مناص له من اختيار بعضها على حساب ترك الباقي.

لقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يفرض الكبد والكدح على الإنسان، فأعطاه رغبات وأهواء مختلفة، فبقي الإنسان حائرا بين رغائبه، لا يدري ماذا يصنع. إنه يحب الله وفي نفس الوقت يحب الدنيا، ومن هذا التعارض تبدأ المعاناة والمشاكل. وهذا هو سرّ جهاد النفس.

لقد اجتمع في قلب الإنسان حبّ الجديد من جانب والأنس بالقديم من جانب آخر فهو ينزع إلى التجدد وفي نفس الوقت يميل إلى السنن وكذلك قد يخالف الظواهر الجديدة وغير المألوفة، وفي وقت آخر قد يرفض الشيء القديم. ولهذا يقول أمير المؤمنين(ع): «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ لَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا»[تصنيف غرر الحكم/ص 66]. هكذا يصبّ الله الكبد والعناء على الإنسان، ومن هذه النقطة المعرفية في وجود الإنسان أي الرغبات المتضادّة يبدأ جهاد النفس. طبعا هذا هو من أبسط نماذج وأساليب جهاد النفس.

هناك نموذج آخر وهو أن الوصول إلى الرغبات والمشتهيات لابدّ أن يمرّ من التضحية بمشتهيات وأهواء أخرى. فهذا الشاب الهاوي الذي يريد أن يشاهد مباراة كرة القدم في العاصمة مثلا، لابدّ أن يلوي عنق حبّ راحته ويسافر إلى العاصمة وينام في الشارع. هذا الشاب هو نفسه الذي كان حساسا بسريره ومخدّته وشرشفه، أمّا تَرَك هذه الأسباب كلها وراح ينام في الرصيف أو في الحديقة ليشاهد المباراة عن قرب. فهو في الواقع قد جاهد نفسه وضحّى ببعض رغباته في سبيل رغبات أخرى. ولا يمكن لك أن تصل إلى شيء من أمانيك ورغائبك ما لم تغض الطرف عن رغائب أخرى. فقد ركبّ الله سبحانه وجودك على أساس أن يكون جهاد النفس أحد مقتضيات إنسانيتك.

العالَم الخارجي أيضا يفرض علينا أنواع المحن ويضطرنا إلى جهاد النفس

ولكن غير التضارب الموجود في داخل الإنسان هناك عوامل أخرى من الخارج، وبودّي في هذه الليلة أن أتطرق إلى هذه العوامل. هناك عبارة فوق الرائعة عن أمير المؤمنين(ع) يقول فيها: «عَرَفْتُ اللهَ سبحانه بِفَسْخِ العَزائِم»[نهج البلاغة/ص 511/ح 247] وفي الواقع يقف الإنسان حائرا لا يدري كيف يشرح هذه العبارة الرائعة لأمير المؤمنين(ع). إن هذا الرجل العظيم والعارف بالله وأمير العارفين يقول أتدري أين عرفتُ الله وبماذا عرفته؟ لقد عرفته بفسخ العزائم. ما معنى فسخ العزائم؟ يعني عندما يخرّب الله حسابات الإنسان وتخطيطاته وبرمجاته.

وكذلك الله سبحانه يريد أن يلفت أنظارنا إلى نفسه من خلال إفشال بعض التخطيطات والحسابات، لنلتفت إليه ونراه ونأخذه بعين الاعتبار. فهل قد رأيتَ الله في هذه الحالات؟

بعد عدّة ليال سوف يقدر الله سبحانه وتعالى مقدرات عامنا القادم في ليلة القدر ومن المؤكد أنه سوف يقدر لنا بعض المشاكل والابتلاءات وإفشال بعض الحسابات والتخطيطات. لقد كشف أمير المؤمنين روحي وأرواح العالمين له الفداء في مطلع كتابه لابنه الإمام الحسن(ع) عن هذه الحقيقة بكل صراحة، فقد بدأ كتابه بهذه العبارة «مِن الوالِدِ الفانِ» وهي عبارة لا تعجب السامع. ثم

قال «المُقِرِّ للزَّمانِ» يعني قد أقررت بغلبة الزمان عليّ فلم أتغلب على الزمان بل هو الذي سيطر عليّ. ما معنى سيطرة الزمان؟ يعني إنه يفرض عليك أحداثا لا تهواها. ثم قال «المُسْتَسلِمِ لِلدَّهرِ» فعرف نفسه في سبع عبارات كلها من هذا القبيل تتحدث عن الضعف والموت والفناء. ثم انتقل الإمام إلى ذكر خصائص مستلم الكتاب الذي هو شابّ مقتبل العمر. فقال «إلى المَولودِ المؤَمِّلِ ما لا يُدْرَك» يعني أكتب رسالتي إلى هذا الشابّ الذي لا يدرك مناه ولا يصل ألى آماله في هذه الدنيا. «السالكِ سبيلَ مَنْ قَد هَلَك»، «غَرَضِ الْأَسْقَامِ» يعني قد استهدفته الأمراض! «رَهِينَةِ الْأَيَّامِ» أي مقيّد بالأيام وأحداثها. ـ فلو كنّا إلى جانب أمير المؤمنين(ع) ونرى ما يكتب لابنه الإمام الحسن(ع) لطلبنا منه أن يخفف من لحنه السلبي في الرسالة ولرجونا منه أن يستخدم عبارات إيجابية! ـ «السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى»، هذا هو الأسلوب الإيجابي لأمير المؤمنين(ع)! يعني الساكن في بيوت الأموات. يعني كان يسكن مكانك في هذا البيت وفي هذا الحيّ إنسان آخر قد مات، فسكنت أنت مكانه!

إن كتاب الواحد والثلاثين في نهج البلاغة هو أول كتاب أخلاقي وتربوي وتعليمي كتب في صدر الإسلام وعلى يد الرجل الأول في العالم بعد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله. إنه وثيقة عِلْوية وليست رواية كباقي الروايات. إنه كتاب تعليمي وليس كتاب مطالعة. يشتمل على دورة في المعارف الدينية. ثم

في هذه الرسالة يذكر أربع عشرة خصلة لابنه الشابّ وأغلبها سلبية على حدّ قولنا. لقد صارح أمير المؤمنين(ع) ابنه بحقائق العالم وقواعده. فلا يتوهم أحد أن الإمام لم يكن يحبّ ابنه ولولا ذلك لعطف عليه وتحدث معه بغير هذه العبارات!

انظروا كيف يعبّر أمير المؤمنين(ع) عن حبّه الشديد لولده حيث قال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَ جُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وَ إِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ وَ الِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنَّهُ حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَ صَرَفَنِي هَوَايَ وَ صَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وَ صِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَ وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَ كَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي»[نهج البلاغة/ك 31]

فتيقن أخي العزيز بأنك لا تصل إلى أمانيك في هذه الدنيا بلا ريب، إذ قد صمّم الله آمالك بالنحو الذي لا تقدر على إنجاز جميعها في الدنيا. ولا سبيل للتخلص من قاعدة الدنيا فقد خلقنا في كبد ولابد أن نتحمل بعض العناء والآلام. وعندما تتقرب إلى بعض آمالك يبعدها الله عنك. فأضف هذه المعلومة في هذه الليلة. إذن هناك تعارض وتضادّ في داخلك بين الأهواء والرغبات يفرض عليك

أن تجاهد نفسك، وفي نفس الوقت قد قدّر الله مقدراتك في هـذه الـدنيا علـى أن لا تخلو حياتك من العناء والمحن.

تعلّمْ آداب تحمل العناء

إذن طأطئ رأسك لهـذا القـانون وتحمّـل العنـاء بلا اعـتراض. وتعلـم آداب جهاد النفس والعناء لتعاني معاناة جميلة وتصـبر صـبرا جميلا وترتقـي وتتكامـل. فلا وجود لحياة بلا عناء في هذه الـدنيا ولا تبحـث عنهـا، فمهمـا تخطـط وتبرمـج لإزالة المشاكل عن حياتك يخطط الله لإيقاعك في بعض المشـاكل لتعـاني فـي هذه الـدنيا. رضـوان اللـه تعـالى علـى شـهدائنا فقـد رأيـت أحـدهم فـي الجبهـة وقدأصيب بشضية وقطعت رجله فسـقط علـى الأرض، فـذهبت إليـه وإذا رأيتـه يبتسم ويضحك وقال مبتسـما ذهبـت رجلـي! أسـأل اللـه أن نحصـل علـى هـذه الروحية في مواجهة المشاكل.

أفلا ينبغي أن ندبّر حياتنا ونحاول لإزالة المشاكل والموانع في الحياة؟

هناك سؤال قد يتبادر في ذهنكم أيها الإخوة الأعزاء وأسأل اللـه أن أجيـب عن جميع أسئلتكم في الليالي القادمة بإذنه وبحوله، إذ نحتاج إلى معـونته كـثيرا لتكملة البحث. ولكن أريـد أن أجيـب عـن أحـد أسـئلتكم الـتي قـد تبـادرت إلـى أذهانكم وسألها بعض الإخوة في الليالي الماضية. وهو أنه على أسـاس الأبحـاث

التي طرحناها إذن لا ينبغي أن نسعى لإزالة المشاكل بل ينبغي أن نتسقبل الأزمات والمشاكل والمصائب؟! فهل واقعا لابد أن نعيش هكذا وهل هذا أمر معقول؟! لا عزيزي، من قال لك أن تعيش هكذا؟ سوف نقول في المستقبل أن لابد لنا من تلبية بعض غرائزنا وأميالنا ولابدّ أن نتمتع ببعض اللذائذ ولابدّ أن نصل إلى بعض آمالنا.

أمّا أنت الذي تقول: «إذن لنترك الدنيا وما فيها ولا نسعى لحل مشاكل الحياة ومصائبها» فهل تريد أن تسهّل الأمر على نفسك؟! هل تريد أن تجلس أو ترقد في مكان ولا تسعى ولا تعمل ولا تكدّ ولا تبرمج وترفع جميع المسؤوليات عن نفسك؟! يجب عليك أن تسعى لحلّ مشاكل حياتك فلا تتخلّ عن مسؤوليتك. لعلّك تقول: «هل يجب أن نحارب المصاعب والمشاكل ونتّجه نحو الآمال ونبرمج ونخطط، و في نفس الوقت تفشل بعض برامجنا ونقع في مشاكل، وفي نفس الوقت نبتسم ونرضا بقدر الله؟! فقد نجنّ أو نتّهم بالجنون إن كنّا هكذا!». نعم هذا هو الطريق ولعلك تتّهم بالجنون إن سلكته فلا بأس، فقد قال أمير المؤمنين(ع) في وصف المتقين: «يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَ يَقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَ لَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيم»[نهج البلاغة/خ 193]

يقـول أحـد الـروات زرت الإمـام الصـادق(ع) لأعـود أحـد أولاده، فرأيـت الإمام(ع) مهتمّا حزينا غير مستقرّ بسبب مرض ولده. بعد فـترة جـاء مـن جنـب ولده ولم يكن أثر ذلك الهمّ والحزن على وجهه، فاستغربت وسألته عن السبب، فقال الإمام(ع): «إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّمَا نَجْزَعُ قَبْلَ الْمُصِيبَةِ فَإِذَا وَقَعَ أَمْرُ اللَّهِ رَضِينَا بِقَضَائِهِ وَ سَلَّمْنَا لِأَمْرِهِ»[الكافي/ج 3/ص 225].

إذن ليس معنى هذا الكلام أن لا يسعى الإنسـان لمعالجـة مشـاكله ولنيـل آمـاله. برمـج لحياتـك وخطـط لحـلّ المشـاكل ولكـنّ اللـه سـوف يبطـل بعـض مخططاتك. إذ إنْ لم تبرمج لحياتك ولم تعزم على حلّ مشـاكلك فكيـف يعرقـل الله بعض أعمالك وشؤونك. إذن برمج وخطط واسعَ لحلّ مشـاكل حياتـك لكـي تتوفر الفرصة لربّك أن يلعب بأعصابك ويفشل بعض مخططاتك.

هل ينبغي أن نغضّ الطرف عـن اللـذات تمامـا؟ كلا، أبـدا! لا يحـقّ لـك أن تترك اللذات برمّتها (وَ لا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا)[القصص/77]. لعلك تقـول: إن ذهبت لأتمتع بمتاع الدنيا ولذّاتها، أولا سوف يفشل الله محاولتي بين حين وآخر، كما سوف لا أحصـل عليهـا بيـن حيـن وأخـر، فمـا الفائـدة مـن هـذه المحاولـة؟ الفائدة هي أنك سوف تحصل على بعض اللذائذ الحلال في الدنيا، ثانيا محاولاتك هي التي تهيئ الفرصة لإفشالها من قبل الله.

لقد أجبتكم أيها الإخوة بمنتهى الصراحة. إنه موضوع بسيط و واضح جدا. لعلك تقول لي: أما قلت يا شيخنا بأن لابدّ أن نستقبل بعض الابتلاءات والمحن؟! نعم، إنه كذلك. ينبغي لك أن تختار بعض المحن وتجرّها إلى نفسك وحياتك، وهنا مصائب وآلام أخرى ينبغي أن تفرّ منها، ولكنك ستصاب أكيدا ببعض المحن التي فررت منها. فإن أصبت بشيء منها، لا تنفعل ولتظهر على ملامحك ابتسامة الرضا بقدر الله. وما أصعبها من ابتسامة بعد ما خطط الإنسان وبرمج وأعدّ حساباته.

واحدة من أهمّ علامات اتباع هوى النفس والأنانيّة

لم أستطع أن أكمل البحث هذه الليلة فقد بقي ناقصا، ولكن أضيف إليه كلمة واحدة وهي كلمة متميّزة وخاصّة. أيها الإخوة! هل تعرفون إحدى علامات اتباع الهوى والأنانية؟! هي أن تصعُب حياة الإنسان، فيصعّبها أكثر بلجاجته. لماذا جعل الله جزاء من قتل نفسه نار جهنّم خالدا فيها؟ لأنه لم يتحمّل معاناته في الحياة، ولإنه لم يستطع على إصلاح مشاكله، فأخذ يقضي على حياته.

لا تنس أخي العزيز! كلما رسمت في حياتك رسما، وحدث خطأ في رسمك، فلا تمزّق الورقة واللوحة كلّها. لماذا لا تسمح لله أن يزعجك في جانب من جوانب حياتك؟ فابتسم لما يفعل الله في حياتك وارض بقدره. ليكن بعلمكم

إخوتي الأعزاء بأنّي أعطيكم الآن أحد أروع الوصـايا العرفانيـة! فلا تنظـروا إلـى حالي الخَرِب.

أحد علامات الأنانيّة واتباع الهوى هو اللجاجة مع اللـه؟ عنـدما تغضـب مـن مشكلة حصلت في حياتك وتخرج من طورك وتخرّب الأول والتالي، فهـذا يعنـي أنك ما عرفت قواعد اللعب في الدنيا.

اسمحوا لي أن أنقل لكم هذه الرواية بمناسبة هذا الكلام. روي عَنْ الإمـام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر(ع) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّـهِ(ص) يَـوْمَ النَّحْـرِ إِلَـى ظَهْـرِ الْمَدِينَـةِ عَلَى جَمَلٍ عَارِي الْجِسْمِ فَمَرَّ بِالنِّسَاءِ فَوَقَفَ عَلَيْهِنَّ ثُـمَّ قَـالَ يَـا مَعَاشِـرَ النِّسَـاءِ تَصَدَّقْنَ وَ أَطِعْنَ أَزْوَاجَكُنَّ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ فِي النَّارِ فَلَمَّا سَمِعْنَ ذَلِكَ بَكَيْنَ ثُمَّ قَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ(ص) فِي النَّارِ مَـعَ الْكُفَّـارِ وَ اللَّـهِ مَـا نَحْـنُ بِكُفَّارٍ فَنَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّـارِ. فَقَـالَ لَهَـا رَسُـولُ اللَّـهِ(ص) «إِنَّكُـنَّ كَـافِرَاتٌ بِحَـقِّ أَزْوَاجِكُنَّ»[الكافي/ج 5/ص 514] ولعلّه يعني أنهنّ إذا رأين عيبا في أزواجهـنّ أو انزعجوا منه بسـبب مـا، ينكـرن فضـله كلّـه ويبـالغن فـي الاعـتراض والاحتجـاج ويكفرن بحقّه.

اللهـم ارزقنـا الشـعور بالسـعادة فـي حياتنـا. ولكـن لا تنسـوا (لَقَـد خَلَقنـا الإنسانَ في كَبَدِ). اللهم اجعلنا فرحين مسـرورين. ولكـن (يـا أَيُّهَـا الإنْسَـانُ إِنَّـك كادِحٌ إلى رَبِّكَ كدْحاً فَمُلاقيهِ). اللهمّ اجعلنا باسمين بشوشين مع العلم بمـا جـاء

في كتاب أمير المؤمنين: «إلى المَولودِ المؤَمِّلِ ما لا يُدْرَك» ومع علمنا بكلمة أمير المؤمنين(ع):«عَرَفْتُ اللهَ سبحانه بِفَسْخِ العَزائِم». الهي اجعلنا مسرورين مبتهجين متفائلين أثناء ما تفسخ عزائمنا وتمنعنا من نيل آمالنا وتخرّب مخططاتنا.

إلى أين سوف يصل بحثنا؟ إن له مصيرا جميلا جدا. إذ أنا بدأت معكم من أول العرفان لا من آخره. إن آخر العرفان هو عشق العارفين لله واستغفارهم في الأسحار وبكاؤهم شوقا إلى الله. فما أردت أن نستمع إلى قصص العارفين وحالاتهم ونستأنس بها بلا أن نفهم منها شيئا. فلنعرف طريقهم الذي سلكوه إلى أن وصلوا إلى تلك المقامات. فإن العارفين قد سلكوا هذا الطريق المليئ بالابتلاءات والمحن، وقد هيأ الله لنا نفس هذا الطريق.

أول ما يفرضه الله عليك هو أن تتخلّى عن رغباتك وأهوائك. ثم يصل إلى نفسك، ولابد حينئذ أن تذبح نفسك.إن تكليفك في أول المطاف هو أن تذبح اسماعيل نفسك. ولكن لا يبقى الأمر بهذا المنوال، إذ سوف تصل النوبة إليك فيجب حينئذ أن تضحي بنفسك وتقدم نفسك قربانا إلى الله.

نحن بحاجة إلى تعقل الدنيا قبل تعقل الدين

لقد قررنا في الأبحاث السابقة على أن نكسب رؤية دقيقة عن الحياة وقواعدها قبل أن نكسبها عن العبادة والعبودية. فنحن بحاجة إلى كسب رؤية

دقيقة وواضحة عن الدنيا قبل الدين. فإن حصلنا عليها سوف ننظر إلى الدين كمنقذ لا كمزعج ومزاحم. وعند ذلك سوف لا نمنّ على الله بالتزامنا ولا نغترّ عندئذ بورعنا وتقوانا، كما سوف لا نفرّ من الدين وسوف نشعر بحماقة مخالفته.

لماذا عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الكفار في القرآن، يعتبرهم «سفهاء» «لا يعقلون»؟ نحن نعرف جيدا أن ليس لهؤلاء الكفار طهارة القلب، ونعرف أن لا إيمان لهم، ولكن بماذا أصبحوا لا يعقلون؟ وما هي الحقيقة التي لا يعقلونها؟ بالتأكيد إنّ إحدى الحقائق التي لا يعقلونها ولا يلتفتون إليها هي هذا الواقع والقواعد المحيطة بهم في هذه الدنيا.

كلما ألفيتم روحكم تفرّ من الأحكام الإلهية وتستصعبها، ارجعوا إلى الواقع وادرسوه بغض النظر عن الدّين. إذ إنّ إدراك الواقع وكشف القوانين السائدة في عالم الوجود، ومعرفة السنن الإلهيّة الحاكمة على حياتنا، يمهّدنا لقبول الدين والالتزام به. واسمحوا لي أن أضيف هنا نقطة واحدة. من السيء جدا أن يكون الإنسان متدينا بلا أن يدرك الواقع، فمثل هذا الإنسان يصبح متدينا سيّئاً. ولا أقول أنّ معرفة الواقع أمر ضروري على من استصعب أحكام الدين وحسب، كلا، بل على جميع الناس أن ينظروا إلى الواقع ويكتشفوا قواعده

السائدة في الحياة. كما أنّ أولياء الله هم أكثر اهتماما بهذا الأمر من عوام الناس.

وأساسا إنْ تديّن امرء بلا أن يكون على معرفة بحقائق العالم وواقعه، قد يصبح عنصرا خطرا، وقد يصبح تديّنه الأعمى هذا ضررا على نفسه وعلى المجتمع، وسوف لا يقدر أحد على إصلاح ما أفسده. لقد رأيت في عمري هذا على الأقل جيلين من الأشخاص الذين كانوا أخيارا في زمن من الأزمان ثم ساءت عاقبتهم. كان بعضهم ممن عاشرتهم عن قرب وحتى كان بعضهم في جبهة الدفاع المقدّس. وهذا يحكي عن أنّ من أصبح خيّرا ومتديّنا بدون أن يعرف الواقع الذي يفرض عليه ذلك، ينحرف على الأكثر.

فلا تستغربوا من انحراف بعض هؤلاء الذين قضوا عمرهم في الصلاح وصلاة الليل والعبادة. ولا تتعجبوا من كون هذا الإنسان كان يريد أن يسبق الآخرين في التضحية بنفسه في سبيل الإسلام والولاية والثورة، أما الآن فقد أصبح من ألدّ أعداء الثورة. من هم أولئك الذين يتورطون بمثل هذه العواقب؟ هم أولئك الذين صلحوا وتدينوا جزافا. ولكن لا يسمح الله باستمرار هذا النمط من الصلاح. فما إن يرى الله مجتمعا قد صلح جزافا واعتباطا، يمتحنهم بامتحان عسير ويسقط من لم يرتكز إيمانه على دعائم محكمة. وقد شاهدنا هذه

الظـاهرة فـي تاريـخ الإسـلام كمـا رأيناهـا فـي مختلـف مراحـل تاريـخ ثورتنـا الإسلامية.

إن عالمنا مشحون بالمعاناة وقد عزم على إزعاجنا

من أين ننطلـق فـي حركتنـا؟ إن نقطـة الانطلاق هـي أن تشـاهد ضـرورة مخالفة هواك في هويتك الإنسـانية وكـذلك تشـاهدها فـي السـنن الحاكمـة فـي حياتك. هذا هو المنطلق.

لا ينبغي لمثلكم أن يخدع بالكلام الباطل، خاصة وقد بلغتكـم تجربـة تاريـخ الإسلام في ألف وأربعمئة سنة، وقـد بلغتكـم تجربـة العـالم البشـري مـن بدايـة التاريخ ولحـد الآن، كمـا فـي متنـاولكم تجربـة الغـرب، وبإمكـانكم أن تتصـفحوا أحداث العالم وتقفوا على تجاربه عبر الإنترنت. إن موقعنا ليس في أول التاريـخ بل قد اقتربنا إلى نهاية التاريخ، فها هي تجربة البشـر أمامنـا تحـدثنا عمـا وصـل إليه العالم، وهي تجارب مليئة بالمعلومات، فلا يمكن لأحد أن يخدعكم بسهولة.

هذه هي نقطة الانطلاق، وهي أن تعرف عالمـك الـذي تعيـش فيـه. وأهـمّ خصائص هذا العالم هو أنه مشحون بالمعاناة وقد عزم على إزعاجك. فلا تسـمح لأحد أن يلهيك بمعلومات هامشية لا تسمن ولا تغني من جوع، من قبيـل مقـدار المياه وعمق البحار وارتفاع الجبال وعدد النفـوس. فلا تشـغل وقتـك فـي تعلّـم المعلومـات الـتي لا فائـدة لهـا، فـإن أحـد أوصـاف المتقيـن فـي قـول أميـر

المـؤمنين(ع) هـي أنهـم: «وَقَفـوا اَسـماعَهُم عَلَـى العِلـمِ النَّـافِعِ لَهُـم»[نهـج البلاغـة/الخطبـة 193]. وأنـا باعتقـادي أن الإنسـان ليـس بحاجـة إلـى كـثرة المعلومات، بل يحتاج إلـى معلومـات صـائبة، بالإضـافة إلـى ترتيـب المعلومـات وتبويبها بشكل دقيق وأن يميّز بين الأصلية والفرعيّة منها.

لقد جاء الدين ليعلمك طريقة العناء، وجاء ليخفف مـرارة الفقـدان عليـك. جاء الدين ليعلمك الكفّ عن الرغائب وجاء ليعلمـك أسـلوب تحمـل الآلام. فهـل أنت ممـن يريـد أن لا يتحمـل شـيئا مـن هـذه الصـعاب فـي هـذه الـدنيا لكونـك متدينا؟! هذه هي نقطة عزيمتنا، فإن انطلقنا من هذه النقطة، سوف نصل إلـى النتيجة بسرعة، وكذلك سوف نعمل بديننا بشكل أسهل، كما سوف يصـان ديننـا بشكل أضبط، وإن شاء الله لن نتراجع عن ديننـا إن سـلكناه بهـذا الأسـلوب، إذ نكون على معرفة بكل ما سوف نواجهه في هذا الدرب فلا نفاجأ بشيء.

إن الدين برنامج للتضحية بالنفس والنفيس

يروي الإمام الصادق(ع): «أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِنِّي جِئْتُكَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّـهِ (ص) أُبَايِعُـكَ عَلَـى أَنْ تَقْتُـلَ أَبَاك. فَقَبَضَ الرَّجُلُ يَدَهُ فَانْصَرَفَ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ عَلَـى أَنْ أُبَايِعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ عَلَى أَنْ تَقْتُلَ أَبَاكَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّا وَ اللَّـــهِ لَا نَـــأْمُرُكُمْ بِقَتْـــلِ آبَـــائِكُمْ وَ لَكِـــنْ الْآنَ عَلِمْـــتُ مِنْـــكَ حَقِيقَـــةَ

الْإِيمَان...»[المحاسن/ج 1/ص 248]. ذات مرة قـرأت هـذه الروايـة فـي إحـدى المحاضرات، فأوشك أحد الشخصيات أن يصدر حكم إعدامي بسبب قراءتهـا، إذ كان يرى أن هذه الرواية تنفّـر النـاس مـن الـدين. ولعلـه كـان يتصـوّر أنّ بـاقي محاضراتي جيّدة وإنما كانت هذه الرواية فلتة في محاضراتي، فلـو كـان يعـرف أن كل محاضراتي من هذا القبيـل، لمـا تعلّـل فـي إصـدار حكـم الإعـدام [قالهـا ممازحا]، لأنني عمّمت هذه الرواية على كل الناس، وأقـول إن كـل مـن أراد أن يسلك هذا الدرب لابدّ أن يتحمل العناء والكبد والشدائد والمحن. طبعا بعـد ذلـك أقول: فإن فررت من هذا الطريق خوفا من شدائده ومحنه، سـوف تلاقـي أمـرّ من ذلك في الطرق الأخرى. هذا هو أسلوبنا في المحاضرات، إذ أردنا أن نكـون صادقين مع الناس، وقد تعلمنا هذا الأسلوب مـن أميـر المـؤمنين(ع) حيـث كـان صادقا مع ابنه.

لماذا أراد النبي(ص) أن يبايع الرجل على أن يقتل أباه مع أنه لن يأمره بـه أبدا؟! لأنّ الدين هو برنامج للتضحية بالنفس والنفيـس. فـإن التضـحية بـالنفس، ليست فضيلة إلى جانب باقي الفضائل، بل هي المحور والمخ. نحن إن شاء الله سوف نتطرق في الجلسات القادمة إلـى نطـاق أهـواء النفـس وأنـواع تجلياتهـا بإذنه وحوله وقوته.

الدين برنامج لمخالفة الأهواء والدنيا أيضا مبرمجة على أساس مخالفة الأهواء

إن نقطة انطلاقك هي أن تعرف السبب الذي خلقت من أجله. فقد خلقت للعناء والمحن وتحمل الأذى والألم. فالبهائم لا تتألم وكذلك الملائكة لا تتألم، أما أنت فقد حظيت برغائب متضاربة وهذا ما شرحناه في الليالي السابقة وقلنا إنك مجبور على ترك بعض الرغائب من أجل بعض أخر.

ثم يأتي الدين ويقول لك أن دع رغباتك واسع لنيل رغباتك الخفيّة والعميقة. ولا شك في أن هذا العبور صعب، إذن الدين صعب. لقد قال أمير المؤمنين(ع): «وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ وَ مَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَة»[نهج البلاغة/ خ 176]. فهل قد أرحتُ بالك أم لا؟ هذه معلومة لابد أن نجعلها نصب أعيننا وهي أن الدين برنامج لمخالفة الأهواء.

طبعا لا يخلو الدين من لذائذ وليست مرارته بقدر مرارة كلامي، ولكن الكلام المعسول الذي يصوّر أجواء درب الحق كلها أجواء جمال وراحة واستقرار وأزهار وبلابل وعصافير فهذا كلام فارغ لا صحّة له. بل ليس الدين برنامجا لمخالفة الأهواء فحسب، بل باعتبار أن أنسانيتك مرهونة بمخالفة الأهواء، فقد انطوت الدنيا أيضا على هذا البرنامج. فهي تفرض عليك المعاناة ومخالفة الأهواء بأشكال ثابتة ومتغيرة.

من أشكالها الثابتة هو الشيخوخة. ومن أشكالها الثابتة الأخرى هو فقد الحبيب، كما قال أمير المؤمنين(ع):«الْهِجْرَانُ عُقُوبَةُ الْعِشْق»[بحار الأنوار/ ج 75/ ص 11]. لا أدري هل أقول هذه الحقائق بصراحة، أو أراعي مشاعركم وقلوبكم، ولكنها حقائق نعيشها في حياتنا الدنيوية، فلابد أن نطلع عليها، بل لابدّ أن ننطلق منها في حركتنا الدينية. وهي أن كل ما تعشقه في هذه الدنيا، فلابد لك من مفارقته يوما، وإن الله يفرق بينك وبين أحبائك في هذه الدنيا.

كان لي صديق قبل سنين، ثم انقطعت عنه ولم أعرف أخباره. بعد فترة قال لي أحد الإخوة: «هل سمعت أن فلان قد توفيت زوجته؟» فسألته هل كان يعشقها كثيرا؟ قال: من أين عرفت ذلك؟ قلت: إن هذا العشق هو أحد أسباب الفقد والفراق في هذه الدنيا؛ إذ «الْهِجْرَانُ عُقُوبَةُ الْعِشْق»، هذه هي إحدى مرارات الحياة الدنيا وهي سنّة من سنن الله. فإذا أردت أن تكون حياتك الزوجية في غاية العشق والغرام، فقل من الذي تريد أن يموت أسرع؛ زوجتك أم أنت؟! لعلك تقول: شيخنا كلامك مرّ جدا. أقول: أخي كلامي جادّ ومستوحى من قواعد هذه الدنيا، فلا تخدعك أكاذيب الأفلام. بل هذا هو الواقع. طبعا لا أريد أن أقول أنه قانون شامل، لا استثناء له، ولكنه يمثل إحدى القواعد التي لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار في معرفة هذه الدنيا.

أعرف أسرة، كان أهلها حساسين جدا في اختيار الزوج لبنتهم، إذ كانوا يريدون نسيبا بمستوى تدينهم وبمستوى مكنتهم الاقتصادية العالية، وبمستوى إناقتهم العالية، وأن يكون جميلا بمستوى جمالهم، وأن يكون مثقفا جدا يليق بثقافتهم العالية، وأن يكون ألفا وباء وجيما ودالا وكذا وكذا. ولهذا كانوا يرفضون الخطّابة واحدا بعد الآخر. بعد فترة، قالوا: الحمد لله، لقد جاءنا خطيب ينسجم معنا في كل شيء؛ في إناقته، في غناه وثروته، في جماله، في تدينه وبكلمة واحدة «كامل مواصفات». يشهد الله أني خفت عليهم. وسرعان ما أنجبوا طفلا وإذا به كان مشلولا.

هذا هو واقع حياتنا جميعا. ولا يمكن أن يكون هذا الكلام كذبا، بل هو عين الواقع. طبعا هناك نماذج واضحة جدّا من هذه الابتلاءات فنستشهد بها في أبحاثنا، وإلا فالكل محكومون بهذه السنن. وإذا تمعّن الإنسان الفطن في حياته يستطيع أن يكشف هذه القواعد.

المؤمن مبتلى في الدنيا بشكل خاص

هناك آية في القرآن تقول: (وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُون)[الزخرف/ 33] يعني لو لا مخافة أن يكفر الناس جميعا ولا يبقى منهم مؤمن، لجعلنا حياة

الكافرين حياة فخمة جدا. ولكن خفّف الله علينا وغيّر قانون العالم وجعل الكبد والمعاناة لكل الناس دون أن يختص به المؤمنين دون الكافرين.

وفي هذا المجال هناك رواية عن الإمام الصادق(ع) يقول: «لَوْ لَا إِلْحَاحُ هَذِهِ الشِّيعَةِ عَلَى اللَّهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ لَنَقَلَهُمْ مِنَ الْحَالِ الَّتِي هُمْ فِيهَا إِلَى مَا هُوَ أَضْيَقُ مِنْهَا»[الكافي/ج 2/ص 264]. وقد روي «أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ فَقَالَ اسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ فَقَالَ اسْتَعِدَّ لِلْبَلَاء»[مجموعة ورام/ج 1/ص 223]ويقول أحد الرواة سألت الإمام الصادق(ع): «أَ يُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ بِالْجُذَامِ وَ الْبَرَصِ وَ أَشْبَاهِ هَذَا؟ قَالَ:وَ هَلْ كُتِبَ الْبَلَاءُ إِلَّا عَلَى الْمُؤْمِنِ»[الكافي/ج 2/ص 258] يبدو أنّ هؤلاء الرواة كانوا يعانون من نفس مشكلتنا، فلعلهم لم ينظروا إلى الدنيا برؤية صائبة ولم يرونها كدار مخالف لأهوائنا. إن مجمل هذه الروايات تفرض على الإنسان المؤمن أن ينظّم حياته على أساس مخالفة الهوى.

واسمحوا لي أن أنقل لكم هذه الرواية أيضا عن رسول الله(ص): «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَيَطْلُبُ الْإِمَارَةَ وَ التِّجَارَةَ»يعني يطلب شأنا من شؤون الدنيا ويطمح إليه «حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ يَهْوَى» يعني يبرمج ويخطط ويعمل ويشتغل حتى إذا اقترب إلى هدفه «بَعَثَ اللَّهُ مَلَكاً وَ قَالَ لَهُ عُقْ عَبْدِي وَ صُدَّهُ عَنْ أَمْرٍ لَوِ اسْتَمْكَنَ مِنْهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ» إذ كان هذا المؤمن يخطط لشيء

بضرره «فَيُقْبِلُ الْمَلَكُ فَيَصُدُّهُ بِلُطْفِ اللَّهِ» يأتي الملك ويخرب شغله واللطيف أن هذا التخريب جاء بلطف الله. «فَيُصْبِحُ وَ هُوَ يَقُولُ لَقَدْ دُهِيتُ وَ مَنْ دَهَانِي فَعَلَ اللَّهُ بِهِ...» [التمحيص/ص 56] فيبدأ بالبحث عن المقصّر.

لا تلهِ نفسك بالبحث عن المقصّر

إحدى مشاكلنا الناشئة من رؤيتنا الخاطئة عن الحياة هي أن بمجرد أن واجهنا مشكلة في حياتنا، نفتّش عن المقصّر. نعم في المسائل الاجتماعية والقضايا العامّة المرتبطة بكيان الأمة مثلا، لابدّ أن نبحث عن المقصّر أو العدو ومن هنا نرفع شعار «الموت لأمريكا» و لهذا السبب طال ما هتفنا «الموت لصدّام». ولكن حتى في هذه القضايا الاجتماعيّة لابدّ أن ننظر إلى ما وراء هذه الظواهر، كما قال الإمام الخميني(ره): كانت الحرب (يقصد الحرب المفروضة الذي شنّها صدام على الجمهورية الإسلامية) من الألطاف الإلهية الخفية. إذ يعتبر أولياء الله أن البلاء من ألطاف الله على عبده المؤمن كما قالت الرواية: «فَيَصُدُّهُ بِلُطْفِ اللَّهِ». أمّا العدو فهو مسكين شقيّ جنى على نفسه قبل أن يجني علينا، فنحاربه ونقتله، ولكن لا ننسَ الألطاف الإلهية في خضمّ هذه البلايا.

طبعا نحن مازلنا في مقدمات البحث ولم نتقدم فيه إلى الآن، فليس بوسعنا أن نستنتج دروسا كثيرة من هذه الأبحاث ولكن بقدر هذا الشيء القليل

الذي طرحناه في هذه الليالي، نستطيع أن نخرج بنتيجتين جميلتين في هذه الجلسة.

إحداهما هي أن لا تبحثوا عن المقصّر والخاطئ كثيرا. فإن المقصّرين ليسوا مقصّرين كثيرا. فقد صنفتهم الروايات وليس كل المقصرين في درجة واحدة. فعلى سبيل المثال قلّ ما يوجد مدير لا يظلمه من تحته. فكن على ثقة من هذه القاعدة ولا تغضب وتقيم الدنيا ولا تقعدها بسبب سوء تصرف موظفيك وأغلاطهم في العمل. لا تصرخ عليهم فإنها من سنن الله. فإن الله هو الذي ينسيهم في بعض القضايا ليمتحن مدى صبرك وحلمك.

لا أريد أن أخوفكم ولا تصفرّ وجوهكم من ذكر هذه القواعد ولكن اعلموا أنه تقريبا، لا يمكن أن تلطف بأحد ثم ترى اللطف والمحبّة منه نفسه. يقول الإمام الصادق(ع): «مَا أَفْلَتَ الْمُؤْمِنُ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ وَ لَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ الثَّلَاثُ عَلَيْهِ إِمَّا بُغْضُ مَنْ يَكُونُ مَعَهُ فِي الدَّارِ يُغْلِقُ عَلَيْهِ بَابَهُ يُؤْذِيهِ أَوْ جَارٌ يُؤْذِيهِ أَوْ مَنْ فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَوَائِجِهِ يُؤْذِيهِ وَ لَوْ أَنَّ مُؤْمِناً عَلَى قُلَّةِ جَبَلٍ لَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ شَيْطَاناً يُؤْذِيهِ وَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مِنْ إِيمَانِهِ أُنْساً لَا يَسْتَوْحِشُ مَعَهُ إِلَى أَحَد».[الكافي/ج 2/ص 249] وقال عليه السلام: «أَرْبَعٌ لَا يَخْلُو مِنْهُنَّ الْمُؤْمِنُ أَوْ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مُؤْمِنٌ يَحْسُدُهُ وَ هُوَ أَشَدُّهُنَّ عَلَيْهِ وَ مُنَافِقٌ يَقْفُو أَثَرَهُ أَوْ عَدُوٌّ يُجَاهِدُهُ أَوْ شَيْطَانٌ يُغْوِيهِ».[الكافي/ج 2/ص 250].

ترى بعض الناس قد استشاط غضبا وانتفخت أوداجـه. فتسـأله مـا الخـبر. يقول: ما كنت أتوقع أن فلانا يفتن بي حسدا. فلعلّ هذا الإنسان يريـد أن نرميـه بطلقة لنسرع به إلى الجنة، إذ يبدو أنه لا يطيق قواعد هذه الدنيا.

هيا تسلحوا أيها الإخوة بسلاح الدعاء. اللهـم! أزل مـن قلوبنـا الحقـد علـى من ظلمنا وآذانا. لا أدري كم أدركتم معنى هذا الدعاء. فلأترجمه بعبارات أخرى. إللهم! لا تجعلنا مدللين. اللهم لا تجعلنا منقنقين. اللهم لا تجعلنا من أهل الضـجر والسأم والجزع والتحجج. فكلها هي عبارات أخرى لدعاء اللهـم أزل مـن قلوبنـا الحقد.

وهناك ترجمة عرفانية لهذا الدعاء ولا بأس أن ندعو بها، إذ نحن في ليـالي شهر رمضان، فمن الأولى أن نقلل من الكلام ونكثر من الدعاء. فنقول: اللهـم! أنت عظيم فاجعلنا عظاما مثلك. اللهم! أنت كريم فاجعلنا كرامـا مثلـك. اللهـم! أنت أكبر من كل شيء وأكبر من أن توصف وهذا هو أهمّ مـا توصـف بـه وعلـيّ أن أكرره في صلاتي بعد أذكاري وحركـاتي وسـكناتي. فعنـد لقـائي بـك لابـدّ أن يكون تناسب بيننا وبينك، فاجعلنا كبارا يا ربّنا. وأنقذنا من الطفولة والصغر.

إن إدراك ضرورة المحن والعناء في هذا العالم يسهّل على الإنسان اختيار الدين

لأذكر لكم فائدة أخرى من هذا البحث والتي نسـتطيع أن نسـتخرجها الآن. اسمعوا هذه الرواية لتجدوا كم كان الحديث في الليالي السـابقة دقيقـا وصـائبا.

لقد شكرني بعض الإخوة في هذه الليالي السابقة، بطريقة وكأنهم لـم يسـمعوا بهذه المعارف من أحد أبدا. ولكني أريد أن أبيّن لكم أيهـا الإخـوة أن هـذا الكلام ليس من ذوقي وفنّي، بل هو ما تصارحنا به روايات أهل الـبيت(ع). قـال الإمـام موسى بن جعفر(ع) لهشام: «يَا هِشَامُ إِنَ الْعَاقِلَ نَظَـرَ إِلَـى الـدُّنْيَا وَ إِلَـى أَهْلِهَـا فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ وَ نَظَرَ إِلَى الْآخِـرَةِ فَعَلِـمَ أَنَّهَـا لَا تُنَـالُ إِلَّا بِالْمَشَـقَّةِ فَطَلَبَ بِالْمَشَقَّةِ أَبْقَاهُمَا»[الكافي/ج 1/ص 18]. أفهل يسمح اللـه لأحـد أن تخلـو حياته من الصعوبات؟! أرجو أن تدققوا في هذه الحقيقة كثيرا.

إحدى الخيانات التي تمارسها الأفلام الغربيـة تجـاه النـاس، هـي أن تظهـر المجتمع الغربي أكثر سعادة من غيره، لنتصور أن سعادته في هذه الدنيا جـاءت من ابتعاده عن الدين. أفهل يمكن أن يسعد الإنسان بالابتعـاد عـن الـدين، وهـل يمكن أن تخلو الحياة البعيدة عن الدين عن جهاد النفس والمشاكل والمعاناة؟!

ذات يـوم كنـت فـي كنـدا وكـان أحـد الأصـدقاء يعرّفنـي علـى القنـوات التلفزيونية في كندا. ففي تلك الأثناء قال لي: إن المجتمع الغربي قد حلّ الكثير من هذه المشاكل والقيود التي تعتقـدون بهـا أنتـم فـي علاقـة المـرأة والرجـل. قلت: كيف يمكن ذلك؟ فهل انتفت كل المشاكل بحرية علاقة الرجل والمـرأة؟! قال: نعم بالتأكيد فلم تبق مشـكلة فـي هـذا المجـال، أنتـم قـد عقـدتم القضـية بمجموعة من الأوامر والنواهي، أما هنا فالكل مرتاحون ولا مشكلة بعد في هـذا

المجال. أثناء ما كان يتكلم بهذا الكلام، رأيت في الفيلم فتاة صفعت وجه شاب. فسألته لماذا صفعت الفتاة وجه هذا الولد؟ أنا سألته عن القصة، وإلا فما رأيته كان فيلما وطال ما كذب الغربيون في أفلامهم وقصصهم وصوروا مجتمعهم في قمة السعادة والجمال. فنظر إلى الفيلم وقال: يبدو أن هذين صديقان، ولكن الفتاة قد رأت صديقها مع فتاة أخرى فصفعت وجهه. فقلت له: أما قلت لي الآن أن مشاكل علاقة الرجل والمرأة محلولة هنا؟! فقال: لا، لم تنحلّ إلى هذا المستوى. فرجع إلى نفسه سائلا لماذا قلتُ أن هذه القضايا محلولة في هذا البلد؟!

كان ينظر بأم عينه المشاكل والخلافات والنزاعات والجرائم في المجتمع الغربي، ولكن مع ذلك يشعر بأن المجتمع قد حلّ الملف الجنسي والعلاقة بين الرجل والمرأة! فانظروا كم كانت هذه الإلقاءات السامّة والكاذبة والخادعة قويّة.

بعد أن وعى الإنسان فلسفة هذه الدنيا وهي الكبد والعناء وأدرك ضرورة تحمله العناء، سوف يسهل عليه تحمل العناء ويختار الدين بسهولة. وهذا ما سوف يفرضه عليه عقله.

إن لم تجاهد نفسك فسوف تجاهدك نفسك

قـال أميـر المـؤمنين(ع): «مَـنْ سَـامَحَ نَفْسَـهُ فِيمَـا تُحِـبُّ أَتْعَبَتْـهُ فِيمَـا يَكْرَه»[غرر الحكم/ص 637] فهذا الذي لبّى رغبات نفسـه وأعطاهـا مـا ترغـب، سوف تنغّـص حيـاتَه نفسُـه. هـذه النفـس الـتي أعطيتهـا زمـام أمـرك وخـدمتها وأطعتها في ما أمرت، يأتي يوم وإذا بها تدوس في حلقومك وتخنقك.

لا أدري هل يمكن أن أتطرق لهذا الموضوع أم لا. وهو أنـه فـي مـا إذا لـم يجاهد الإنسان نفسه في شبابه، ماذا يلاقي من معاناة ومسكنة في كبره! فهـذا ما يصعب علي أن أصرح به. إن نفسه سوف تتعبه وتقتله. شأنها شـأن الجسـم، فإنك إن أرحت جسمك ولم تتعبـه، سـوف تصـاب بـأمراض ولابـد لـك حينئـذ أن تتحمل عناء المرض والنوم في المستشفى.

إن لم تتريض ولم تتعب جسـمك، فعندئـذ لا تشـعر بالراحـة إلا إذا جلسـت على قنفة فخمة وراقية جدا، أما إذا أتعبت جسمك بالرياضة، بعد ذلـك حـتى لـو جلست على صـخرة صـلبة تشـعر بالراحـة والانتعـاش. الرياضـة تتعـب الجسـم ولكنها تريحه في الواقع. وكذلك إن تتعب نفسك وتجاهدها ففي الواقـع تريحهـا. هذه هي النتائج الفورية لهذه الأبحاث. ولكن أمامنا طريق طويل، فلم نصل فـي أبحاثنا إلى الله وعبادة الله بعد.

إن إدراك هذه الحقائق تجعل الإنسان شاكرا لله

واحدة أخرى من فوائد هذا البحث ــ وهي من الفوائد والنتائج الفرعية طبعا ـ هي أنك إذا صدّقت بهذه الحقيقة وعرفت أن الدنيا محل لإزعاجك وقد صمّمت أحداثها ضد نفسك وأهوائها، وحتى إن فلتّ من هذه الأحداث واستطعت أن ترتب حياتك كما تحب وتهوى يبعث الله إليك ملكا ليخرّب مخططاتك، وأنا قرأت لك الرواية بنصّها حتى لا تتصور أني أبالغ على المنبر، فإن عرفت الحياة الدنيا وقواعدها وسننها جيدا، تصبح شاكرا لله، وسوف تخاطب الله عندئذ وتقول له: إلهي ما أرحمك، إذ كان المفترض أن تزعجنا وتؤلمنا في هذه الدنيا وتبلونا بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ولكنك قد رحمتنا ولطفت بنا ولم تنزل علينا المصائب والنوازل كثيرا.

فإنك إن شعرت بهذا الشعور وناجيت ربك بمثل هذه الكلمات، ففي الواقع قد عرفت معنى الشكر. لعلك تسمع عبارة «شكرا لله» كثيرا من الناس، ولكن الله يقول: (وَ قَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور)[السبأ/13].

اسمحوا لي أن أشرح لكم معنى الشكر جيدا. فلا تسمحوا لأنفسكم أن تكونوا بسطاء وتشكروا الله ببساطة وبدون تعمق. ما معنى شكرا لله؟ ولماذا تقول: إلهي شكرا لك؟ هل لأنه أنقذك من مرضك؟ طيب، من الذي أمرضك

أساسا؟ اذهب وعاتب ربك وقل له لماذا أزعجتني وأنزلت عليّ المصائب؟ هل هديتني إلى طبيب جيّد فداواني؟ فلماذا أمرضتني أساسا؟ وهل قد هديتني إلى قاض جيد ليحكم بيني وبين خصمي؟ لماذا سمحت أن يتنازع الناس بينهم أساسا؟!

أتدرك ماذا أقول أخي العزيز؟! فإنك إن لم تدرك فلسفة الحياة وهي العناء وإن لم تع فلسفة وجودك وهو الكبد، عند ذلك كلما أعطاك الله ورزقك من نعم، لا تزال تشعر بأنك تطلب الله. إذ تقول: هو الذي خلقني فكان لابدّ له أن ينعم علي وإلا لمتّ من الجوع! عند ذلك كلما يقال لك اشكر ربك تقول: لماذا أشكره؟ لماذا أفقرني؟ ولماذا أمرضني؟ ولماذا أوقعني في مشاكل؟

إن لم تدرك فلسفة حياتك وهويتك لا تستطيع أن تشكر الله أبدا. فإن أراحك ونفّس عليك في خضمّ محن الدنيا وآلامها، تعتبرها لا شيء، ثم ينصرف ذهنك عنها إلى مشاكل حياتك وآلامك ومعاناتك. فهل يبقى لك حينئذ شيء باسم الأخلاق؟ وهل يمكن أن يتحدث معك أحد عن الله وشكر الله؟! وهل سوف تعبد الله وهذه رؤيتك عن الدنيا وأحداثها؟ وهل سوف تفهم لقاء الله حتى تشتاق إليه؟ وأساسا هل يبقى لك إمكان لإدراك المعارف المعنوية؟

لابدّ للإنسان أساسا أن يعيش حالة الشكر بكل وجوده. قال لي بعض الإخوة: إنك قد صعّبت الحياة في أبحاثك هذه، ولكن نحن لا نجد هذه المعاناة

في حياتنا، فأقول له: إذن اشكر الله على هذه النعمة. وإذا سامحني أقول له كلمة جارحة وهي: «لم يجد الله فيك القابلية على تحمل البلاء والعناء فخفّفَ عليك، وإلا فلو كنت إنسانا راقيا ممتازا لما سمح الله لك أن تمضي حياتك بسلامات». وقد سبق أن قد قرأت عليكم في خصائص عباد الله الصالحين حيث يصفهم الله في حديث المعراج قائلا: «يَمُوتُ النَّاسُ مَرَّةً وَ يَمُوتُ أَحَدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ مُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَ مُخَالَفَةِ هَوَاهُم»[بحار الأنوار/ج 74/ص 24]. فإن عرفت معنى الحياة الدنيا ودورها في فرض المعاناة على الإنسان، عند ذلك تشعر كم قد لطف بك الله وتفضّل عليك.

هل رأيت الإمام الحسين(ع) في دعاء عرفة حيث لا يستطيع أن يترك شكر الله؟ يبكي ويشكر ويصب الدموع ويشكر حتى أنه في آخر لحظات عمره وفي حفرة المذبح كان يعبّر عن شكره ورضاه قائلا «رضا بقضائك».

وصف حال مناجاة غير الشاكرين

لعلك تقول لي شيخنا فلنقيم جلسة دعاء ومناجاة. جيد جدا، ولكن نقيم الجلسة لمن؟ في البداية اذهب وابحث عن أناس شاكرين، وابحث عن من يشعر بالخجل من الله والذي لا يستطيع أن يمتلك نفسه من البكاء شكرا لله. وإلا فما الفائدة من المناجاة إن لم تكن بهذا الدافع ولم يصحبها هذا الشعور؟

إن بعض مناجاتنا أشبه شيء بتسليم طلباتنا لله سبحانه. فلسان حالنا عند الدعاء والمناجاة يقول: ربنا! يبدو أن حدث خطأ في تعاملك معنا، إذ لم تنظر إلينا في فلان قضية، وتركتنا وحدنا في فلان موقف، وفرضت علينا بعض الصعوبات في فلان حادث، ونغّصت عيشنا في ذلك اليوم. فكيف نتعامل معك يا إلهنا وماذا نقول لك؟ وإلى أين نفرّ منك؟ فقد كسرت قلوبنا وأنزلت دموعنا، فانظر كيف قد أبكيتنا! فحلّ مشكلتنا بعد ما بكينا أمامك وإلا فلن نأتيك بعد. فمثل هذا الكلام لا قيمة له، إذ ليس بمناجاة بل عتاب كما جاء في بعض أدعية المعصومين «فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ وَ لَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُور»[دعاء الافتتاح]

وما أكثر هؤلاء الذين إن خلوا بربّهم لا يناجونه بل يعاتبونه، فلا تنظر إلى ظاهرهم إذ لا حول لهم على الله ولا تصل يدهم إلى الله، وإلا فقلوبهم قد ملئت عتابا.

من الشاكر؟ هو الذي جاء إلى الدنيا ليغرق في بلاياها ومحنها، وسلّم إلى هذه السنّة ووطن نفسه على تحمل الآلام والمصائب، ثم ينظر إلى حياته وإلى النعم التي أنعمها الله عليه وإلى ما نفّس الله عليه بالنعم ورفع المحن وتخفيف المصائب، فيشكر الله ويحمده.

ثلاثة أحزان سلبية يصاب بها الإنسان، لابد أن يجتنب عنها

عندما ينزل الله عليك نعمة من نعمه، يحب أن تتمتع وتهنأ بها، إذ أنت تحتاجها و هي من رزقك. يحب الله أن ترتاح في حياتك وتتمتع بنعمك. ويعزّ على الله أن ينزل علينا الصعاب والبلايا بلا مهلة واستراحة وتنفيس. (فإنَّ مَع العُسرِ يُسراً * إنَّ مع العُسر يُسراً) [الانشراح/5ـ 6] فمع كل محنة وعسر، يأتيك بيسر، فعندما ينعم الله عليك بنعمة لا تحزن على ماضيك وما فات، ولا تقلق على المستقبل، بل كن سعيدا بما أنعم الله عليك.

اترك الماضي، فكان لابدّ أن تأتيك بلاياه وقد مرت وذهبت مصائبه بحمد الله. وكذلك سوف تأتيك بلايا المستقبل قطعا مهما قلقت منها فاخضع لهذا القانون ولا تقلق ولا تشغل فكرك بما جرى وما سيجري بل اشعر بالسعادة واغتبط بما رزقك الله واشكره. فهل من الصواب أن تحزن في أيام رفاهك ونعمتك؟!

الإنسان يحزن بثلاثة أنواع من الحزن:

الأول: يحزن على أحزانه الماضية والفائتة. أريد هنا أن أدعو بدعاء ولكن أجدكم غير متسلحين إذ لا ترفعون إيديكم. فقد روي عن نبينا(ص): «إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين»[نهج الفصاحة/ص 294]. طبعا لا أريد أن أجبركم على رفع يديكم، ولكني محتاج إلى

دعـائكم وأرى أن عـدد المـؤمنين الحاضـرين هنـا فـي هـذا المسـجد أكـثر مـن الأربعين، فإذا رفعوا أيديهم يسـتجاب الـدعاء إن شـاء اللـه، وسـوف أحصـل أنـا المسكين شيئا من دعائكم.

اللهم لا تجعلنا ممن يحزن على مشـاكله وبلايـاه. وبـودّي أن أكـرر دعاءنـا السابق لأهميته. اللهم لا تجعلنا ممن يحقد على من ظلمه وآذاه.

الثاني: يحزن على أحزانـه المسـتقبليّة والقادمـة. أيهـا الإنسـان المسـكين المخـدوع بـإبليس! لقـد رزقـك اللـه نعمـا فقـد حـان وقـت ارتياحـك والشـعور بالسعادة الآن ولكنّك تبدّل الشـعور بالراحـة إلـى القلـق مـن المسـتقبل. إللهـم أخرج من قلوبنا الحزن والقلق على المستقبل.

الثالث: هذا الإنسان المسكين إما يحزن على ما فات، وإما يحزن على مـا سيأتي، وإما يحزن على الحاضر. يعني يحصل على نعمة من الله، ولكن يقـايس بينه وبين الغير وهذا ما يسمّى بالحسد. وهذا النوع من الحزن أمـرّ وأتعـس مـن النوعين السابقين.

خذ حصّتك وتنعّم بها ولا تقارن بينـك وبيـن غيـرك. فكـن برزقـك وقسـمك «راضيا قانعا وفي جميع الأحوال متواضعا». فلو كان اللـه أراد أن يكلمنـا لقـال: أنا لم أفرض عليك هذه الأحزان الثلاثة. أنا قلـت إنـي سـأبليك بمصـائب ومحـن ولكن لا بهذه الآلام التعيسة والسخيفة، فلماذا أنت تصـعّب علـى نفسـك الحيـاة

أكثر من صعوبتها الحقيقية؟! أنا قلت لأبلوك بمختلف البلايا والبأساء والضراء ولكن كل هذه المعاناة لا تخلو من الحلاوة والجمال، فلماذا تسلب جمالها وتزيدها مرارة؟ أنا قد حرقت قنفات بيتك فقط، فلماذا تصبّ البنزين على بيتك وتحرق البيت برمته؟! أنا قلت: سأفرض عليك بعض العسر، ولكن سأجعل مع كل عسر يسرا، فلماذا تخرب اليسر والنعم التي أنعمتها عليك؟ فكلما امتحنتك بمحنة وبلاء استقبله بصبر جميل، وكلما أنعمت عليك نعمة فاشعر بالسعادة. ثم اشكرني على النعم التي رزقتها بحيث تنسى الآلام والمحن وتغفل عنها.

كيف نكون كذلك؟

إللهم نحن نتكلم ونتحدث بهذه المعارف، فاجعلنا هكذا واجعل حياتنا هكذا. ماذا نفعل وما هو الطريق، إذ لا يصبح الإنسان هكذا بالكلام وحسب.

لابدّ أن نعاشر الأخيار والأبرار ونعاشر الصالحين ونعاشر أهل البيت(ع). يجب أن نكثر من الذهاب إلى جلسات ذكر مصائب أهل البيت(ع) وننادي الحسين كثيرا وننادي عليا كثيرا. إن وجود هذه العترة الطاهرة نور وله تأثير قوي جدا يترك أثره علينا من مسافة ألف وأربعمئة سنة. وأنتم بحمد الله تحظون بالقابلية والاستعداد الجيد لتعاشروا أهل البيت وتأنسوا بصحبتهم.

السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة

ن كثيرا ممّا يصعب عليهم الدين، لم يقتنعوا بالدين عن عمق

أحيانا لا ينبغي أن نكتفي باقتناعنا ولا سيما إن كانت القناعة سطحية. فلابدّ أن نبني كياننا الفكري من جديد، إذ قد تكون ثغرات في هذا النظام ولعلّنا قد اقتنعنا ببعض العقائد عبر أدلة غير كافية وغير صحيحة، وقد يكون هناك خلل في مقدمات عقائدنا وقد خفي عن أنظارنا، أو لعلّنا رتبنا مقدمات عقائدنا واقتنعنا بها بغير دقّة. فإن لم يطو الإنسان مراحل اقتناعه واعتقاده بالدين بشكل دقيق ومحكم، سيواجه مشكلة في محلّ ما.

وقد تظهر هذه المشكلة في الاستخفاف بالصلاة وفي التساهل في السير والسلوك إلى الله وفي التقصير في الإطاعة وغيرها. إنّ هؤلاء الذين يزعمون أنّهم قد آمنوا بكل شيء واقتنعوا بكلّ شيء ولا مشكلة فيهم سوى أن يصعب عليهم العمل ببعض أجزاء الدين ولا مهجة لهم في بعض الأحيان أو أنهم يفقدون تلك القابليّة العالية للتقوى أو ليس لهم توفيق أولياء الله، فهولاء الذين يتحدثون بمثل هذا الكلام وهكذا ينظرون إلى قصورهم وتقصيرهم في الدين، لا يقولوا بأننا نعتقد بكل شيء ولا يسطّروا محفوظاتهم في العقائد الدينيّة، إذ أنا لا أعتقد بأنهم يعتقدون بكل شيء وليس هناك خلل في عقائدهم وقناعاتهم.

بالتأكيد أنهم مؤمنون ولا أقول أنهم غير مؤمنين! ولكن لي نقاش في اقتناعهم، فإن الكثير من الناس لم يقتنعوا بتعاليم الدين عن عمق. فقد قبلوا بها واعتقدوا بها كالطالب الذي يحترم أستاذه، ولكن بدلا من أن يستدل له الأستاذ على مدّعاه، يرفع له صوته ويؤكد في لحن قوله، فيقتنع الطالب ويرضى بالجواب الضعيف الذي أعطاه أستاذه. فهذا ليس بطريق صائب ولابدّ أن نقتنع عن عمق.

باعتقادي أن كثيرا ممن يصعب عليهم الالتزام بالدين، لم يقتنعوا به عن عمق، بل قد قبلوا ببعض التعاليم وبمجمل الدين بشكل سطحي. فهم لا يستطيعون أن يرفضوا وجود الله سبحانه ولا يقدرون على إنكار نبي الله(ص) وليس بإمكانهم أن يكفروا بيوم القيامة والجنة والنار، فآمنوا بكل هذه العقائد وهم مؤمنون.

ولكن لا تزال أسئلة باقية في أعماق قلوبهم عن بعض الأسباب والغايات والأهداف. إن بعضهم لا يسألون عما يختلج في قلوبهم احتراما لله، فيشعرون بالإساءة إن طرحوا استفسارا عن أصل الدين، ويقولون مع نفسهم: ليس من الأدب أن نسأل هذه الأسئلة، إذ أن الله يعلم الصواب جيدا، ولابد أن هذا الدين لصالحنا ولهذا أوجبه علينا، فمن الأولى أن لا نتدخل في شؤونه ونلتزم بدينه بلا سؤال ونقاش!

إن هـذا الكلام كلام صـحيح ولكنـك لا تسـتطيع أن تلـتزم بالـدين بهـذا الأسلوب، إذ أحيانا تفرّ من أحكام الله وأحيانا تصعب عليك هذه الأحكام، فليـس لك بدّ سوى أن تقتنع بالدين عن عمق. فلا داعي لأن تكتم سؤالك مـن أجـل أن تحترم الله، بل اطرح سؤالك حتى تقتنع بالقضية بكل وجودك.

طبعا أنا أؤمن أنّ بعض الأسئلة غلط من أساسها، وإن بعض الأسئلة إن لم تكن غلط فهي تحكي عن مرض في قلب الإنسان، كما يقول القرآن: (بَـلْ يُرِيـدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَه * يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَـة)[القيامـة/5ـ 6]، ولكـن السـؤال الجيـد يشـفي قلـب الإنسـان وينقـذه فلا ينبغـي أن نـتركه. إن السـؤال الجيـد والنظرة إلى مختلف القضايا من زاوية صحيحة وتحليل القضـايا بشـكل صـحيح، كلها من مقتضيات حياة الإنسان.

إن منطلقنا في هذه الأبحاث هو مشاهدة الواقع في الدنيا وفي حياة الإنسان

من أين انطلقنا في هذه الأبحاث أيها الإخوة؟ إنّنا لم ننطلـق مـن الإيمـان. اسمحوا لي أيها الإخوة أن أشرح لكم الأسلوب والمنهج الذي اتخـذناه فـي هـذه الأبحاث. نحن لم نبدأ من الإيمان بالله سبحانه في هذه الأبحاث، فمن أين بدأنا؟ بدأنا من دراسة الواقع، فحـاولوا أن تشـاهدوا الواقـع بشـكل صـحيح. وهـذا هـو الأسلوب الذي اتخذه أمير المؤمنين(ع) فـي الكتـاب الواحـد والثلاثيـن مـن نهـج

البلاغة الذي كتبه إلى ولده الإمام الحسن(ع)، وهذا هو الأسلوب الذي تستطيعون أن تشاهدونه في القرآن بأنحاء مختلفة.

نحن قد انطلقنا من دراسة الواقع، ولا من ذكر الواجبات والمحرمات وأحكام الدين، ولا من الأمور الغيبية التي على رأسها هو غيب الغيوب رب العالمين. فلم نبدأ حديثنا من هذه المواضيع، بل بدأناه بدراسة الواقع. وسوف نصل إن شاء الله إلى الإيمان.

لماذا بدأنا من الواقع؟

لماذا بدأنا من الواقع؟ أريد أن أجعلكم على بصيرة من مسار البحث كما بودّي أن أطلعكم على خلفية هذا الفيلم وهذه السيناريو التي بدأنا بكتابتها معا في هذه الليالي.

إن ما نرمي إليه في هذه الأبحاث هو أن نتعطّش إلى الإيمان بالله قبل أن نصل إليه في بحثنا، ونشعر بالحاجة إلى أحكام الله قبل أن نواجهها، ونريد أن نشعر بالألم والحاجة إلى الطبيب قبل أن يخاطبنا الأنبياء. فإذا جاءني طبيب وسألني عن صحتي وأنا لم أشعر بأي ألم في جسمي، لعلي أستهزء بالطبيب وأجيبه بتكبر واستعلاء إذ لا أشعر بالحاجة إليه، وهذا ما حدث تجاه الأنبياء على مرّ التاريخ (مَا يَأْتِيهِم مِن رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُن)[يس/30].

فلابدّ للإنسان أن ينقدح في قلبه السؤال ويشعر بالعطش، فإذا دلّوه على عين الدين الصافية، عند ذلك يعرف قدرها ويلتذّ ويرتوي بها، كما يصبح قلبه عند ذلك عينا جارية بالحكمة والمعارف الحقّة.

أما إن أعطيت الدين من لا يشعر بالعطش والحاجة والفقر. يقول مستنكفا: لماذا يجب علي أن ألتزم بهذه القيود؟! أفهل يمكن أن تجيب مثل هذا الإنسان عن هذا السؤال؟! إن هذا السؤال ليس بلا جواب ويمكن أن يجيب عنه الإنسان ولكن باعتباره لا يصدر من قلب سليم، فحتى لو أعطيته الجواب الصحيح لا ينفعه.

إن الإنسان لجوج لا ينصاع للأوامر والنواهي بسهولة، وليس علاجه سوى أن يدرك الواقع بعمق. فإن قلت له: صلّ، يقل: لماذا يجب أن أصلي! ولعلّه يتفلسف ويقول: هل يحتاج الله إلى صلاتي؟ إلى غيرها من الأسئلة... وكلما تحاول على إقناعه لا تقدر على ذلك. لأنك قد أخطأت في اختيار التكتيك وابتدأت معه بذكر الحكم، فأقفل قلبه عليك ولم يفتحه مهما أعطيته من أدلة وبراهين.

فحاول أن يشعر بألم وحزن، ليأتيك ويقول لك: ماذا أفعل بهذا الألم الذي أشعر به في قلبي؟ عند ذلك قدّم له الصلاة كدواء للداء الذي يشعر به ويعاني

منه. فيأخذ الصلاة متلهفا لأنها جاءت دواء لألم شعر به في قلبه وماء صافيا يزيل به عطشه.

إن هذا الأسلوب والمنهج يقول: عرّف الناس في بداية الأمر على واقعهم وواقع حياتهم وعرفهم على مرارة هذا الواقع. فإن شاهدوا هذه المرارة وشعروا بها جيدا يبحثوا عن الحلاوة. وهنا تسنح الفرصة لتحلّي حياتهم بحلاوة الدين. هذا هو الأسلوب المعقول والطبيعي لتبليغ الدين.

أنا لا أقول إن باقي الأساليب غلط ولا ينبغي أن يتخذها أحد، ولكن بودي أن تروا هذا الأسلوب وتقفوا عنده. طبعا إذا أردنا أن نتحدث عن هذا المنهج بشكل عام وندافع عنه ونتحدث عن أبعاده نحتاج إلى عشر محاضرات مستقلة، ليس مجالها الآن.

النقطة المقابلة لهذا المنهج هو أسلوب الشيطان

ما هي النقطة المقابلة لهذا المنهج؟ النقطة المقابلة لهذا المنهج، هو أسلوب الشيطان، إذ أول ما يقوم به الشيطان هو أن يزيّن لك الدنيا ويحليها في مذاقك. فيتحدث معك عن الدنيا ولذاتها وحلاوتها وجمالها بالنحو الذي تشعر أن قد سبقك غيرك كثيرا في التمتع بهذه الدنيا والالتذاذ بها.

وبطبيعة الحال إن أصبح انطباع الإنسان عن هذه الدنيا هو أن يستطيع أن يرتع فيها ويتمتع ويأكل ويشرب ويلعب مهما شاء، لا يستطيع عندئذ أن يقيّد

نفسه بالدين. وإن قلت له: إن الدين لا يسمح لك بهذا النوع من اللذة، لا يقبل، وقد يتهجم عليك بشدّة. هذا هو أسلوب الشيطان إذ قال الله تعالى عن إبليس: (لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأرْضِ)[الحجر/39]

أما نحن فقد عملنا ضدّ الشيطان تماما، إذ قلنا إن الدنيا خربة وهي محل بلاء وعناء وتعب وألم. فقد تعلمنا هذا الأسلوب من أمير المؤمنين(ع) إذ عمل عكس الشيطان وأسقط الدنيا من عيننا.

مقارنة بين الأسلوب الصحيح وأسلوب الشيطان

عندما تعتبرون الدنيا مرّة، تبحثون عن الحلا، ولكن إن اعتبرتم الدنيا حلوة، سوف تجدون الدين مرّا. هذه معادلة واضحة أرجو أن تنتبهوا إليها. نحن بدأنا في أبحاثنا من مشاهدة الواقع ورأيناه مرّا. وكذلك إبليس يبدأ معنا من الدنيا ولكنه يكذب علينا ويزيّن الدنيا ويحليها في عيننا. فإذا استطاع أن يخدعك ويصور الدنيا حلوة، عند ذلك تجد الدين مرّا. بيد أنك إن وجدت الدنيا مرّة سوف تجد الدين حلوا، وشتان بين هذه الرؤيتين.

ما هو دور الغزو الثقافي؟ دوره هو تزيين الدنيا. وما هو الفيلم الذي يفسّد الإنسان؟ هو ذاك الفيلم الذي يصوّر الدنيا أحلى من واقعها، وهو ذاك الفيلم الذي ينظر إلى مشاكل الدنيا ومرارتها كمشكلة طارئة استثنائية في الحياة، فيعالجون المشكلة في القصة وتنتهي آلامهم ومشاكلهم تماما وينتهي الفيلم

بعاشوا عيشة سعيدة. ثم المشاهد المسكين ينتظر عشرات السنين حتى يصل في حياته إلى «العيشة السعيدة» ولكنه مهما يحاول لايصل إلى شيء. فلماذا نخدع الناس بهذه الأفلام؟

لم تكن نقطة عزيمتنا الإيمان، ولم نبدأ بالدين، بل قد انطلقنا من الدنيا ومن الإنسان، لا من الله سبحانه. وهذا هو الطريق الصحيح. ثم قد بدأنا بمرارة الدنيا لا بحلاوتها. ولم نأت نسوّد الدنيا ونشوّهها ليحلو الدين، كلا، بل هذا هو واقع الدنيا والإنسان يشاهد هذا الواقع إن لم يكن أعمى العين.

نعم! هناك من يحاول أن يغض الطرف عن مرارة الدنيا، فهذه مشكلتهم، ولكن الواقع هو أن الدنيا مليئة بالمرارة والمحن. (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[يس/68] إن الله ينسب هذا الفعل إلى نفسه ويقول نحن نفعل ذلك. وكذلك قال: (لَقَد خَلَقْنَا الإِنْسَانَ في كَبَدٍ)[البلد/4]. هذا هو فعل الله وهذا هو البرنامج الإلهي، إذ أراد أن يروّضك ويقوي عضلاتك في هذه الدنيا.

مرور على ما سبق

مما يؤيد هذا الأسلوب هو الروايات التي تدعو لمعرفة النفس، من قبيل ما روي عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[غرر الحكم/ص 588]. و قد كانت بعض أبحاثنا الماضية مرتبطة بمعرفة النفس. فقلنا: إن الإنسان ينطوي على رغبات مختلفة، فعندما يريد أن يختار

شيئا من رغباته، لابدّ أن يذبح بعضها من أجل بعض أخر، ومن هنا يبدأ جهاد النفس.

وقلنا: إن الرغبات الأقل قيمة وثمنا ظاهرة واضحة، والرغبات القيّمة خفيّة وكامنة في عمق روح الإنسان. فلابدّ لك أن تعفّ وتغض الطرف عن رغائبك السطحية لتصل إلى رغائبك العميقة.

إن جهاد النفس جزء لا ينفك عن حياة الإنسان. فقد خلقت من أجل جهاد النفس وإلا لكنت حيوانا أو كنت ملكا. لابدّ لك أيها الإنسان أن تنتج قيمة مضافة، يعني أن تنتج الحسن لا مجرد أن تكون حَسَنا. فليس من الفنّ أن تكون حَسَنا، إذ هذا هو شأن الملائكة، بل لابدّ أن تصير حسنا. ولابدّ أن يكون هناك مانع في طريق صلاحك، والمانع هو أن تكون تكره بعض الصالحات وتحبّ بعض السيئات. إذن خُلقت حتى تصير صالحا لا تكون صالحا كالملائكة.

لقد خلقت إنسانا وأصبحت إنسانا من أجل أن تحرّ رأس نفسك ومن اجل التضحية ومن أجل محاربة نفسك ومن أجل سحق رغائبك وأهوائك. ويعينك الله في حركتك هذه، إذ قد صمّم الدنيا على أن لا تجري رياحها بما تشتهيه سفينتك. فأنت تخالف هواك من جانب والله يخالفها من جانب آخر. فإن أردت أن تستقيل عن مهمّتك وتلبّي رغبات نفسك، سوف يتكفل الله بدلا عنك بمخالفة هواك فتزداد حياتك مرارة وصعوبة؛ (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضَنْكًا)[طه/124]. هذه هي خصيصة الإنسان وقد خلق في مثل هذه الأجواء ونحن لم نتحدث عن الدين بعد، بل إن خلقة الإنسان تفرض عليه هذا العناء في الحياة الدنيا. فإن حاولت قليلا وبعت فنّا تستطيع أن تثبت هذه الحقائق لنفسك عبر التجربة الميدانية أو بطريقة فلسفية أو من الناحية الفطرية.

لابدّ للآباء والأمهات أن يلقنوا أولادهم حقيقة مرارة الدنيا

كان ينبغي لأمّنا أن تصارحنا منذ طفولتنا بهذه الحقائق حتى نعيها ونوقن بها. مثلا تقول: أي بنيّ! ويا حبيبي وعزيزي وحياتي! سوف تكبر وتتنازع مع بعض ويحصل لك سوء تفاهم وسوء هاضمة وسوء فهم وقد يسيء الظنّ بك أحد فسوف يحصل لك كل هذا. فإن انزعجنا من كلامها وقلنا لها: لا نريد أن تحدث لنا هذه المشاكل! تقول: لا عزيزي، فقد خلقك الله وأعطاك القدرة لتخوض بها صراعات ونزاعات مع نفسك وأهوائك ومشاكلك.

هكذا تعاملوا مع أولادكم، فإن رجع ولدك من المدرسة باكيا بسبب أن ضربه أحد الأولاد، فلا تغضب كثيرا بل ابتسم وقل له: هذه هي المشكلة الأولى التي واجهتها في المدرسة، فسوف تكبر وترى مشاكل أكبر.

لابدّ للطفل أن يواجه مشاكل في حياته، ويا حبذا لو تدربوه على تحمل المشاكل والمعاناة منذ أن يدخل في السابعة من عمره. فعلى سبيل المثال قولوا له: إن عشاءنا هذه الليلة خبز يابس! وفي مرة أخرى قولوا له: في هذه

الليلـة عليـك أن تغسـل جواربـك بنفسـك، بـالرغم مـن وجـود الغسّـالة. فبهـذا الأسلوب يعني الشدة المطعّمة بالراحة والمحبـة والحنـان والعطـف ينضـج هـذا الولد وتقوى البنت وسوف لا يضجر الأولاد من كـل شـيء ولأي نفـص ومشـكلة في حياتهم.

نظرة من جديد إلى قواعد حياة الإنسان

أقترح للإخوة الناشطين فـي هـذه الجلسـة أن يأخـذوا منّـي روايـات أميـر المؤمنين(ع) التي جمعتها في هذا الحاسـوب، حيـث تتحـدث عـن الـدنيا ومحنهـا وشدائدها، ويستنسخونها ثم ينصبونها في مدخل المسجد، لتقرأوها وتخافوا جيّدا ولا تتصوروا أنّ عدد الروايات بهذا القدر التي قرأتها عليكـم، بـل هـي أكـثر مـن ذلك بكثير. هذه هي الدينا. فادرسوها جيدا واعرفوا في أي مكان تعيشون.

نحن بدأنا في هـذه الأبحـاث مـن الواقـع لنصـل إلـى نقطـة منقـذة باسـم الإيمان وباسم الله سـبحانه وباسـم الـدين. إلـى هنـا كنـا بصـدد تعريـف منهجنـا وأسلوبنا في البحث. وقد خرجنا بهذه النتيجة وهي أن لابدّ لنا في بادئ الأمـر أن نشاهد الحقائق المُرّة في حياة الإنسان ووجود الإنسان.

إن هذه الحقائق تخاطب الإنسان وتقول له: أيها الإنسان! إنـك ومـن أجـل أن تستمرّ في الحياة مجبور على جهـاد نفسـك، ولا سـبيل لأي إنسـان أن يصـل إلى كل رغباته وأهوائه. فهو مضطرّ إلى أن يضـحي ببعـض أهـوائه ليسـتمر فـي

حياته. فكلما كان اختيارك أفضل وتضحيتك أصوب، ستحظى بمزيد مـن الحيويـة والروحية العالية.

أرجو أن نصير هكذا ونحمل هذه الرؤية إلى آخر شهر رمضان؛ يعني عندما نصبح نفتش عما نضحي به وعندما نعدّ برنامجنا اليومي، ننظر إلـى مـا يجـب أن نضحي به والأهواء التي لابدّ أن نتركها في ذلك اليوم. ونسأل الله أن يعيننا على ترك ما حددناه من أهـواء. هكـذا يجـب أن ننظـر إلـى الحيـاة. فـإن كـانت هـذه رؤيتكم وعشتم بهذا الأسلوب، سوف ينظـر اللـه إليكـم بعيـن الرحمـة، وسـوف تجدون حلاوة رحمته ولطفه.

هذا هو شأنك وحالك أيها الإنسان، فـإنّ إنسـانيتك مرهونـة بجهـاد نفسـك، فإن لم تجاهد نفسك بالشكل المطلوب، سوف تجاهدها فيما لا يعود لك فيه نفع ولا أجر ولا حاصل سوى الضرر والخسـران. كمـا أن دنيـاك أيضـا لا تنسـجم مـع رغباتك وأهوائك.

اعلموا أيها الإخوة فإننا نكسب من الله في أوائل عمرنـا، ثـم نرجعهـا إلـى الله في المرحلة التالية من عمرنا، فما يعطيه الله لنا فـي مقتبـل العمـر، يعـود ليستوفيه منّا في الجزء الآخر. فكل ما منحك الله إياه، يسلبه منك. فإنه يــذيقك لذائذ الدنيا ثم يحرمك منها حسب القواعـد الكونيـة الـتي أسسـها اللـه بنفسـه. يقول لي بعض الإخوة: لماذا تتكلم بهذا الأسلوب المرّ؟ أقول لهـم: لأن لا يجــوز

أن نكذب على بعض. إن طبيعة الإنسان هي أن تسقط أسنانه في الشيخوخة، فلم يعد يقدر على أكل الكثير من الطعام. ثم سوف يضعف جسمك وتعجز عن القيام بكثير من الأعمال. فأنت ذاهب إلى الشيخوخة شئت أم أبيت. فهل هذا الكلام كذب؟ وهل نريد أن ننظر إلى العالم كما ينظر البهائم حتى نغض الطرف عن هذه الحقائق الواضحة؟

هناك رواية عن رسول الله(ص) تقول: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَ تَشِبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ وَ الْأَمَل»[تحف العقول/ص 56]، فما يشيب ويهرم هو الجسم وحسب، أما نفسك فتبقى في شبابها، ولكن عجز الجسم عن خدمتها وتلبية رغائبها. فإنك في أيام الكبر لا تزال تشتهي وترغب ولكن لا تستطيع على نيل ما تشتهيه. فماذا تريد أن تصنع في زمن هرمك وبحبّ من تريد أن تعيش تلك الأيام؟ فهل تريد أن تعيش في تلك الأيام خائبا حزينا مغموما ثم تدفن كل مشاعرك وتبتسم رغما على حزنك وقلبك الكئيب؟! وهل تريد أن تعيش حياة بلا حب وعشق وفارغة من الهيجان والحيوية؟ مع أن نفسك سوف تبقى شابة وسوف تطمع بكل هذا أكيدا. إذن فلنشاهد الواقع فإن منغصات العيش كثيرة فأرجو أن تحصوها.

كان لنا في أيام المراهقة درس في الأخلاق، وكان الدرس يشبه ورشة عمل، فكنا نجلس في حلقة ونتحدث معا عن مسائل أخلاقية، ولعلّ نصفهم قد

استشهدوا في جبهة الدفاع المقدس. كانت تنعقد جلساتنا كل مساء الخميس في مسجد صاحب الزمان في تقاطع عباسي، وأغلب الشهداء الذين استشهد بقصصهم وذكرياتهم دائما، هم شهداء تلك الجلسة.

وكانت في زاوية المسجد غرفة يسكنها شيخ كبير جدا. لم يكن هذا الرجل الكبير خادم المسجد ولكنه كان ساكنا في تلك الغرفة منذ سنين. كان عندما يخرج من غرفته ويعبر من غرفتنا، نسمع صوت حذائه الذي كان ينجرّ على الأرض من شدة عجزه وشيخوخته. فأتذكر أن قلت لأصدقائي في تلك الجلسة: فلننظر إلى مستقبلنا. وأتذكر أن قال بعض الأصدقاء في تلك الجلسة لقد سقط التلّهي بالشهوات من أعيننا، فكانوا قد نظروا نظرة إمعان وتأمل إلى مستقبلهم وتصوروا عجزهم وضعفهم عن المشي. فكان هذا الرجل الكبير مغنما لنا إذ كل ما كان يخرج من غرفته ويمرّ من غرفتنا، ننصت لصوت مشيه، ونحدث أنفسنا أن انظري وشاهدي فسوف تنتهي أيام شبابك ولذتك وهذا هو مستقبلك.

خير شبابكم من تشبه بالشيوخ

لقد روي عن النبي الأعظم(ص) حيث قال:«خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِالشُّيُوخِ، وَ شَرُّ شُيُوخِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِالشَّبَاب»[نزهة الناظر وتنبيه الخاطر/ص 32]. لا تقرأوا هذه الرواية على المدلّلين في هذه الدينا، فإنهم يستهزؤون بها ويقولون: هل تريد أن نصبح شيوخا ونعجز عن كل شيء؟! فلا يستحق هؤلاء أن

يكلمهم الإنسان، إذ لا أثر للفكر والوعي والفهم في سلوكهم، فلا يعرفون أن الإنسان إذا استطاع أن ينظر إلى فترة هرمه ومشيبه في أيام شبابه، عند ذلك سوف يترك اللعب والتفاهة في أيام الشباب، ويعيش عيشة تحافظ على شبابه إلى فترة مشيبه وشيخوخته. إنهم لا يعرفون ذلك ولا يمكن أن تكلمهم بمثل هذا الكلام.

وفي المقابل «شر الكهول من تشبه بالشباب» فكان لابدّ لك أيها الشيخ الكبير أن ترى أيام عجزك ومشيبك منذ أيام شبابك وتوقن بهذه المرارة لتدع اللهو واللعب والتفاهة من أيام الشباب، ولكنك لم تدع حياة اللهو واللعب حتى بعد مضيّ عمرك وتنكّسك في الخلق.

هل التغافل عن مرارة الحياة هو الأسلوب الصحيح؟

كيف تحلو هذه المرارات؟ طيّب، هنا قد دخلنا في المرحلة الثانية من الموضوع. عندما ينظر الإنسان إلى المنغصات الكامنة في وجوده وإلى مرارة مصيره ودنياه، عند ذلك يكاد أن لا يطيق هذه الدنيا. طبعا لا يخلو النظر إلى مرارة الحياة من فائدة، فمثل هذا الإنسان سوف يتحمل الصعاب والمحن أسهل من غيره، ولكن سوف تفقد الحياة روحها ونورها ونشاطها وحيويتها في مثل هذه الأجواء. وهنا لابدّ أن نتحدث مع الإنسان وننقذه عن الطرق التي قد يسلكها في سبيل التخفيف من مرارة حياته.

فنقول له: لا تغفل عن هذه المرارات ولا تزعم أنك تندق إن لم تتغافل عنها. ولا تنس الموت أيها الإنسان. فلعلك تقول: إن أجعل الموت نصب عيني دائما، يصفرّ وجهي وأفقد أملي وأكن كالميت بين الأحياء، ولكنك مخطئ في حساباتك. فليكن بعلمك أيها الإنسان أن المفرّ من هذه المرارات ليس بالتغافل عنها.

إن الغفلة عن المرارات تهدم كيانك وتقضي عليك. فلابدّ أن تبني رؤيتك عن الحياة على أساس هذه المحن والمشاكل، وهذا ما يدل عليه الكتاب الحادي والثلاثون من نهج البلاغة الذي خاطب به ابنه الإمام الحسن(ع)، حيث افتتح كلامه فيه بذكر مصائب الدنيا ومراراتها.

ما هو الطريق الأفضل في التعامل مع محن الدنيا؟

ماذا يحدث إن لم تغفل عن مرارات الدنيا؟ إن روحك تصبو إلى ما هو حلو وتطلب اللذة، وتهشّ إلى التحرّر، وكذلك إنك تحظى بروح تحب العشق والغرام. فهي لا تطيق ظروف الدنيا ومعاناتها، ولكن دع يضيق صدرك من هذه الظروف التي تعيشها ومن هذه الدنيا التي حبست فيها. لتصل شيئا فشيئا إلى نقطة ومرحلة بودي أن أجسدها لكم قليلا في هذه الليلة. وسوف استعرض لكم في الليالي القادمة خط السير من نقطة الانطلاق إلى نقطة الهدف بشكل كامل.

أخي العزيز! لا تغفل عن مرارات الدنيا، إذ ليس طريق مواجهة هذه المرارات هو التغافل عنها بل الطريق هو ذكرها على الدوام. إذا أردت أن تتغلب على هذه المرارات فاسعَ لتحصل على عشق بحيث ترغب أن تعاني وتذوق مرارات الحياة في سبيل من عشقته وأحبته وتلتذ بالمعاناة التي تعيشها في سبيله. لابدّ لك أن تصل إلى هذا المستوى وليس لك بدّ آخر وإلا فتُشقي نفسَك. إنك لا تستطيع أن تفرّ من المحن، فلا تنكرها وإلا تصبح أحمقا. ولا تستطيع أن تزيل المحن من حياتك، فإذا أردت أن تتعامل مع محنك بأحسن وجه، فابحث عن عشق سام وعال في حياتك لترغب في تحمل كل هذه المعاناة في سبيل حبيبك. وشتان ما بين من يرغب في تحمل المعاناة في سبيل حبّه، وبين من اقتنع بضرورة المعاناة فقال: لا بأس بمجيئ بعض المحن والمعاناة!

متى يزدهر الإنسان؟ عندما يبلغ درجة حبّ المعاناة وتحمل الآلام في سبيل حبيبه، لا أن يصبر على المحن في سبيل الحبيب وحسب. لقد خلق الإنسان لهذه الحياة، وقد خلقكم الله وركّب روحكم وخلايا وجودكم ومشاعركم وكل الكائنات على أساس هذا النمط من الحياة. والإنسان الحقيقي هو من يرغب أن يعاني ويذوق المحن في سبيل الله. ولهذا عندما رأى إبراهيم أن لا يستطيع ذبح ابنه في سبيل ربّه، حزن وضاق صدره.

ينبغي لك في هذه المرحلة أن ترغب في تلقّي المصائب والمظالم في سبيل الله وأن تعاني من الجوع في سبيله وأن تحزن في سبيله. ولا بأس أن تسأم الجوع وتشتهي الطعام فتناجي ربك وتسأله أن يرزقك طعاما لتشبع به من جوع، ولكن بعد أن شبعت أياما متتالية، سرعان ما يضيق صدرك ويحنّ فؤادك إلى أيام الجوع. إلى هنا يصل الإنسان. أمّا كيف يصل الإنسان إلى هذه المرحلة، فهذا ما يحتاج إلى بحث طويل، فأرجو أن لا يستعجل الإخوة.

ما هو الطريق الأفضل الذي أودعه الله في فطرة الإنسان وحياته لمواجهة المشاكل والآلام؟ إن الطريق الأفضل لا هو الإنكار ولا هو الفرار، بل هو أن يرغب الإنسان في تحمل الآلام في سبيل الله.

إن استطاع الإنسان أن يعشق الله، عند ذلك يحب المعاناة في سبيل الله بمختلف أنواعها، كالصوم وقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام وقلة الراحة واستماع استهزاء الآخرين وغيرها. هذا شعور خاص لا أدري كيف أشرحه وأوضحه، ولكن من لم يجد في نفسه هذا الحب وهذا الشعور فهو لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه ولم يعرف العلاقة بينه وبين ربه ولم يعرف شيئا قط.

حوار افتراضي بين الله وبين عبده العاشق

إنه حبّ نابع من أعماق قلب الإنسان وقد لا يقدر صاحبه على تعبير ما يجري في قلبه. لقد صحت فطرة هذا الإنسان فلا تناقشه ولا تسأله عن دليل،

إذ إنه قد عشق الله وقد عشق المعاناة في سبيل الله. وهل تعلمون ما سوف يكون مصير هذا الإنسان؟ سوف يحتضنه الله ويقول له: «وأنا أحبك أيضا وأرزقك المحن والبلايا كما أحبت. لقد اخترتك لنفسي، وقدّرت لك البأساء والضرّاء، وأنت تعاني من أجلي، فما تريد عبدي بعد أن أصبحت حياتك كما تحبّ؟ أنت الآن تعاني من بعض المشاكل والآلام في حياتك، وهذا ما رغبت فيه أنت وأحبته أنت فعانِ إذن وتجرع البلاء. وأنا في المقابل أقدر لك المحن والبلايا على الدوام ولم أقصّر في ذلك. وأنت تتقرّب إليّ يوما بعد يوم بصبرك الجميل على هذه المحن والمشاكل، إذن ليس لك مشكلة بعد وعش سعيدا إلى آخر عمرك». ولكن بعد كل هذا لا يزال العبد حزينا خائفا. فإن سأله الله عن السبب، أجاب وقال: إلهي لا طاقة لي بحر نارك فماذا أفعل إن أدخلتني النار؟ فلا يزال هذا العبد يبكي ويبكي خوفا من نار جهنّم التي سعّرها جبّار السماوات والأرض. وهذا الخوف والبكاء أيضا من هواياته فدعه يبكي.

أنا لا أفهم حقيقة هذا النوع من الحب والغرام، فهل تفهمونه أنتم؟! الشيء الوحيد الذي أدركه من هذا العشق أنه يختلف عن العشق الدنيوي الذي ناجم من الأنانية وحبّ الذات، بيد هذا الإنسان يحب أن يعاني ويتجرع البلاء في سبيل حبيبه. فمهما تحمل من عناء وبأساء وضراء لا يشعر بأنه قد وفّى حق حبيبه، فيبكي خوفا من نار جهنّم! فكيف تفسرون بكاء أمير المؤمنين(ع)

الشديد من جهنّم؟! لقد روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «الْقَلْبُ الْمُحِبُّ لِلَّهِ يُحِبُّ كَثِيراً النَّصَبَ لِلَّهِ وَ الْقَلْبُ اللَّاهِي عَنِ اللَّهِ يُحِبُّ الرَّاحَةَ فَلَا تَظُنَّ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَّكَ تُدْرِكُ رِفْعَةَ الْبِرِّ بِغَيْرِ مَشَقَّة»[مجموعة ورام/ج 2/ص 87].

إن الله هو صاحب القرار في تعيين نوعية المعاناة التي نعيشها من أجله

بعد أن عشق الإنسان ربّه ورغب في تحمل البلاء من أجله، لم يعطَ حق اختيار البلاء بل الله هو صاحب القرار في تعيين نوعية المعاناة التي لابدّ أن يعيشها من أجله. ولا شك في أن هذا القانون عامّ يشمل جميع الناس ولا العشاق فقط.

أيّها السادة! هل تريدون أن تتصدقوا؟ أجيبوني بنعم. إن كنتم تريدون أن تتصدقوا فاسمحوا لي أن آتي بيوتكم وأختار بنفسي البضاعة لتتصدقوا بها، فهل توافقون على ذلك؟! من المؤكّد أنّكم لا توافقون على ذلك إذ تريدون أن تتصدقوا بما تشاءون لا بما يختاره غيركم. ولكن الله سبحانه يمتحنكم ويقدر لكم المشاكل كيف ما يشاء، وهو يعرف جيدا كيف يبتليكم ويفرض عليكم المحن والمشاكل، إنه يعرف ثغرات حياتكم ويعرف نقاط ضعفكم، وأحيانا يأخذ إسماعيلكم أضحيةً.

طبعا إن الله أرحم الراحمين وهو يراعي قابليتنا وإيماننا، فلا يخف منكم أحد، إذ نحن غير مؤهلين لمثل هذه الامتحانات الصعبة، فلا تقلقوا على

مستقبلكم وما سوف يفعله الله بكم. وقد سبق أن قرأت عليكم تلك الرواية التي تقول: «لَوْ لَا إِلْحَاحُ هَذِهِ الشِّيعَةِ عَلَى اللَّهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ لَنَقَلَهُمْ مِنَ الْحَالِ الَّتِي هُمْ فِيهَا إِلَى مَا هُوَ أَضْيَقُ مِنْهَا»[الكافي/ج 2/ص 264]

إن الله قد سمح لشخص واحد أن يتجرع البلاء إلى آخره، وهو الحسين(ع)، ولم يعط هذه الفرصة لأحد آخر أبدا. لم يسمح لإبراهيم الخليل(ع) أن يتجرع البلاء بشكل مباشر ولم يسمح لشخص آخر أبدا ولكنه قد سمح للحسين(ع). فأنت الذي تعشق الحسين(ع) وبودك أن تفدي بروحك من أجل الحسين(ع) هل تعلم لماذا أخذ الحسين(ع) من قلبك هذا المأخذ؟ وهل تعرف سبب حبك الشديد هذا للحسين(ع)؟ لأن فطرتك وذاتك تتلهف للحسين(ع) إذ أن الحسين قدوة إنسانيتك وقد جسد الإنسانية بأروع صورها، وهي ليست إلا حب تجرع البلاء من أجل الله، وأنت مفطور على هذا الحبّ، فلابدّ أن تحبّ الحسين(ع).

كيف نصل إلى هذا المقام؟

هناك طريقان:

الطريق الأول هو هذا الكلام الذي تحدثنا به في جلساتنا الماضية. اعترف بمرارة الدنيا لتقدر على التجافي عنها ولئلا تصرف كل همك بإصلاحها. طبعا لا بأس أن يقوم الإنسان بإصلاح دنياه بمقتضى تكليفه، ولكن لا تصرف وجودك

في هذه الدنيا البالية. دعها فإنها لا تصلح بشكل كامل. ارفع همتك عن مستوى هذه الدنيا وطهّر قلبك عن التعلق بها وصدّق بمرارتها ولا تصادق من أهلها أحدا ولا تأنس بأحد من أهلها، دعها ولا تفتش عن راحتك وقرارك فيها. هذا هو الطريق الأوّل.

أما الطريق الثاني فهو عقد القلب بالله سبحانه، فدرّب نفسك شيئا فشيئا على عشق الله. وقد جعل الله سبحانه المعصومين الأربعة عشر تسهيلا لحبّه. فإن صعب عليك حبّ الله وعشقه، فاعشق الحسين(ع) لتصل عن طريق عشقه إلى عشق الله. واللطم على الصدور في هذا المسار يمثل سلوكا عرفانيا رائعا. فهو شعار ورمز لمن أحبّ أن يتحمل البلاء في سبيل الحبيب.

إني آسف عليكم جدا إذ لم تدركوا أيام الجبهة والدفاع المقدّس. فلأنقل لكم بعض المشاهد التي عشتها هناك بصفة إنسان شاهد وحسب. كنا نعيش ساعات وأياما تحت قصف القنابل والرصاص، ومن كثرة الشضايا والقنابل والرصاص كنّا نشعر بأنا تحت المطر وكان مطرا من نور. فعندما تنتهي تلك الأيام ونشعر بالأمان ينقبض قلبنا ونشعر بأنه قد اسودّ لقلة البلاء. وقد سمعتم كثيرا أن الشباب المجاهدين عندما كانوا يرجعون إلى مدنهم كان يضيق صدرهم. إذ أن فطرة الإنسان تتلهف للبلاء والشدّة في سبيل الحبيب والمعشوق.

ما هو الأسلوب الأفضل في التعامل مع نعم الله؟

إن هذا الإنسان الذي يلتذّ في البلاء، إذا أنعم الله عليه وخفف عنه البلاء يمتلئ نورا ويصل إلى أوج اللذة وينغمر في حالة الشكر لله. أتذكر أحد المجاهدين في أيام الجبهة كان لا يستطيع أن يأكل شيئا بعد انتهاء الحملة ورجوع القوات إلى الوراء. فسألته عن السبب، فقال: «إني كنت أحصي ديوني لله تحت قصف القنابل في المعركة وكنت أشعر بالخجل والدين لله، فكيف بي الآن وأنا في حالة الأمان الذي أشعر فيه بتصاعد ديوني لله سبحانه؟ وقال: ما زال صدري ضائقا من كثرة ديوني لله فهل أكثّرها؟» كان بودّه أن يضحي من أجل الله ويتقطع قطعة قطعة في سبيل الله، لا أن يأكل ويتنعّم ويتمتّع. فقلت له: أما تسمّي باسم الله قبل الطعام؟ قال: بلى. فقلت: إذن كلْ الطعام إذ لا يتشدّد الله بهذه الدرجة، والله يحب أن يتمتع عبده بنعمه. بعد ذلك كان يجلس على مائدة الطعام ويناجي ربه قليلا ويبكي قليلا ثم يأكل جيدا. فكان يأكل إرضاء لربّه كالولد الذي يأكل ما طبخت له أمه لتفرح أمّه. إن مثل هؤلاء يستطيعون أن يأكلوا من أجل الله فقط، أما الباقي فيأكلون مثل البهائم. لا يستطيع أحد أن يأكل من أجل الله، بل الكل يأكلون تلبية لنفسهم. وإنما الإنسان الذي يتحبب إلى الله في خضمّ البلاء، هو الذي يعرف كيف يتمتع بنعم الله.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

إن عشّاق الله يودّون أن يتلقّوا البلاء في سبيل الله، ولكنّ الله لم يسمح لأحد أن يتجرع كأس البلاء إلى آخره إلا الحسين(ع)، فقد أعطاه الحرية الكاملة لتحمل البلاء وكانت تأتي البلايا على الحسين(ع) واحدا بعد الآخر في يوم عاشوراء. هناك قاعدة تقول: كلما ازداد الإنسان نورا ومقاما وقربا من الله، ازداد حظا من هذا النوع من البلاء. فبما أن الحسين(ع) كان يزداد نورا ومقاما كلما كان يقترب من ظهور عاشوراء وعصر عاشوراء كان يزداد بلاؤه وتشتدّ مصائبه.

لقد استشهد أصحاب الحسين(ع) جميعا وبقي وحيدا، فأخذ يودّع أهله وعياله في الخيام وينزل إلى الميدان. في هذه اللحظات إذا كان ينزل بلاء على الحسين(ع) يفترض أن يكون أصعب من جميع المصائب التي تلقّاها من الصبح لحدّ ذاك الوقت. أنتم أيها الشباب قد لا تستطيعون أن تفهموا شدّة هذا البلاء باعتباركم لم تصبحوا آباءً، ولكن الآباء ولا سيما أولئك الذين لهم بنات صغار، وخاصة إذا كانت بنتهم في التاسعة أو العاشرة من عمرها يدركون شدّة هذه المصيبة نوعا ما. بعد أن ودّع الحسين(ع) النساء جميعا وأراد أن ينطلق إلى الميدان جاءته بنته سكينة وقالت له: «ردّنا إلى حرم جدّنا» إن هذه الكلمة

بوحدها تكاد أن تقطع فؤاد الأب الغيور الذي لا سبيل لـه إلا أن يـترك بنـاته بيـن قوم سفلة مجرمين.

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

مرور على ما سبق/نحن بصدد كشف برنامج لحياة وعبادة أفضل

نحن بصدد كشف برنامج لحياة وعبادة أفضل. ولابدّ لهذا البرنامج أن يكون كفـوء كمـا لابـدّ أن يكـون عمليّـا وأن يكـون مـؤثرا ومفيـدا فـي نفـس الـوقت، وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يتصف بشمولية وأن يكون شاملا لجميـع النـاس، لا المؤمنين فقط دون غيرهم. فإن كان البرنامـج برنامجـا عمليـا صـحيحا لتحقيـق حياة وعبادة أفضل، لابدّ أن يكون مشتركا بيـن الصـالحين وغيـر الصـالحين مـن الناس. ونحن نصبو إلـى كشـف برنامـج جـادّ وعميـق وصـائب ليحسّـن حياتنـا لا عبادتنا فقط، فإنّ تحسين الحياة مقدمة لتحسين العبادة.

ما هي مواصفات البرنامج الجيد

ما هي مواصفات البرنامج الجيد؟ مـن مواصـفاته هـي أن يكـون ذا محـور واحد. فإن البرنامج التي يجعـل الإنسـان أمـام مئـة محـور وعمـل لا يـؤدي إلـى نتيجة؛ من قبيل ما لو كان البرنامج عبارة عـن مجموعـة مـن الأعمـال والوصـايا المتناثرة في ضرورة الصبر ووجـوب الصـدق وحسـن التواضـع وكراهيـة البخـل

وقبح الحسد وحرمة الحرص وأهمية العبادة وضرورة صلة الرحم وحرمة أكل الحرام إلى غيرها من الحسنات والسيئات. فإن هذا ليس ببرنامج، بل مجموعة من الأوامر والنواهي غير المنتظمة وغير المبرمجة. بيد أن هذه الوصايا لها نظام وهيكلية لابد من كشفها وإعطائها للناس، لكي تكون حياتهم على أساس برنامج منتظم.

من مواصفاته الأخرى هي أن يكون مستوحى من القرآن والروايات، وأن يكون منسجما مع أحاديث أهل البيت(ع)، فلا يمكن أن نبدع برنامجا من جيبنا. و من جانب آخر يجب أن يكون متناسبا مع وجود الإنسان، وحقائق حياة الإنسان. فلا يمكن أن يكون البرنامج بلا علاقة مع ما تحدثنا عنه في تعريف الإنسان وهويته وماهيته.

لقد خلق الإنسان من أجل جهاد داخلي روحي، أي مجاهدة الأميال والرغائب

على رأس الخصائص التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في تعريف الإنسان هي: «أن الإنسان قد خلق بأميال ونزعات مختلفة ومتضاربة، وبمقتضى هذه النزعات المختلفة غالبا ما يقف أمام طريقين أو أكثر في مراحل حياته، ولهذا قد منح الإنسان حقّ الاختيار وأصبحت اختياراته الصائبة ذات قيمة». وأما باقي خصائص الإنسان من قبيل قدرته على تحصيل العلم فهي قد منحت له لكي تمكنه من الاختيار الصائب.

فعندما يقف الإنسان في مقام اختيار إحدى رغباته من بين مختلف الرغائب، لابدّ له من أن يضحّي ببعض هذه الرغبات في سبيل بعض أخر. ومن هنا يبدأ موضوع جهاد النفس. ولهذا ندّعي أنّ عنصر «جهاد النفس» يمثل أحد عناصر تعريف الإنسان. يعني أن الإنسان هو كائن خلق من أجل جهاد داخلي وروحي، أي مجاهدة رغائبه. وقد قامت هذه المعركة بسبب وجود نزعات وأميال مختلفة في داخل الإنسان، ولو لا هذا الاختلاف والتعارض لكان الإنسان مَلَكا أو حيوانا.

لقد أودع الله في قلب الإنسان نوعين من الرغائب: 1. الرغائب السطحية والرخيصة، ولكنها جليّة 2. الرغائب العميقة والقيّمة ولكنها خفيّة

وفي سبيل أن يتحقق جهاد الإنسان لأهوائه بشكل صحيح، قد أودع الله في قلب الإنسان نوعين من الرغائب: إحداها هي الرغائب العميقة والقيمة ولكنها خفيّة، والأخرى هي الرغائب السطحيّة والرخيصة ولكنها جليّة. إن هذين النوعين من الرغائب ليست سواء، بل إن الرغائب الجيدة والقيّمة أقوى من الرغائب الرخيصة أو التي لا قيمة لها، ولكن بسبب خفائها لابدّ للإنسان أن يعبر من رغباته السطحية والرخيصة ويضحي بها في سبيل الوصول إلى الرغائب العميقة والقيّمة.

فلو كانت الرغائب الجيّدة والعميقة ظاهرة في داخل الإنسان، لكان الناس جميعهم قد اختاروا هذا النوع من الرغائب لقوتها في قلب الإنسان، ولما حصل جهاد النفس قط. ولهذا فقد أخفى الله هذه الرغائب الشديدة في أعماق قلب الإنسان، وأظهر الرغائب الضعيفة لكي تتوفر أرضية جهاد النفس.

في السنين السبع الأولى من عمر الإنسان تتبلور الرغبات السطحيّة، وتلك المرحلة هي وقت تجربة هذه الرغائب، فقد أوصانا الإسلام أن نجعل الطفل أميرا في البيت وندعه وشأنه يفعل ما يشاء، لتتبلور رغباته السطحية، فلابدّ أن يجرّب هذه الرغبات ويذوق طعمها قدر المستطاع ليعرف الطعم الحلو ويذوق الراحة ويأنس بالمحبة والحنان. كما تتبلور في وجوده الأنانية ويظهر في السنة الثالثة من عمره الحسد أيضا. ثم بعد سنتين يحاول أن يقلّد الكبار ويلبس ملابسهم لتكون علامة على بوادر حبّ العظمة وحبّ الكِبَر وحب المقام.

يزعم البعض أن رغباتهم الرخيصة والسطحيّة أشدّ من غيرها وإن مخالفتها صعب جدا

إن هذه الرغبات التي يتعرف عليها الطفل في السنين السبع الأولى من حياته، ليست برغبات سامية بل هي رغائب سطحية يميل إليها الإنسان كما يميل إليها الحيوان وجميع الحيوانات يدركون هذه الرغبات ويتحركون على أساسها وليس لهم شأن سواها ولا يفهمون شيئا وراءها. إن هذه الرغائب السطحية تظهر نفسها كرغائب شديدة، ولكنها ليست بشديدة. فإن هذه

الرغـائب السـطحية الـتي تجربهـا وتعيشـها لا تقـدر علـى إمتاعـك كـثيرا إذ أنهـا سطحيّة ولم تمتدّ بجذورها إلى أعماق قلبك.

يزعم البعض أن رغباتهم الرخيصة والسطحية أشدّ من غيرها في وجودهم وإن مخالفة هذه الرغائب عمل عسير جدا. بينما إن يبدأوا بجهاد هـذه الرغـائب، سوف يلتذون بهذا الجهاد شـيئا فشـيئا وسـوف لا يعيـرون قيمـة لهـذه الرغبـات السيئة والسطحية. لقد خفي تحت محيط وجود الإنسان سلسـلة جبـال مرتفعـة جدا ولكنها غير ظـاهرة، فهنـاك محـلّ اسـتقرار رغباتـك الثقيلـة جـدا ولا سـبيل لكشفها إلا بالغوص والغور في أعماق هذا المحيط.

ما هو الطريق للوصول إلى الرغبات الأعمـق؟ هـل الطريـق هـو أن يعمـد الإنسان إلى عشـق اللـه فـي أول خطـوة؟! كلا. الخطـوة الأولـى هـي أن تذبـح رغباتك السطحية. فحاول أحيانا أن لا تأكل الطعام المحبذ لك، بل كل خـبزا مـع لبن. فابدأ بمنازعة نفسك ومخالفتها فـي رغباتهـا السـطحيّة. تمـرّن علـى جهـاد النفس حتى تموت سبعين مرة في اليوم من شـدة الجهـاد. ولا تنطـق بكـل مـا رماه هواك إلى لسانك، فكف عن الكلام بكثير مما يحلو لك التحدّث به، حتى إن كان ظاهر الكلام جيدا أو كان بصيغة نصح الآخريـن أو إرشـادهم، إذ أحيانـا نلبّـي شهوتنا في الكلام عبر ما يسمى بالكلام اللطيف والنصائح النافعة.

إن أهل جهاد النفس يجدون لذة في حياتهم لا يجدها أهل الفسق والفجور

إن مخالفة النفس أمر صعب في الظاهر، إذ تريد أن تخالف رغبة ونزعة ظاهرة، ولأنّها ظاهرة تشعر بأنّها رغبة شديدة، وهذا ما يجعلك تعتبر مخالفة هذه الأهواء أمرا عسيرا. ولكن هذه المخالفة في الواقع هي من أجل الوصول إلى الرغائب الخفيّة التي هي أعمق وأمتع وألصق بالفؤاد. ولهذا عندما نبدأ في هذا الجهاد ونخطو بعض الخطوات إلى الإمام ونذوق شيئا من رغائبنا العميقة، عند ذلك ندرك أن هذه المخالفة ليست بصعبة أبدا.

إن ماهيّة العسر والألم هو أن يكون الشيء مخالفا لهوانا وإنّ ماهيّة اللذة والسرور هو أن يكون الشيء موافقا لهوانا. إذن فعندما يقوم أحد بمخالفة أهوائه السيئة ويصحّي رغباته الجيّدة ويلبّي نزعاته العميقة والقيّمة، يشعر بلذّة لم يذقها أهل الفسق والعصيان في حياتهم قط.

إن عبادة الله يمثّل نزعة عميقة وممتعة جدا في وجود الإنسان. وإنه أقوى وأمتع بكثير من الميل إلى الشهوات، ولكنه أخفى من حبّ الشهوات. فمن هذا المنطلق إن من يلبي رغبته في عبادة الله ويرضي ربّه، يتمتع بلذة لن يجدها من يقوم بإرضاء هوى نفسه أبدا. فعلى سبيل المثال، من الذي يشعر بلذّة أقوى؛ هذا الذي يسبّ ويشتم إرضاء لهواه، أم الذي يسيطر على لسانه إرضاء لربّه؟ فلا شك في أن لا قياس باللذة التي يجدها الثاني تجاه لذّة الأوّل. وأيّهما

أشدّ لذة؛ من يقابل السوء بالسوء والانتقام إرضاء لهوى نفسه، أم من يعفو عن الناس إرضاء لربّه؟

كل من تزداد لذته بعلاقته بالله، يزداد بالمقابل أجرا من الله

واللطيف هو أن الذي يحظى بمزيد من اللذة وأقواها بسبب إرضاء الله في حياته، يُفترَض أن يزداد دَيْنا لله بسبب زيادة اللذة التي عاشها في حياته، ولكنّ الله يزيده أجرا ويرفع درجاته في الجنان. إنّ من لطف الله وكرمه هو أن كلما ازداد الإنسان انتفاعا من الله، يزداد نصيبه من الله في الجنة. يعني كل من عاش لذة أشد وأقوى في ظلّ علاقته مع الله في هذه الدنيا، يزداد أجرا منه سبحانه وتعالى. غيّر رؤيتك عن الله، فإن الله لم يرد منك أن تضحّي برغباتك ولذاتك في سبيله، بل أراد أن تضحي بلذاتك السطحية والقليلة في سبيل لذاتك العميقة والشديدة!

عندما تطبخ أمّ لولدها طعاما، كلّما التذّ الولد بطعام والدته وأكل من الطعام أكثر، تزداد الأمّ فرحا. ولا شكّ في أن الله الذي خلق الأمّهات، هو أرحم بعباده منهنّ جميعا.

الإنسان الذي يجاهد نفسه لم ينجز شيئا

لا ينبغي للإنسان الذي يجاهد نفسه، أن يعتبر نفسه قد أنجز شيئا خارقا وقام بعمل شاقّ، إذ أن اللذة التي يجدها في خضمّ جهاد نفسه، لن يجدها

الفسقة وشرابو الخمر أبدا. فهو لم يكن يطلب اللهَ شيئا بهذا الجهاد، بـل يـزداد دَينا له، إذ قد لبّى رغبات قلبه العميقة وحظى بمزيد من اللّذة، وقد نال ما يميل إليه ويرغب فيه واقعا، وبعد كل هذا سيثيبه اللـه بالجنـة لكـونه قـد لبّـى رغبـاته الحقيقية! وهذا من لطف الله، فلا ينبغي أن نتوهم بأننا قد أنجزنا شيئا كبيرا.

إن الذين يجاهدون أنفسهم يلتذون في حياتهم أكثر من أهل الفسوق والفجور/ إن مخالفة النفس إرضاء للنفس في الواقع

إن أهـل الفسـق والفجـور لا يعيشـون لـذة أولئـك الـذين يقومـون بتلبيـة رغبـاتهم العميقـة والفطريـة والخفيـة ولا يشـعرون بسـرورهم، إذ أن مخالفـة النفس هي إرضاء للنفس في الواقع، وهي عبارة عن العبور مـن أميـال النفـس السطحية لتلبية الرغائب العميقة والجيّدة في النفس.

سألني أحد الإخوة وقال: «ألا يتعقّد الإنسـان نفسـيّا فيمـا إذا جاهـد نفسـه ليل نهار وحرمهـا عـن لـذّاتها؟». قلـت لـه: بالتأكيـد! فـإن أدمـن الإنسـان علـى مخالفة نفسه وهواه يتعقّد نفسيا ويبتلى بمرض في أعصابه وتضعف قـواه وقـد يحقد على الناس ويصاب بستين مرض آخر! ولكـن إنّ مخالفـة النفـس، ليسـت مخالفة جميع أبعاد النفس، بل إنمـا هـي مخالفـة الجـانب السـطحي والرخيـص منها، وفي نفس الوقت الذي تجاهد فيه هذا البعد من النفس، تلبّي رغبـة رائعـة وعميقة جدا في نفسك.

يقول الرسول الأكرم(ص): «النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللَّهِ أَعْطَاهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»[جامع الأخبار/ص 145].

وقال (ص): «النظر إلى محاسن النّساء سهم من سهام إبليس فمن تركه أذاقه الله طعم عبادة تسرّه»[مستدرك الوسائل/ج 14/ص 271]. فإن غضّ أحد النظر وترك اللذة ولم يجد تلك اللذة العميقة وطعم العبادة فليعلم أن لم يكن غضّه البصر في سبيل الله وإلا لوجد هذه اللذة.

في سبيل كشف رغائبنا العميقة والكامنة ولا سيما رغبتنا في عبادة الله، لابدّ لنا أن نضحي بأهوائنا ورغائبنا السطحية

في سبيل أن نكشف رغبتنا العميقة والكامنة المتمثلة بحب عبادة الله، لابد أن نجاهد رغائبنا السطحية والتافهة وأن نضحّي بها في سبيل الرغائب العميقة، أي لابدّ أن نقف أمام شهواتنا وأهوائنا. وعليه فلابد أن نخاطب ربنا في سجّادة الصلاة ونقول له: «إلهي! أنا الآن أسير بيد رغباتي السطحيّة ولا أدرك لذة عبادتك، ولكني سمعت أن هناك حقائق وراء هذه الظواهر فصدقت نبيّك، وأنا الآن أصلّي بين يديك بلا أن أشعر بلذة الصلاة...»

الصلاة هي جهاد للنفس أساسا، إذ ليس فيها جذابيّة في بداية الأمر، وعادة ما نحاول أن نصلّي ونتمّ الصلاة تأدية للواجب وحسب، ولكن من أجل أن نرغم أنف نفسنا ونحارب أهواءنا، ينبغي أن نصلي باطمئنان وهدوء وبدون

استعجال. فكلما أردت أن تستعجل في صلاتك وتكملها بسرعة، أبطئ في صلاتك وكرّر أذكارك لتلوي عنق نفسك وتقعدها في مكانها.

أتذكر في زمن كنّا نصلي خلف آية الله الشيخ الأراكي(رضوان الله عليه) حيث كان يصلّي في مسجد صغير جدا في جوار ضريح السيدة المعصومة(ع)، ولكن كانت صلاته طويلة جدّا ولا تقاس بصلاة الشيخ بهجت من حيث طولها. فكانت صلاته ترغم أنف النفس. فمن كان يريد أن يلوي عنق نفسه، كان يصلي خلفه. فإذا وجدتم إماما يصلي صلاة طويلة، اقصدوه بعض الأيام وصلّوا خلفه لتخالفوا بتلك الصلاة نفوسكم وترغموا أنفها.

أحيانا يصبح جهاد النفس في سبيل النفس

ليكن بعلمك أخي أن بعض الناس يجاهدون أنفسهم من أجل النفس، فلا تخرّب جهادك. من قبيل من يمسك نفسه عن السبّ والشتم حفاظا على سمعته، أو من يترك حب الغضب تلبية لحبّ المقام في نفسه. فعلامة هذا الإنسان هي أنه مهما تأدب وحسّن أخلاقه وجاهد نفسه، لا يرغب في الصلاة، إذ لم يكن جهاد نفسه في سبيل الله.

إن جهاد النفس هو مراعاة النفس في الواقع، ومخالفة اللذّات هو نيل اللذات في الواقع، ولكن لذة عميقة وغزيرة

عندما يتجه الإنسان نحو الحسنات ورغباته العميقة، ويجاهد أهواءه السطحية في هذا المسار، سيذوق لذة هذا الجهاد بلا ريب، وإن الله يذيقنا هذه اللذة بسرعة. أساسا إن جهاد النفس هو مراعاة النفس في الواقع، ومخالفة اللذات هو نيل اللذات في الواقع، ولكن لذة عميقة وغزيرة لا سطحية وقليلة. ولهذا إن بعض الناس يحرصون على العبادة، فتراهم يجلسون في المسجد منتظرين وقت الصلاة، فهم يجاهدون أنفسهم ويعيشون لذة حقيقية في حياتهم.

إن حقيقة حياة الإنسان هي اختيار خير الرغائب مما هي أدنى عن طريق «العقل»/ العقل قوة لاختيار خير الرغائب

إذن هكذا يمكن أن نعرّف حياة الإنسان: «اختيار الرغائب الأفضل من الرغائب الأدنى»، ويتم هذا الاختيار عبر قوة في وجود الإنسان باسم العقل. لمّا خلق الله العقل أعطاه زمام الإنسان إذ به يُعبَد. «الْعَقْلُ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَ اكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَان»[هدايه الأمة/ج 1/ص 4].

يختلف العقل عن العلم، ولهذا عندما يسيء الإنسان في اختيار رغائبه ويختار الخيار الأدنى يقال له: أنت عديم العقل، وعندما يصيب الاختيار ويختار الخيار الأفضل يقال له: أنت إنسان عاقل.

لقد خلق الإنسان ليختار من مجموع الخيارات، ولولا ذلك لما استطاع أن ينتج قيمة مضافة. ولابدّ للاختيار أن يكون من بين نوعين من الرغائب؛ رغبة أشدّ ولكنها كامنة، ورغبة أضعف ولكنها ظاهرة. وإن الرغائب الضعيفة والظاهرة يعني هذه الأهواء والشهوات هي التي تحجز الإنسان عن كشف رغباته العميقة والكامنة. لذلك ينبغي للإنسان أنّ يدمن على محاربة أهوائه النفسانية ورغائبه السطحية والواضحة ويضحّي بها ليصل إلى رغباته العميقة والفطريّة. وإنّما يستطيع الإنسان أن ينجز هذا الإنجاز بالعقل. العقل هو الذي يحذرنا من الاغترار بالرغبات الظاهرية، وهو الذي يشجعنا على الاهتمام بالرغبات العميقة فإنها أكثر لذة. ويقول لنا: دع هذه النزعات السطحية لتكشف رغباتك العميقة.

لماذا لا يتضرع المذنبون إلى الله؟

لماذا لا يتضرع المذنبون إلى الله؟ لأنهم يخافون من الله بشدّة، ويتصورون أن الله بصدد الانتقام منهم. إنهم قد تنكروا لله وظنوا أن الله قد تنكر لهم أيضا.

ما هو انطباعكم عن الله وأنتم تتوبون إليه من ذنوبكم وتخافون منه؟ لماذا يضيق صدركم وتتوبون من ذنوبكم؟ هل تعتذرون إلى الله لأنكم لم تمتثلوا كلامه والآن تخافون أن يعاقبكم عقابا عسيرا؟ وهل أنكم تتوبون إليه مخافة سوطه؟ وهل تنظرون إلى الله كخصم قوي لا يمكن منافسته؟ في حين أن الله قد أراد أن تلتذوا أكثر في حياتكم، وأراد أن تفعّلوا رغباتكم الفطرية، ولهذا ولأنكم قد أضررتم بأنفسكم وحرمتم أنفسكم من اللذة الكبرى، لم يرض عنكم وغضب عليكم، فإنه لم يرض عنا لشدّة حبه لنا. والآن فهو لا يريد أن يجلدكم بل يريد أن ترجعوا إليه.

يقول الإمام الباقر(ع): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَ زَادَهُ فِی لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَوَجَدَهَا فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِکَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا». [الكافي/ج 2/ص 435] فلابدّ أن نرجع ونعيد بناءنا المعرفي بالله وبالإنسان والحياة من جديد.

إلهنا سبحانك أن تكون محتاجا إلينا فلماذا تفرح بهذه الشدة عند توبتنا؟! إلهنا أنت الذي قال في وصفك الإمام السجاد(ع): «الحمد لله الذي تحبب إلي وهو غني عني» فلماذا تفرح بتوبتنا إلى هذا الحد؟ إنه أراد أن نزداد لذة في الدنيا لنزداد قابلية للتنعم في يوم القيامة وعند لقاء الله. إنه أراد بهذه الأحكام أن نتعطش إلى اختيار الخيار الأفضل ولتكون الدنيا مقدمة للتمتع والالتذاذ بلقاء

الله بعد الموت وفي يوم القيامة وفي جنات الخلد. فكان البرنامج الإلهي لنا هو أن ننتعش بذكر الله وجمال الله في الدنيا، ثم يدعونا إليه، لنتمتع باللذة الكاملة عند لقائه.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

إن جهاد النفس يتخذ منحى آخر في مراحله المتقدمة، فكلما كان يشتدّ الأمر بالحسين(ع) ويقدّم الأضحية واحدا بعد الآخر كان يشرق لونه وتهدأ جوارحه وتسكن نفسه، فيقف الإنسان حائرا أمام قلب الحسين(ع) عاجزا عن فهمه ووصفه.

أنا أريد أن أخاطب الحسين(ع) وأقول له: يا أبا عبد الله! عندما ودّعت علي الأكبر، أما قدّمته أضحية لله سبحانه؟ ونحن نعلم كم أنت تحب أن تقدم ضحايا في سبيل الله. فما هذا البكاء عليه أمام الأعداء حتى أوشكت بالموت حين وضعت خدك على خده؟!

اسمحوا لي أن أجيب بكلمة واحدة. ألا تحترق أكبادكم إذا جاء أحد ومزّق أمامكم صورة النبي الأكرم(ص)؟! كان علي الأكبر أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسول الله(ص)، وإذا به رآه مقطعا بسيوف القوم...

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

طهران

بودّي في هذه الجلسة أن ألخّص مجمل ما ذكرناه في الجلسات السابقة وأستعرض ما خرجنا به من نتائج، لكي يطّلع عليه الإخوة الذين لم يرافقونا من الأول، وكذلك يحصل الإخوة الذين تابعونا من بداية الأبحاث على صورة واضحة عن مجمل ما طرحناه في الليالي الماضية. لابدّ لنا في هذا البحث أن نطوي ثلاثة مراحل، ونحن لم نطوِ عبر الجلسات الماضية إلا المرحلة الأولى منه.

1- نحن بحاجة إلى برنامج واحد للحياة والعبادة

نحن ومن أجل أن نحظى بحياة وعبادة أفضل، بحاجة إلى برنامج جيّد. وأساسا نعتقد أن البرنامج الذي يحسّن حياتنا من شأنه أن يحسّن عبادتنا أيضا. وبالعكس، إن البرنامج الذي يحسّن عبادتنا يحسّن حياتنا أيضا.

لابدّ أن يكون هذا البرنامج نافعا لجميع الناس بلا فرق بين المتديّن وغيره، فإذا لم يكن الإنسان متدينا، ينبغي لهذا البرنامج أن يعينه على تحسين حياته، وإن كان متديّنا يعينه على عبادته. ولهذا فمثل هذا البرنامج يهيّئ الأرضيّة لتحاور المتديّنين مع غير المتدينين، كما أن كثيرا من رواياتنا قد اتخذت هذا الخطاب في أسلوبها، يعني أنها قد أشارت إلى أساليب وآداب في الحياة بغض النظر

عن الدّين والإيمان، حتى إذا لم يرد أحد أن يعمل بمفادها بدافع ديني، يعمل بها بدافع تطوير حياته.

2- يجب أن يكون البرنامج متناسبا مع «تركيبة وجود الإنسان» و «ظروف الحياة الطبيعية»

يجب أن يكون البرنامج متناسبا مع «تركيبة وجود الإنسان» و «ظروف الحياة الطبيعية». فلا ينبغي أن يكون البرنامج خياليّا وبلا علاقة مع هويتنا الإنسانيّة وتركيبتنا الوجودية. وبالإضافة إلى ذلك لابدّ لهذا البرنامج أن يكون منسجما مع خصائص حياة الإنسان والسنن التي تتحكم في عالم الوجود.

فعلى سبيل المثال إحدى خصائص الحياة الدنيا هي أنها كلّما تعطي الإنسان شيئا تسترجعه منه، فإن أعطته الشباب أو الصحّة لا تبقيه على حاله بل تعود إليه وتسلبه ما منحته في الماضي. هذه من طباع الدنيا. وكذلك الدنيا لا تخلو من مشاكل ومنغّصات، فلابدّ أن يؤذيك أحد في حياتك، إما زوجك وإمّا جارك وإما أن تلتقي بعابر مارّ يؤذيك. إن درب الحياة الدنيا لا يخلو من الأشواك ولا فائدة لعقد آمال القلب وأمانيه بعيش خالٍ من المشاكل والمنغّصات. إذن لابدّ أن يكون البرنامج على أساس هذه الميزة في الحياة الدنيا.

مع الأسف إن أكثر مناهجنا الدينية المدوّنة قد تم تنظيمها بغض النظر عـن خصائص الحياة. وأساسا أحد المواضيع التي نعاني من الضعف فيهـا هـو معرفـة الحياة. بينما هناك قسم كبير من آيات القرآن قد تصدت لتبيين خصائص الحياة.

3ـ أهم رأسـمال الإنسـان قلبـه، أي مـوطن أميـاله/إن أميـال الإنسـان تمثـل الطاقـة المحركة لنشاطه

أهم رأسمال الإنسان قلبه الذي هو موطن أمياله ونزعاته. ففي الواقـع إن أميالنا ونزعاتنا تمثل أهم رأسمالنا. فإن نزعاتنا هي الـتي تربـط علاقتنـا بالحيـاة وتدفعنا بالطاقة للحركة والنشاط، ففي الواقع إن أميال الإنسـان تمثّـل الطاقـة المحرّكة في وجوده. إن سـلطان روح الإنسـان قلبـه والقلـب هـو مقـرّ الأوامـر والإيعازات وهو الذي يأمر الإنسان بالتحرك والنشاط في سبيل سدّ احتياجاته.

4ـ من أهم خصائص الإنسان هو تعارض نزعاته/هناك تضارب في ذات الإنسان

من أهمّ خصائص قلب الإنسان أي مقرّ نزعاته هي أنه ينطوي علـى أميـال ورغائب متضاربة، وليس للإنسان بدّ سوى أن يختـار بعـض هـذه الأميـال ويكـفّ عن بعض أخر، وبطبيعة الحال سوف يواجه متـاعب ومصـاعب ومحـن فـي هـذا المسار. نحن لم نولد برغبة واحدة بل قد ولدنا برغبـات مختلفـة ومتنوّعـة، فـإن

اتجهنا لأيّ من هذه الرغبات سوف نقعد عن الأخرى. فمن هـذا المنطلـق هنـاك نزاع وتضارب دائم في ذات الإنسان بين مختلف نزعاته المتعارضة.

ينطوي الإنسان على أهواء مختلفة وإن بعضها متضادة ومتعارضة مع بعض وهناك عداء في ما بينهـم. ولهـذا فـإن فـي ذات الإنسـان تضـاربا ونزاعـا وعليـه فدائما هناك ضحايا فـي ذات الإنسـان، إذ لا سـبيل لـه سـوى أن يضـحّي ببعـض رغباته في سبيل بعض أخر.

إن هذا التضارب يبعث في ذات الإنسان حيرة لا مناص منهـا، إذ هـو يحـبّ جميع «رغباته»، ولكن ليس بوسعه أن ينال جميعها، فيضطر إلى أن يختار بعضـا منها دون الباقي. ثم إن عمليّة الاختيار تحتاج إلـى تضـحية، وهـي بمعنـى العبـور من إحدى الرغبات في سبيل الوصـول إلـى رغبـة أخـرى، إذ لا مجـال للحصـول على جميع الرغائب معا. إذن لا يخلو ذات الإنسان من الحلاوة والمرارة معا.

5- هناك نوعان من الرغبات في وجود الإنسان: 1- الرغبـات السـطحيّة والظـاهرة وهي بالفعل و 2- الرغبات العميقة والخفيّة وهي بالقوّة

هناك رغبتان عامّتان في وجود الإنسان؛ 1ـ الرغبـات السـطحية والظـاهرة وهي بالفعل 2ـ الرغبات العميقة والخفية وهي بالقوّة. وعـادة مـا تسـمى الفئـة الأولى بالرغبات الغريزية وتسمّى الثانية بالرغبات الفطريّـة. وإن النـزاع القـائم في وجود الإنسان هو بين هذين النوعين من الرغبات.

وإن تبدو الرغبات السطحية أشدّ وأقوى فـي بـادئ الأمـر ولكـن النزعـات والأميال العميقة هي الأقوى. إن اللذة التي يعيشها الإنسان بعد ما يلبّـي رغبـاته العميقة والكامنة كثيرة جدا ولا تقـاس باللـذة القليلـة والمحـدودة الحاصـلة بعـد تلبية الرغبات السطحية.

6- يبدأ الإنسان بتجربة الرغبات السطحية ولكن لا يقف عندها

يبدأ الإنسان بتجربة الرغبات السطحية ولكنه لا يشبع بها، فلا يشعر إنسان بالرضا بعد تمتعه بالرغبات السطحية بل لا يزال حائرا ويبحث عن لذة من نمـط آخر تشبع روحه.

في الواقع لا يقنع إنسان بتلبية رغباته السطحية ومهما تمـادى فـي التمتـع بهذه الرغبات يزداد إصرارا وولعا بتجربة المزيد مـن اللـذة إذ لـم تسـتقر روحـه ولم يشعر بالرضا. وذلك لأنه لم يلتفت إلـى رغبـاته الحقيقيـة والعميقـة الـتي لا تقنع النفس إلا بها.

7- إن غاية الرغبات العميقة والفطريّـة فـي الإنسـان هـي طلـب اللهـ والشـوق إلـى لقائـه

إن غاية الرغبات العميقة والفطريّة في الإنسـان هـي طلـب اللـه وعشـق التقرب منه والشوق إلى لقائه. إنّ العشق المحوري الكامن فـي قلـب الإنسـان

هو حب الله ولم يكن الإنسان بطالب شيئا كحب الله، ولكنه حبّ محجـوب فـي القلب وغالبا ما تخفيه الرغبات السطحية وتمنع الإنسان مـن كشـفها ونيلهـا. إن محور الإيمان ليس «وجود الله» إذ أن الإيمان بوجود اللـه مقدمـة الإيمـان، بـل محور الإيمان هو «حب لقاء الله».

8- «الطريق الوحيـد» هـو غـضّ الطـرف عـن الرغبـات الظاهريـة، للوصـول إلـى الرغبات العميقة

«الطريق الوحيد» للحصول علـى حيـاة طيّبـة وعبـادة جيّـدة هـو أن نغـض الطرف عن رغباتنا الظاهرية وما هي بالفعل لنصل إلى الرغبات العميقة والــتي هي بالقوة. لابدّ أن نضحّي برغباتنا السطحيّة وهذه النقطة هي مبدأ انطلاقنا في جهاد النفس. وإن مفعول جميع المفاهيم الدينية كالإيمان والتقوى والقيامة ونـار جهنّم والجنّة هي أن تأخذ بأيدينا في هذا الطريق. وكذلك لابدّ أن نفهم أثر أولياء الله وحبهم في هذا الإطار، وبالتأكيد إن دور أبي عبد اللـه الحسـين(ع) فـي هـذا المسار دور خاصّ.

إن حب الحسين(ع) هو النزعة الفطرية والخفية الوحيدة التي يمكن كشفها بسهولة

إن الإمام الحسين(ع) يمثل أروع فرصة للإنسان لكشف فطرته. إن حب الحسين(ع) هو تلك النزعة الفطرية والخفية الوحيدة التي يقدر الإنسان على كشفها في قلبه بسهولة، وحتى بإمكان الناس العاديّين الذين لم يطووا مدارج التقوى أن يجدوا هذا الحب في قلبهم.

من أجل كشف حب الله، لابد أن تستأصل حب الدنيا من قلبك تماما، ولكن لا يشترط ذلك في حبّ الحسين(ع)، إذ يمكن للقلب المحب للدنيا أن يحبّ الحسين(ع) ويذوق حلاوة حبّه بسهولة. فإذا أراد الإنسان أن يعيش تجربة حبّ الله ويعرف جنس هذا الحبّ، بإمكانه أن يعرف ذلك عبر الشعور بلذة حب الحسين(ع).

9ـ من أهم قدرات الإنسان هو قدرته على تحديد الأولويات بين مختلف أميالـه، أي «التعقل»

بعد ما عرفنا هذه الحقيقة وعدم إمكان تلبية جميع الرغبات معا، وأن لابدّ من اختيار بعضها دون الأخرى، فلابدّ أن نرى بأيّ وسيلة يجب أن نقوم بهذا الاختيار. من أهمّ قدرات الإنسان هو قدرته على تحديد الأولويّات وهو ما يسمّى

بالتعقّل. إذن يمكن أن نقول: أهمّ «رأسمال» الإنسان هو أمياله ونزعاته و أهم «قدرة» في وجود الإنسان هي العقل.

العقل يفتينا بأن العشق الخالد واللذة الباقية أفضل بلا ريب. وهناك حرب قائمة بين العقل وهوى النفس، إذ أن العقل يختار النزعات الأفضل والأعمق والأبقى أما هوى النفس فيميل إلى النزعات الأقل قيمة والأكثر سطحية وظهورا.

وعلى أساس ما روي عن رسول الله(ص)، كلّما يفضّل الإنسان رأي هوى نفسه على عقله، ينقص من إمكانيات عقله شيء لا يرجع أبدا؛ «مَن قارَفَ ذَنباً فارَقَهُ عَقلٌ لا يَرجِعُ إلَيهِ أبداً» [ميزان الحكمة/ الحديث 6751].

10- إن في الاهتمام بالأميال السطحيّة مشكلتين: 1- لن يطمئن قلب الإنسان مهما نال منها 2- لن يقدر على نيل جميعها أبدا

إذا تمحّض الإنسان في تلبية نزعاته الغريزيّة والظاهريّة سيواجه مشكلتين: 1ـ لن يطمئن قلب الإنسان مهما نال منها 2ـ لن يقدر على تلبية جميع هذه الأميال السطحية. وبعبارة أخرى سواء ألبّى رغباته أم لم يلبّها فهو يشعر بالخيبة.

11- إن تلبية الرغبات العميقة تواجه مشكلتين: 1- لا يمكن تجربتها في بادئ الأمر 2- لابدّ وفي سبيل نيلها من غض البصر عن اللذات السطحيّة

ماذا يواجه الإنسان في ما إذا عمد إلى تلبية رغباته العميقة؟ إن تلبية الرغبات العميقة أيضا لا تخلو من مشكلتين:

الأولى هي أن لا يمكن تجربتها في بادئ الأمر؛ يعني عادة ما لا يذوق الإنسان طعم نزعاته الفطريّة العميقة في البداية، إلا القليل أو بعض النزعات العميقة الخاصة من قبيل حب الحسين(ع).

المشكلة الثانية التي تواجهنا هي أنّ نيل هذه الرغبات يقتضي غضّ النظر عن بعض اللذائذ والأميال السطحيّة والتضحية بها. ولهذا فأوّل ما يبدأ الإنسان بالعبور عن هذه النزعات السطحيّة يواجه صعوبة، خاصة وأنه لم يذق طعم النزعات العميقة بعد، وقد تخلّى عن أهوائه الغريزيّة. فعليه أن يصبر في هذه المرحلة لينال غايته بالتدريج. ولكن ما يمنع الإنسان من التوفيق هو خوفه من «الحرمان من تلك، والفشل في هذه»، فلابدّ من الغلبة على هذا الخوف الكاذب، فقد بُعِث الأنبياء جميعا ليطمئنونا على أن هناك حقائق وبشارات، فاسعوا لها سعيها.

12- إن مخالفة الأميال السطحية بحاجة إلى «برنامج» والدين هو المرجع لإعطاء البرنامج/ لماذا لا يمكن جهاد النفس بلا برنامج؟

إن مخالفة الأميال السطحيّة بحاجة إلى برنامج والدين يمنح الإنسان هذا البرنامج الجهادي. إن مجمل البرنامج الديني بشكل عام وفلسفة جميع الأحكام الدينية وحتى العبادات هو جهاد النفس.

لماذا لا يمكن جهاد النفس بلا برنامج؟ إذ أن جهاد النفس ومخالفة الأهواء لا يعني رمي جميع النزعات الظاهرية والقضاء عليها! بل لا ينبغي ذبح هذه النزعات واستئصالها كما يجب تلبية بعضها أحيانا. فعلى سبيل المثال إن جعنا يجب أن نأكل، وإن بلغنا ورغبنا في الزواج علينا أن نتزوّج.

فلو كان القرار أن نقضي على نزعاتنا السطحيّة والظاهرية جملة واحدة وأن نضحّي بجميع احتياجاتنا الابتدائية كالمرتاضين، لما كنا بحاجة إلى برنامج. وأساسا من صعوبات هذا البرنامج وتعقيداته هو أن لابدّ من تلبية بعض هذه الرغبات السطحيّة.

13- من أهم خصائص حياة الإنسان هو العناء لا اللذة

إن من أهمّ خصائص حياة الإنسان هو العناء لا اللذّة. يعني أن الأصل والأساس في حياتنا هو العسر والعناء؛(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فى كَبَد)[البلد/

4] وبالتأكيد إن هذا العناء لا يخلو من راحة ويسر؛ (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا) [الإنشراح/6] ولكن الأساس هو العسر. لم تكن الدنيا مهيأة لتجربة حياة ملؤها اللذة والهناء والراحة وأن لا مشكلة في هذا البين إلا أن نمرّ من احتياجاتنا السطحيّة مرور الكرام وثم نحصل على حياة ممتعة في هذه الدنيا، كلا! إذ قد عجنت ذات حياة الدنيا بالعسر والحرمان.

يمكن تقسيم آلام الدنيا إلى قسمين؛ ثابتة ومتغيّرة. إن بعض الآلام ثابتة للجميع ولا مناص منها تقريبا. فعلى سبيل المثال قد فرضت طبيعة هذا العالم ألم المخاض على جميع النساء وهذا واقع لا مفرّ منه.

يحاول الكثير من الناس أن يفرّوا بأوهامهم عن هذا الواقع وهو «أننا مضطرون إلى تحمل العسر والعناء»

مع الأسف إن كثيرا من الناس غير مستعدين لاستماع وقبول حقيقة أن حياة الإنسان لا تخلو من العسر والعناء، كما لم يقتنع الكثير من الناس بحقيقة «أننا مضطرون إلى تحمل العسر والعناء». بما أننا لا نرغب في تحمل العسر والعناء، نؤمّل أنفسنا أن لا عسر إن شاء الله في حياتنا، في حين أنّ هذا الأمل وهمٌ محض. وقد بلغ امتداد هذه الأوهام إلى حدّ أننا أصبحنا لا نجرأ على ذكر قائمة الآلام والمحن الثابتة والمتغيرة في هذه الدنيا خوفا من طلّاب الراحة والدعة.

إذن أصبح تعريف حياة الإنسان هو «العسر والجهاد» إذ قد انطوت ذات حياة الدنيا على العسر ولابدّ في هذا الخضمّ من مخالفة أهواء النفس وأميالها، فهذان عنصران متلازمان في تعريف الحياة.

إن الآمال والأمانيّ النفسيّة تعمي الإنسان عن مشاهدة عسر الحياة ومشاهدة «الموت»

يخدع كثير من الناس أنفسهم ويكذبون على أنفسهم ولا يريدون أن يشاهدوا حقائق الحياة. وكما قال أمير المؤمنين(ع): «الْأَمَانِيّ تُعْمِي عُيُونَ الْبَصَائِرِ»[غررالحكم/الحديث 1417].

أحد أهم محاور مرارة الدنيا هو الموت. إن الالتفات إلى قضية الموت تفهّم الإنسان أن الحياة مرّة واقعا ولا تسمح لحلاوة الدنيا أن تأخذ مأخذها من قلب الإنسان. ولكن الأميال النفسانية والآمال الطويلة تعمي الإنسان عن مشاهدة عسر الحياة ومشاهدة الموت. لقد قال أمير المؤمنين(ع): «الْأَمَلُ حِجَابُ الْأَجَل»[عيون الحكم/ص 43] وكذلك قال(ع): «الْأَمَلُ سُلْطَانُ الشَّيَاطِينِ عَلَى قُلُوبِ الْغَافِلِين»[غررالحكم/الحديث 1853]

وقد قال رسول الله(ص): «إنّ آدمَ قَبْلَ أن يُصيبَ الذَّنْبَ كانَ أجلُهُ بينَ عَيْنَيْهِ و أملُهُ خَلْفَهُ، فلمّا أصابَ الذَّنْبَ جَعَلَ اللهُ أملَهُ بينَ عَيْنَيْهِ وأجلَهُ خَلْفَهُ، فلا يَزالُ يُؤَمِّلُ حتّى يَمُوتَ»[ميزان الحكمة/الحديث 756]

14- مجمل حياة الإنسان عبارة عن: عسر + جهاد/ فلابد أن: 1- نعترف بمرارة الدنيا 2- نضيف إلى مرارتها مرارة جهاد النفس

إن الأجل يمثل أحد أهم عناصر مرارة الدنيا، وهو ينغّص كل حلاوة الدنيا ولذائذها، فسلّم لهذه الحقيقة ولا تحاول مصارعتها. هذه هي حقيقة الدنيا فلا تخدع نفسك. ليس بإمكانك أن تخدع الدنيا فاعبر منها فإنك إن خضت في الدنيا وآمالها، تصطدم بأشواكها وسوف لا تجني منها إلا الخيبة والحسرة. فالحل هو أن تعبر من الدنيا فهيا تمتّع بهذا الطريق.

الخطوة الأولى للالتذاذ والتمتع في الحياة الدنيا هو أن تعترف بأن الدنيا مرّة. بعد ذلك وبعد الاعتراف بمعاناة الحياة، لابدّ أن تخوض في معمعة أخرى وتوطن نفسك على مرارتها وهي ساحة جهاد النفس، فإن فعلت ذلك سوف تذوق حلاوة الحياة في هذه الدنيا قبل الآخرة. بهذا الأسلوب سوف تأتي الدنيا في قبضتك ويتسنّى لك أن تركب جَمَلها وتمسك بزمامها، لا أن تستحوذ عليك آمال الدنيا وأمانيها.

إن تركنا الدنيا وأسقطناها من عيننا لما فيها من مرارات ومعاناة وجاهدنا أنفسنا، سوف يصل بنا الأمر إلى أن تأتينا الدنيا بنفسها وتعطينا زمام أمرها.

فحصيلة الكلام هو هذا التعريف الموجز للحياة الدنيا، فهي عبارة عن: عسر وجهاد؛ العسر الذي تفرضه علينا الدنيا والجهاد الذي لابدّ لكل امرئ أن يمارسه مع أهوائه ونزعاته السطحيّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد حاولنا في الجلسات الماضية أن نصل إلى برنامج لرشدنا وارتقائنا على أساس «واقع وجود الإنسان» يعني كيفية وجود الإنسان والغرض من خلقته، وكذلك على أساس «واقع الحياة الدنيا» وكيفية تصميمها. وقلنا إن المحور الرئيس في حركة وجود الإنسان هو «مخالفة أهواء النفس». فلابدّ للإنسان أن يتدرب على التضحية من البداية. لقد انطوى وجود الإنسان على رغبات مختلفة لا يمكن أن ينالها جميعا. وكذلك دنيانا هذه قد ملئت بالآلام والمحن وكثيرا ما تنغص حياة الإنسان. وحتى عندما تعطي الإنسان شيئا وتلبي رغبته في مورد ما، فإنما ذلك مقدمة لسلب ذاك الشيء وإذاقة مرارة الحرمان للإنسان.

لم تصمّم الدنيا بهذا الشكل، بسبب زيادة قيمة المرارة على الحلا. ومن جانب آخر لا يلتذّ الله سبحانه بمعاناتنا، بل إن هذه المحن والمعاناة قد فرضت من أجل إنتاج القيمة المضافة وإحداث التغيير. إذ لابدّ ومن أجل إنتاج القيمة

المضافة وإحداث التغيير أن ندع بعض ما نهواه ونشتهيه، وإلا فإن اتجهنا إلى ما نرغب، فلا أحدثنا تغييرا ولا أنتجنا قيمة مضافة.

لماذا يجب التأكيد على العناء في هذا الدرب؟

إذا أردنا أن نزداد ثمنا وتكون حركتنا ذا قيمة وثمن على خلاف النباتات والحيوانات والملائكة، لابدّ أن تجذبنا رغبة إلى ما هو عكس اتجاه الله من جانب، وتجذبنا رغبة أخرى إلى الله من جانب آخر.

كلما نخالف أهواءنا السطحية، فقد خطونا خطوة قيّمة إلى الله سبحانه. وبما أن هذه المخالفة سوف تحدث دائما في حياتنا، ولابدّ أن تحدث فإذن نحن في معاناة مستمرة في هذه الحياة الدنيا وفي حركتنا إلى الله سبحانه.

لماذا يجب أن نؤكد على العناء في هذا الدرب؟ لأن الإنسان ولشدّة حبّه للراحة والدعة واللذة، يزعم أنه سوف يصل إليها في هذه الدنيا، فيؤدي به هذا التوهّم إلى غير صواب. فمن أجل أن لا يقع الإنسان في هذا الفخّ، لابدّ أن يدخل عنصر العناء والألم في تفكيره ومنظومته الفكريّة. فلا يجب أن نتحدث عن فوائد الالتفات إلى موضوع العناء والتسليم للعناء وقبوله وحسب، بل لابد أن نأخذ بعين الاعتبار أضرار إهمال هذا الموضوع أيضا.

ما هي أخطار عدم توطين النفس على المعاناة؟ 1. القعود عن درب الحق الحافل بالمعاناة في المراحل النهائية

إن لم يحلّ أحد لنفسه قضية المعاناة في الدنيا، ولم ينطلق في حركته من موضوع العناء ولم يصحبه في الطريق، فإنه حتى وإن كان إنسانا صالحا، يحتمل أن يكون صلاحه ظاهريا وحتى قد يصبح إنسانا خطرا. إن بعض المتدينين قد تحملوا العناء في ديانتهم وفي أداء طقوسهم الدينية، ولكنهم لم يوطّنوا أنفسهم على أصل العناء في الحياة الدنيا، فأصبحوا يتربّصون الأيّام ليحصلوا على الراحة في الدنيا ولو عن طريق الدين.

لماذا وقف الخوارج أمام أمير المؤمنين(ع) مع أنهم كانوا قد قضوا حياتهم في تحمل عناء الزهد والعبادة؟! لأنهم لم يوطنوا أنفسهم على قبول أصل العناء، فما إن فرضت عليهم محنة جديدة من قبل أمير المؤمنين(ع)، لم يطيقوها وشهروا السلاح على أمير المؤمنين(ع). فإن لم يوطّن الإنسان نفسه على تحمل الصعاب والمعاناة في الدنيا بشكل عام، قد يعجز عن مواصلة الطريق في المراحل المتقدّمة.

وكذلك نجد للمعاناة موقعا خاصّا في حياة النبيّ إبراهيم(ع)، فإنه قد عانا ما عانا من المحن والآلام حتى نال مقام النبوّة، وحتى بعد نبوّته لم يسلم من المحن والآلام. ثم تحمّل العناء والألم سنين حتى رزقه الله ولدا، ثم عانا في

تربية ولده وبناء الكعبة مع ولده. ثم بعد كل هـذا العنـاء الطويـل، أمـره اللـه أن يقدم ولده قربانا! فيا ترى إلى أين يصل الإنسان فـي تحمـل العنـاء؟! فمـن لـم يوطّن نفسه على تحمل «أصل العناء» في الدنيا، يعيى عن المواصلة ويقعد عن الطريق في أواخر المطاف.

لابدّ أن نعلم أن العناء مستمر معنا إلى آخر العمر

لماذا كل هذا التأكيد في الروايات على حسن العاقبـة؟ إذ بقـدر مـا يعـاني الإنسان من أجل الدين والعبادة يـزداد خطـر سـقوطه. مـن اتقـى ونهـى نفسـه عمرا طويلا، فإن لم يكن قد حلّ قضية المعاناة لنفسه، فهو في معرض الخطـر أكثر من غيره، إذ يصبح مدّعيا ويشعر بأنه دائن وطالب بما قدمه من عناء، فـإذا أراد الله أن يضيف إلى معاناته محنة أخرى، لم يعد يطيـق ويعيـى عـن مواصـلة الطريق. وما أكثر الذين قعدوا عن الطريق وارتدوا عن درب المعاناة في سـبيل الله.

إن بعض الناس وبعد مدة من المعاناة فـي سـبيل اللـه يسـأم مـن العنـاء. فمن هذا المنطلق، أحد أسباب ضرورة الاهتمام بموضوع المعاناة، هو أن لا تملّ من المعانـاة لطولهـا واسـتمرارها، فإنـك إن لـم تـوطّن نفسـك علـى اسـتمرار المعاناة في الدنيا قد تعجز عن المداومة وترجع عن الطريق.

لقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[الأحزاب/23]. فتدلّ هذه الآية على أن منتظري الشهادة هم في مرتبة الشهداء، إذ قد استقاموا على نهج الشهداء إلى آخر حياتهم. فالمهمّ هو الاستقامة حتى الموت، إذ أن القيمة التي قد أعطاها الله لفئة من المؤمنين ليست بسبب استشهادهم، بل بسبب بقائهم على العهد؛ فمنهم من قضى نحبه أي استشهد ومنهم من ينتظر.

لماذا أفرز الله هؤلاء المؤمنين عن غيرهم في هذه الآية؟ لأن ليس كل المؤمنين مستقيمين على طريقهم وليس كلهم يطيقون معاناة هذا الدرب حتى نهايته. حتى أن كثيرا من المجاهدين في صدر الإسلام قد انحرفوا عن الطريق بعد طول جهادهم بين يدي رسول الله(ص)، إذ قد يسأم الإنسان المعاناة في سبيل الله بعد مدة، ولعله يشعر بالطلب من الله. فيقول: «إلى متى نعاني من المحن والمشاكل؟ فهل عملنا قبيحا إذ اتقينا الله وسلكنا سبيل دينه وجاهدنا في سبيله؟ ثم بعد كل ذلك لابدّ أن نعاني مرة أخرى؟!»

بعد أن عانا الإنسان من محنة، لابدّ أن يجرّب محنة على مستوى أعلى. إن عالم المعاناة والمحن في هذه الدنيا يشبه مراحل العلاج الطبيعي، إذ أن العلاج

الطبيعي لا يؤلم كـثيرا فـي بـادئ الأمـر، وتظهـر آلامـه الشـديدة فـي المراحـل النهائية. وهكذا سبيل الدين، إذ لا يعاني الإنسان كثيرا في أوائل الطريق.

إذا أراد الله سبحانه أن يحصي المسلّمين لقضائه لا ينظر إلى الناس ليرى من المسلّم، بل يمتحن النـاس علـى الـدوام ويبتليهـم بـأنواع الشـدائد والمحـن ليرى هل قد سلّموا واقعا أم لا؟ حتى أن الإمـام الحسـين(ع) فـي آخـر لحظـات حياته وفي حفرة المذبح ناجى ربه وعبر أنـه مـا زال مسـلّما: «إلهـي... تسـليما لأمرك»، ويا ترى هل بقيت مصيبة لم ينزلها الله على الإمام الحسين(ع)؟

ما هي أخطار عدم توطين النفس علـى المعانـاة؟ 2. عـدم القفـز مـن الموانـع والمـرور مـن جنبها طلبا للراحة

الدليل الثاني على ضرورة تـوطين النفـس علـى المعانـاة، هـو أنـه إن لـم يوطن الإنسان نفسـه علـى تحمـل المعانـاة، عنـد ذلـك بـدلا مـن أن يقفـز مـن الموانع، يمرّ من جنبها بلا مغامرة ومن وحي طلب الرّاحة. إن بعـض المسـلمين قد عاشوا تحت ظل الإسلام عمرا طويلا ولكنّهم عملوا بالإسلام بدهاء وشيطنة، إذ كلما اقتضى دينهم شيئا من المحنة والمعاناة، التفّوا حولها ومرّوا منها كرامـا. يعني أنهم قد انتقوا من الدين ما طاب لهم ولـم يصـطدم براحتهـم، أمـا إن أراد الله منهم أن يجاهدوا أنفسهم ليعانوا في هذا الدرب، تركوا مـا أراد اللـه ومـرّوا

منه. فإننا إن نمرّ من جانب الموانع بلا معاناة بدلا من أن نقفز عليها، لكي نريـح أنفسنا من عناء جهاد النفس، فقد أعدمنا فرص رشدنا في الواقع.

إن بعض الناس يلتزم بالدين ما لم يطالبه بمخاطرة أو مغامرة

إن بعض الناس غير مستعدين على المخاطرة والمغامرة في الدين، ولهذا فإنهم لا يتخذون موقفا يلامون أو يهانون به، وبعبارة أخرى إنهم مواظبـون علـى أن لا يواجهون مشكلة أو مصيبة في ديانتهم. طبعا لابـد أن نعلـم أن اللـه يبتلـي الناس ويمتحنهم بحسـب قـابليتهم. وعلـى أي حـال إذا كـان الإنسـان قـد وطـن نفسه على تحمل العناء في الحياة الدنيا لن يتورط بهذا النمط من التديّن.

كان محمد بن مسلم إنسانا محترما وثريّا. ذات يوم قال الإمام البـاقر لـه: تواضع، فقبل هذا الرجل نصيحة الإمام. لعله بدأ يفكر ويبحـث عـن ثغـرات دينـه التي جعلت الإمام يشير عليه بالتواضع. ولعلّه خرج بنتيجة أنـه مـا زال لـم يقلـع الكبر من قلبه، وأن لابدّ من وجود مانع وإلا لكان المفترض أن تصلح صـلاته كـلّ الشيء. رجع إلى الكوفة وأخذ سلة من تمر وميزانا وجلس علـى بـاب المسـجد وبدأ يبيع التمر بصوت عال. فجاءه قومه وأبناء عشيرته وقـالوا لـه: لقـد أخزيتنـا وشوّهت سمعتنا، فما هذا العمل؟... عن أبى النَّصرِ: «سَألتُ عبدَ اللهِ بنَ محمّدِ بنِ خالدٍ عَن محمّدِ بنِ مُسلمٍ فقـالَ : كـانَ رجُلاً شَـريفا مُوسِـرا ، فقـالَ لَـهُ أبـو جعفرٍ عليه السلام : تَواضَعْ يا مُحمّدُ، فلَمّا انصَرَفَ إلَى الكوفَةِ أخَذَ قَوصَـرَةً مِـن

تَمرٍ مَع المِيزانِ ، و جَلَسَ على بـابِ مَسـجِدِ الجـامِعِ و صـارَ يُنـادى علَيـهِ، فأتـاهُ قَومُهُ فقالوا لَهُ : فَضَحتَنا! فقالَ : إنّ مَولاى أمَرَنى بأمرٍ فلَن أُخالِفَهُ ، و لَن أبرَحَ حتّى أفرَغَ مِن بَيعِ ما فى هذهِ القَوصَرةِ . فقالَ لَهُ قَومُهُ : إذا أبَيتَ إلاّ أن تَشتَغِلَ بِبَيـعٍ و شِـراءٍ فاقعُـدْ فـى الطَّحّـانِينَ ، فهَيّـأَ رَحـىً و جَمَلاً و جَعـلَ يَطحَـنُ» [الاختصاص/51].

إن ديانة الإنسان الفارّ من المعاناة ديانة بلا فائدة

إنّك إن لم تحل قضية المعاناة لنفسك، قد تكون متديّنا ولكـن يفـرغ دينـك من مضمونه وأثره في ترقيتك. فيا ترى ما كنا نفعل لو كنا في مقام محمـد بـن مسلم وكنّا قد واجهنـا الإمـام بهـذه النصـيحة؟ لعلنـا كنـا نقـول: نعـم، لابـدّ مـن التواضع. وحسبنا من التواضع هو هذه الابتسامة التي نوزعها على النـاس. وهـذا يعني المرور من جانب المانع وعدم القفز منه.

طبعا وبالتأكيد ليس طريق التواضع هو ممارسة الأعمال الرديئـة دائمـا ولا أريد أن أنصحكم بممارسة هذه الأعمال، إذ يختلـف دواء النـاس بـاختلاف دائهـم فكلٌ بحسبه. ولكن حاولوا أن لا تفروا من المحن والابتلاءات الـتي يقـدرها اللـه لكم ولا تلتفوا حول ابتلاءاتكم. إن الله يمتحن مختلف الناس بمختلـف الابتلاءات والمصائب فلابـدّ أن تـوطّن نفسـك علـى البلاء والعنـاء. وكـذلك لابـد أن تـوطّن نفسك على معاناة سحق الهوى والشهوات.

رضوان الله على الشهيد شمران إذ كان قد وعى حقيقة المعاناة بكل وجوده ورحب صدره لأنواع البلاء. لقد جاء في كتاباته: «أنا أعتقد أن الله العظيم يثيب الإنسان بقدر المعاناة التي عاشها في سبيله، وأن قيمة كل إنسان بقدر ما تجرعه من ألم وعناء في هذا السبيل وأرى أن أولياء الله قد ابتلوا بالبلاء والألم والمحنة في حياتهم أكثر من أي أحد». ثم كتب هذا الشهيد العظيم مخاطبا ربه: «إلهي أشكرك إذ عرفتني على الفقر لكي أعيش ألم الجائعين وأشعر بمحنة المحتاجين. إلهي أشكرك إذ قد صببت عليّ أمطار التهم والشتم والافتراءات لكي أغرق في عواصف الظلم والجهل والتهمة الموحشة، وينمحي صوتي المنادي بالحق أمام زئير طوفان الأعداء وعواصفهم، فيحتضنني الألم والبلاء ويفتح عليّ نوافذ فطرتي حتى أشعر بمعاناة عليّ(ع) بأعماق روحي».

أحد الآلام التي يفرضها الله عل الناس هو الموت

أحد الآلام التي فرضها الله علينا هو الموت. فيا ترى لماذا قد أحاط الله الموت بهالة من الشدّة والوحشة والدهشة بحيث يهدم ذكره جميع اللذات؟! لأنه أراد أن تعيش مع ذكر الموت في حياتك كلّها ولا تنساه. لقد قدّم الله تعالى الموت على الحياة وقال: (الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياة)[الملك/2] فكأن الله قد خلق الموت قبل خلق الحياة، وكأنه قد قدّر للناس الموت قبل أن يقدّر لهم الحياة.

إن ذكر الموت يمثّل أحد أهم الأساليب التربويّة في الإسلام كما قال رسول الله(ص): «كفَى بِالمَوتِ واعِظاً»[الكافي/ج 2/ص 275] فلا تنسوا الموت وتجرعوا مرارة ذكره، فإن كثيرا من الروايات قد دعتنا إلى هذا الأسلوب التربوي وهو هدم اللذات عبر ذكر الموت وتجرع مرارة ذكره. فهل قد رأيت من يلاقي حتفه أمامك؟ وكم قد شيعت من إخوانك وأنزلت جسدهم في القبر؟ ويا ترى لماذا كل هذا التأكيد على ذكر الموت في رواياتنا؟ وكم له من تأثير إيجابي على النفوس؟ ولماذا جاء هذا التأثير؟

استمعوا هذه الرواية الرائعة المروية عن الإمام الصادق(ع) وتأملوا فيها. قال(ع): «ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِى النَّفْسِ وَ يَقْطَعُ مَنَابِتَ الْغَفْلَةِ وَ يُقَوِّى الْقَلْبَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ تَعَالَى وَ يُرِقُّ الطَّبْعَ وَ يَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى وَ يُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ وَ يُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَ هُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِىُّ ص فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ وَ ذَلِكَ عِنْدَ مَا تَحُلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدُّنْيَا وَ تَشُدُّهَا بِالْآخِرَةِ وَ لَا يَسْكُنُ نُزُولُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَ مَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِالْمَوْتِ وَ قِلَّةِ حِيلَتِهِ وَ كَثْرَةِ عَجْزِهِ وَ طُولِ مُقَامِهِ فِى الْقَبْرِ وَ تَحَيُّرِهِ فِى الْقِيَامَةِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ»[مصباح الشريعة/171].

من آثار ذكر الموت رقة الطبع/نصيحة للفنّانين

إن الفنانين معروفين برقّة الطبع، وقد أعطت هذه الرواية وصفة لرقة الطبع وهي ذكر الموت. فإذا أراد فنان أن يزداد طبعه رقّة عليه أن يكثر من

ذكر الموت ويقضي بعض وقته في المقابر! هذه نصيحة صادقة وصريحة جدّا للفنانين. كان المجاهدون في الجبهة يذكرون الموت كثيرا، حتى كانوا يحفرون قبرا لهم في الصحراء ويتعبدون فيه في جوف الليل، كانوا يسجدون فيه وينامون فيه ويبكون فيه. ثم كانوا يرجعون من قبرهم وكأنهم وردة من شدة لطافتهم ورقّتهم. فإذا سالتني: من أين حصل على هذه الرقة واللطافة، أقول: قد أخذها من ذلك القبر الذي بات فيه يبكي إلى الصباح. إن كنت ترى أحدهم لرأيته رؤوفا بالجميع ومتفائل بالخير وله جميع الصفات والحسنات التي تبحث عنها أنت. لقد حظى بجميع تلك الخصال الرائعة حتى بلغ درجة تصدير الصفات والتأثير على غيره. وقد نال كل ذلك بذكر الموت وتجسيم الموت. فانظر إلى أثر ذكر الموت التربوي على النفوس وهو أحد مصاديق الألم والعناء في هذه الدنيا. فإن أردت أن تطوّر نفسك بمعزل عن هذا المنهج تضيع في متاهات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا أصالة للعناء ولكنه ضروري لجهاد النفس وإنتاج القيمة المضافة

إن طريق حركتنا الرئيس على أساس خصائص الإنسان والحياة، هو جهاد النفس. فإنّكم عندما تسيرون في درب الدين والكمال والأعمال الصالحة، طريقكم الرئيس هو مخالفة الأهواء بطبيعة حال الحياة وبمقتضى خصائص

الإنسان. إن مخالفة الأهـواء والرغبـات سـواء أكـانت عـبر الأوامـر والتكليـف أم كانت عبر الفرض والتقدير فهي ما نسميه بالعناء. وهو ما لا تخلو حياتنا منه وإن لم تخل من النّعم واليسر أيضا. إن طريقنـا هـو طريـق جهـاد النفـس ولا أصـالة للعناء، ولكنّه أمر لابدّ منـه فـي عمليّـة جهـاد النفـس. لا يخفـى أن العنـاء الـذي يحصل عبر جهاد النفس من خلال البرنامج الإلهي يختلف عن كثير مـن المعانـاة الأخرى، وبودّي أن أسلّط الضوء في هذه الجلسة على هذا الموضوع.

لا أصالة للعناء، ولكنّنا قد خلقنا من أجـل إنتـاج القيمـة المضـافة وهـذا مـا يحتاج إلى جهاد النفس، وجهاد النفس لا ينفك عن العناء.

عادة ما يصطدم الإنسان بمشاكله دون نعمه، فلابد أن يحدّد موقفه تجاه العناء

من بين التكاليف الإلهية قد ينسجم هوانا مع بعض الأوامر والنواهي ولكــن الأساس في الأوامر والأعمال الصالحة التي لها دور رئيس في رشـدنا هـي تلـك الأعمال التي لا تنسجم مع هوانا. كما أن العامل الحاسم في تعييـن مقامنـا مـن الله سبحانه وتعالى هـو الصـبر والرضـا فـي المعانـاة الـتي نعيشها فـي حياتنـا، وليس ساعات الراحة واللذة في حياتنا. طبعا لا شك في أن المسرات واللــذات طبيعية ولا تخلو منها الحياة ويجب أداء شكرها في المقابل، ولكن أساس العمل الصالح هو المعاناة في سبيل الله. لماذا؟

من جانب يقول الإمام الصادق(ع): «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ يَنْفَعُهَا وَ بُغْضِ مَنْ أَضَرَّ بِهَا»[الكافي/ج 8/ص 152]. ومن جانب آخر، من طبائع الإنسان هي أنه ينسى مئات النعم، ولكنه يجعل الألم الصغير وقصير الأمد نصب عينيه. وعليه فإذا منّ الله على الإنسان بمئات النعم ووسائل اليسر، ويبتلى معها بعلّة واحدة، يلتفت عن كل نعمه ومسراته إلى تلك العلّة الواحدة. ولهذا فإن خلي الإنسان مع ربّه ليصارحه عن ما في قلبه، قد يضع كل نعمه ودواعي يسره إلى جانب ويعاتب الله لعلة واحدة أو مصيبة واحدة أصابه بها في حياته!

بعبارة أخرى، عادة ما يصطدم الإنسان بمصائبه ويلتفت إليها دون النّعم، ولهذا ومن أجل أن يقدر على السير في هذا الدرب بنجاح، لابدّ في بداية الأمر أن يحدّد موقفه تجاه العناء. فإن كانت نفسك تبحث عن مفرّ من العناء في هذه الدنيا، فهذا وهم باطل وإنك مخطئ في حساباتك. فلابدّ أن نخاطب نفسنا الفارة من العناء ونقول لها بصراحة: إن الحياة غير منفكة عن المعاناة، وإن السّلوك نحو الله سبحانه وتعالى هو صعود وتسلّق عبر طريق مرتفع صعب، وليس بطريق معبد منحدر.

لا نفرّ من الدين بغية الفرار من معاناة التكليف والتقدير فلا فائدة منه

إن طريقنا الرئيس هو جهاد النفس، وأهم قضية تواجهنا في مسار هذا الجهاد هو العناء. فلابدّ أن نحدد موقفنا تجاه العناء ونقبل بوجود أصل العناء

ونوطن أنفسنا على مواجهة مختلف المعاناة ولا نفرّ من الدين بغية الفرار من المعاناة إذ لا فائدة منه.

ولابد أن نعلم أن جميع الناس يعانون من مشاكل. فإن وجدنا أحدا يبتسم ولم تبد على ملامحه غبار المصائب فليس ذلك لقلّة معاناته، بل بسبب أنه أكثر صبرا ولعله يسعى لحفظ الظاهر أو أنه إنسان عاقل وفاهم. على أي حال لابدّ لنا أن نحدّد موقفنا تجاه العناء.

لا ينبغي أن ننسى الآلام والمعاناة بل يجب أن نشاهدها بعين مفتوحة، وإلا تخرب عمليّة جهاد النفس ونتهرّب عن المعاناة التكليفية والتقديرية. ثم إن هذا التهرّب لا يرتبط في أكثر الأحيان بقلّة الإيمان. فعندما يواجه الإنسان بعض الناس ممن لم يلتزم بالدين جيدا، قد يقول له: «كن مؤمنا» في حين أنه مؤمن بالفعل ولكنه ليس من أهل تحمّل العناء. إنه مؤمن ولكن قد أخبروه بخبر كاذب فتوّهم أن يوجد مجال في هذه الدنيا لا عناء فيه وهناك طريق مفرّ منه.

إن لم نتعامل مع العناء بالشكل الصحيح، تزدد معاناتنا في الحياة

إن لم نتعامل مع العناء بشكل صحيح، تزدد معاناتنا في الحياة. وقد أشارت روايات كثيرة إلى هذه الحقيقة. روي عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «الجَزَعُ أتْعَبُ مِن الصَّبرِ«[غرر الحكم/5620] وقال(ع): «الجَزَعُ عندَ المُصيبَةِ يَزيدُها، و الصّبرُ علَيها يُبيدُها»[غررالحكم/2043] وقال(ع) في رواية

أخـرى: «لا تَجْزَعـوا مِـن قليـلِ مـا أكْرَهَكُـم، فيُـوقِعَكُم ذلـكَ فـى كـثيرٍ مِمّـا تَكْرَهــونَ»[غررالحكــم/5638] وكــذلك روي عــن الإمــام الكــاظم(ع) أنــه قال: «المُصيبَةُ للصّابرِ واحدَةٌ ، و للجازعِ اثْنَتانِ»[تحف العقول/414].

إن لم نتعامل مع العناء بشكل صحيح، لم نشكر النعم

إن لم نتعامل مع العناء بشكل صحيح، تتبلور مشكلة أخرى وهي أننا سوف لا نشكر النعم. إن الله سبحانه يعلم أننا أناس نسلّط الضوء على مصيبة واحــدة وننشغل بها عن مشاهدة آلاف النعم، ولكنه مع ذلك يستنكر علينا هـذا السـلوك أن لماذا لا تلتفتون إلى النّعم! (أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّــماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً)[اللقمان/20]

ولكن لا يقدر أحد على مشاهدة النعم جيـدا إلا أن يكـون قـد وطّـن نفسـه على المعاناة في الحياة الدنيا، فمثل هذا يقدر على مشاهدة النعم. وإلا فمــا إن نبّهت أحدا على نعمة من أنعم الله، يلتفت عنها إلى إحدى مصائبه، فتعمى عينـه عن مشاهدة أنعم الله. فمثل هذا الإنسان عاجز عن مشاهدة نعمة اللــه ورأفتــه ورحمته وكرمه.

أخي العزيز! أكرّر مرة أخرى أن العناء الذي نتحدث عنه لا أصالة له ولكنه أمر لابدّ منه لإنتـاج القيمـة المضـافة الـتي لا تتـمّ إلا عـبر جهـاد النفـس، وجهـاد النفس مصحوب بالعناء غير منفكّ عنه. فاقبل هـذه الحقيقـة لتصـبح الـدنيا جنـة

لك. فإنك إن رأيت إلى المعاناة كقاعدة لابدّ منها فـي هـذه الحيـاة عندئـذ تقـف حائرا من جمال الدنيا ومغتبطا من كثرة الفرص التي يعطيها الله لعبـاده ومـدى رأفته وكثرة نعمائه.

إنك ما لم توطّن نفسك على المعاناة وما لم تحل لنفسك قضية العناء وما لم تعجن هذه المسألة لنفسك لن ترى أنعم الله سبحانه. فانظر كم قـد أراحـك الله في الدنيا من آلامها وأعطاك الفرص فيها. صحيح أن العسر من قواعد هذه الدنيا ولكن بتأكيد مؤكّد يقول الله لكم: (فإنَّ معَ العُسرِ يُسـراً * إنَّ مـعَ العُسـر يسراً)[الانشراح/5ـ 6]. تمرّنوا أيها الإخوة على مشاهدة النعم الإلهية وعلى رؤية الفرص والمُهَل وعلى مشاهدة رأفة الله وتنازله عن فرض كثير من المحن. إنـه إله عظيم وهو الذي يكشف عنا السوء والبلاء على رغم قواعد هذه الدنيا، فكأنه يرقّ قلبه علينا فلا يسمح للبلايا والمصائب أن تنهال علينا بتمامها.

متى يمتلئ قلبنا بمشاعر الشكر لله؟

لعلكم تقولون: لقد أرعبتنا في الليالي الماضية بحديثك عـن المعانـاة، وإذا بك الآن تقول: إن الله لا يرضى بفرض كثير مـن العنـاء علينـا! فـأقول لكـم: إن تعجنوا قضية العناء في قلوبكم جيدا، سوف تمتلئ أدعيتكـم ومناجـاتكم بشـعور الشكر لله. وسوف لا ترون سوى لطف الله عليكـم ورأفتـه بكـم. فـإن تنظـروا إلى هذه الأبحاث جيّدا، تجدوا أنها تفتح علينا خير أبواب الجنان. إنّ فهـم الشـكر

منوط بفهم قاعدة العناء والمحن في هذه الدنيا وأن القرار هو أن نُبتلى بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ثم نجد أن حياتنا لم تكن بهذه الصعوبة والعناء، وقد منّ الله علينا بأنعم جمّة وأنه قد صحب العسر بكثير من اليسر. وهذه المشاهدة تملأ قلوبنا شعورا بالشكر والامتنان لله عز وجل.

لقد خفف الله علينا المعاناة «التقديرية» و«التكليفية»

إن مقتضى قاعدة الدنيا هي أن نصاب فيها بآلام ومحن كثيرة، ولكن الله قد خفف علينا المعاناة في كلا النوعين منها:

1ـ في ما يرتبط بعالم التكوين والتقدير، قال الله سبحانه وتعالى: (فإنَّ معَ العُسرِ يُسراً) فقد صحب الله العسر المقدَّر لنا باليسر.

2ـ وكذلك في التكاليف أيضا لا يريد الله أن يشقّ علينا بل أراد أن يخفّف علينا عناء التكليف. ولهذا بعد ما يأمرنا بتكليف صيام شهر رمضان، يُعفي من كان مريضا أو على سفر ثم يقول: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكمُ الْيُسرَ وَ لا يُرِيدُ بِكمُ الْعُسرَ) [البقرة/185] يعني يريد الله أن يتساهل معكم، لا أن يشقّ عليكم ومن هذا المنطلق قد أعفا المسافر عن الصيام. فقد عبّر الله عن سبب الإعفاء كقاعدة عامّة، ولم يكن في مقام التوجيه أو استغلال الفرصة للدعاية! فإن لم ير أحد

هذا اللطف والإحسان من قبل الله، فذلك بسبب أنه لم يحلّ قضية العناء لنفسه ولم يوطّن نفسه على تحمل العناء.

وفي مقام آخر، بعد ما يأمر الله بالوضوء قبل الصلاة، يخفف على من تعذر أو صعب عليه الوضوء فيقول: (وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً)[المائدة/6] بعد ذلك يعلل هذا التساهل ويقول: (ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة/6]

إن ضجرتُ من المعاناة ولم أشكر النعم فإنني أعبد هواي ولا أعبد الله

من لم يكن من متحملي الصعاب والمعاناة، فإنه في الواقع إنسان أنانيّ، ولم يعبد الله بعد. لابدّ أن يبتلينا الله بمختلف المصائب ويفرض علينا المعاناة لتزول نزعة «الأنا» من قلوبنا ويحل محلها «الله». ما هي رؤيتنا عن عبادة الله؟ وأي شعور هي؟ لا يمكن أن يكون الإنسان موحّدا ومشركا في نفس الوقت، بحيث يعبد الله ويعبد نفسه. لابدّ أن تموت «أنا» الإنسان لتحلّ محلها عبادة الله. وإنّ هذا الشرك الذي نتحدث عنه هو الشرك الخفي الذي لا يرى بسهولة كما روي عن رسول الله(ص): «الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ

النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاء»[عـوالي اللئـالئ/ج 2/ص 74]. فـإن ضـجرتُ من المعاناة ولم أشكر النعم فإنني أعبد هواي ولا أعبد الله.

إن لم تكن أنانيّا ووطنت نفسك على العناء، سوف ترى رحمة الله ورأفته خلف المحن الـتي فرضها عليك

إن لم تكن قد وطّنت نفسـك علـى المعانـاة، لا تـرى رحمـة اللـه ورأفتـه، وكذلك لا ترى إمهالاته ونعمه. هل قد رأيتم دموع عين الأمّ عندما يحقن الطـبيب طفلها؟ صحيح أن الطفل يتألم بالإبرة ولكنها نافعة له. ومـع أن الأم تعلـم مـدى ضرورة هذه الإبـرة لعلاج طفلهـا ولكنهـا لا تتحمـل صـراخ الطفـل وتبكـي لبكـاء طفلها. فإن لم ير الطفل سوى وجعه ولم ير دموع أمه، قد لا يشعر بحنـان أمّـه وحتى قد يتهجّم عليها إذ قد ألقته بيد الطبيب.

فإن لم تكن أنانيّا ترى رأفة الله وشفقته الخاصة خلف المحن التي فرضها عليك. كذلك ترى رحمة الله في ذروة جوعك وعطشك أثنـاء الصـيّام. فمـا روي أنه: «لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِى مِنْ رِيحِ الْمِسْک»[من لا يحضره الفقيه/ج 2/ص 76] فهو في الواقع يحكي عن رأفة الله وشفقته. فإن استطعت أن تنظر إلى عين الله المشفقة أثناء معاناة صومك، عند ذلك تودّ لو كـان شـهر رمضـان في الصيف كلّ عام.

إن طريق «إدراك رأفة الله» هو أن تعرف أنك قد جئت إلى الدنيا للعناء، ولكن الله قد خفف عليك

إسألوا الله في ليالي شهر رمضان أن تصبحوا شاكرين. إن الله رؤوف رحيم، أما طريق إدراك رحمة الله، هو نفس الطريق الذي ذكرناه في مجال إدراك الصعاب والمعاناة. وهو أن يعرف الإنسان بأنه قد جاء إلى الدنيا لتحمل العناء ولكن الله قد خفّف عليه. يقول الله سبحانه وتعالى: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) فاسأله وقل: «أين هذا الكبد يا رب؟! وأين هذا العناء الشديد الذي تحدثت عنه؟! إذ قد أحطت حياتنا بالنعم والخيرات.» وإنك لا تستطيع أن تخاطب ربك بهذه الكلمات إلا بعد أن عجنت قضية العناء لنفسك.

كيف نكسب الأجر في المحن والصعاب؟

بإمكاننا أن نكسب الأجر بأدنى عناء نتحمله في هذه الدنيا. فعلى سبيل المثال نحن نحب الكد والسعي في سبيل الله، ولكننا نتعب ونحتاج إلى النوم، وهذا ما يؤلم الإنسان ولهذا يعوّض الله عنه. فمن هذا المنطلق من ينظر إلى النوم كمانع بينه وبين العمل في سبيل الله ويتألم منه يؤجر ويثاب.

وقد ذكرت روايات عديدة أن الحمى والمرض كفارة الذنوب. فعلى سبيل المثال يقول الإمام الصادق(ع):«حُمَّى لَيْلَةٍ كَفَّارَةٌ لِمَا قَبْلَهَا وَ لِمَا بَعْدَهَا»[ثواب

الأعمال/ص 193] وقال رسول اللـه(ص): «السُّـقْمُ يَمْحُـو الـذُّنُوبَ»[مسـتدرک الوسائل/ج 2/ص 65].

انظروا إلى رأفة الله إذ كـم يعطينـا مـن الثـواب بـأدنى ألـم ومـرض. إنـه رؤوف رحيم فإن قدر لنا بعض المعاناة فـي هـذه الـدنيا، يعـوض عنهـا بمختلـف الأساليب. وأحيانا يقدر الله بلاء لينزل على عبده، ولكنه يبحث عن ذريعة لصرف البلاء عنه. ولهذا ما إن تدعو الله أو تعمل عملا صـالحا يصـرف عنـك البلاء. كمـا روي عن الإمام الصادق(ع): «مَنْ قَالَ مَـا شَـاءَ اللَّـهُ لَا حَـوْلَ وَ لَا قُـوَّةَ إِلَّا بِـاللَّهِ سَـبْعِينَ مَـرَّةً صَـرَفَ عَنْـهُ سَـبْعِينَ نَوْعـاً مِـنْ أَنْـوَاعِ الْبَلَاء»[الكـافي/ج 2/ص 521] وروي عن رسول الله(ص) أنـه قـال: «مَـنْ صَـامَ سِتَّةَ أَيَّـامٍ مِـنْ شَـعْبَانَ صُرِفَ عَنْهُ سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الْبَلَاء»[أمالي الصدوق/ص 23]

إن محن الدنيا كالمعاناة في الحلم، فلا تبال بها كثيرا

إن الابتلاءات والمعاناة التي نقاسيها فـي هـذه الـدنيا عـابرة وسـرعان مـا تنتهي. فإياكم أن تضجروا منها فإنها تمرّ كلحظـة العيـن. إن هـذه المعاناة الـتي تعيشونها في حيـاتكم هـي أشـبه شـيء بـالمحن الـتي ترونهـا فـي الحلـم. فـإن شاهدتم في منامكم حلما مرعبا، بمجرد أن تسـتيقظوا مـن منـامكم، تبتسـمون وتتنفسون الصعداء، إذ كل تلك المحن كانت حلما. وكذلك عندما تفارقون الـدنيا سوف تقولون: «لقد مرت علـيّ محـن الـدنيا وآلامهـا كـالحلم، ولكـن كـم كنـت

أحملها على محمل الجدّ». لقد روي عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»[عيون الحكم والمواعظ/ص 66]

اخضع للعناء لكي لا تراه/ اخضع للعناء لكي ترى الرخاء

اخضع للعناء لكي لا تراه. اخضع للعناء لكي ترى الرخاء والسراء. إن جمال خلق الإنسان مرهون بمعاناته، فاخضع لهذه القاعدة واقبل بأنك قد خلقت للعناء، عند ذلك سوف ترى أن المحن والابتلاءات تزول من أمام عينك بالرغم من وجودها. فإن تبدّل زاوية رؤيتك سوف تقول: «كانت حياتي كلّها هناء وسعادة، فلماذا لم أكن راضيا عنها!» فاخضع لقاعدة العناء لكي لا تعميك المصائب. وارضَ بالبلايا واستعدّ لها.

انظر إلى من هو أشدّ حالا منك

إن أحد أساليب التعامل مع المعاناة هو أن تنظر إلى من هو أشدّ معاناة منك، وترى ظروفه الصعبة. ثم خاطب ربك وقل: «إلهي اغفر لي أنانيّتي». فإن من يعبد أهواءه ليس بإنسان متعادل وكثيرا ما يفرط في سلوكه. (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ)[الجاثية/23]

من يتبع أهواءه يصبح إنانيا وينجر إلى الإفراط. فعندما يمنع الله سبحانه النبيَّ عن اتباع من يتبع هواه يشير إلى إفراطه؛ (وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)[الكهف/28]

ما معنى عبادة الله؟ وما هو الشعور الذي تصحبه عبادة الله؟ وما معنى كلمة «أعبدك»؟ إن معنى عبارة «أعبدك» أقوى وأشدّ من معنى عبارات من قبيل «أفديك بنفسي» أو «أحبك» أو «أعشقك». هل تعلمون من الذي يعبد الله؟ كان النبي الأعظم(ص) يعبد الله إذ لم يكن يرى نفسه. أما من يرى نفسه ويهوى نفسه فإنه يعبد نفسه دون الله. فتمرّن أخي العزيز لتصل إلى درجة عبادة الله وتمتّع بعد ذلك بأحلى وأمتع لذات العالم. وسرّ ذلك والخطوة الأولى في حلّ هذه المسألة هو الخضوع للعناء. فإن أردت أن تشعر بالعبادة إقلع «الأنا» من قلبك.

إن خضعت للعناء، تقلّ، وإن هربت منها تتفاقم

إن خضعت للعناء، تقلّ معاناتك. وإن هربت منها تتفاقم آلامك. فإنك إن ترضَ بالمعاناة، يغيّر الله قوانينه ومقدراته، ويرسل مخففات المحن إليك من كل حدب وصوب. ويرسل جميع ملائكته إليك ليعتذروا منك. فارض بالعناء واخضع للمصائب لتقلّ وتخفّ، كما إن فعلت ذلك سوف تزداد شكرا.

وهل تعلم إلى أين تصل في رضاك؟ إلى أن تستقل معاناتك جميعا، فتخاطب الله وتقول له يا إلهي! أنا راض عن كل ما قدرته لي فلا تحزن لمعاناتي فإني راض عن حياتي ومغتبط بها.

سلام الله على أبي عبد الله الحسين(ع) إذ بعد ما جرعه الله أشد أنواع البلاء، وأثناء ما كان ساقطا في حفرة المقتل أخذ يخاطب ربه ويقول له: إلهي رضا بقضائك. فلعله أراد أن يقول لله: إلهي لا تتصور أنا منزعج مما قدرت لي فأنا راض عن كل شيء. إنكم لو تعلمون ماذا يحدث في السماء وما يكتب الله لكم من أجر عند مصائبكم ومعاناتكم وعطشكم وجوعكم في سبيل الله، لناجيتم الله كل حين وكل يوم لتعبّروا عن رضاكم عن كل ما يقدّره لكم.

ولهذا بعد ما تجرعت العقيلة زينب أشدّ المصائب في يوم العاشر من المحرّم، أرادت أن تعبّر عن رضاها عما جرى عليها من قبل الله، فباشرت بصلاة الليل كعادتها في كل ليلة، وكأن لم يحدث شيء، فبدت تستغفر ربها وتقول: «العفو العفو العفو» وتطلب من الله أن يغفر لها كما هو الحال في كل ليلة.

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

ما هي فوائد الالتفات إلى العناء في حياة الإنسان

نحن في الجلسات الثمان الأولى، سلّطنا الضوء على بعض الأصول التي أخذت بإيدينا إلى طريق جهاد النفس بصفته «الطريق الوحيد». وهي تلك الأدلّة والكلام الذي أقنعنا على ضرورة التحدث عن العناء وجهاد النفس، إذ أنه يطابق طبيعة حياتنا وينسجم مع طبيعة نفسنا.

أما في الجلسات الثلاث الأخيرة فقد تحدثنا عن أسباب الاهتمام بموضوع العناء والتحدث عنه. فبالإضافة إلى تلك الأدلة التي أوصلتنا إلى هذا الحديث، هناك فوائد وضرورات أخرى تقتضي التحدّث عن العناء وجهاد النفس. فقد تحدثنا في الجلسة السابقة عن بعض فوائد الالتفات إلى هذا الموضوع وضرورته. وأما في هذه الجلسة بودي أن نتحدث عن أهمية العناء وفوائده من جانب آخر.

1. الالتفات إلى العناء يمنع الإنسان من التوهّم

أحد فوائد الالتفات إلى العناء هو أن يقلّل الآمال التي تحجب الأجل. فمن طبيعة الإنسان هي أنه إذا أحب شيئا يعقد أمله عليه، ثم يتوهمه ويحلم به ويتعامل معه كأنه أمر واقع أو سوف يقع عن قريب، فهو يزعم أنه يقدر على تحقيق أحلامه. وأحيانا تبلغ مشتهيات الإنسان من الأهمية بمكان بحيث تظهر نفسها واقعا. فكيف نستطيع أن نخرج هذه الآمال من قلب هذا الإنسان المتوهم والحالم الذي وقع أسيرا بيد آماله وأحلامه؟ فلابدّ أن نذكره بمعاناته ومصاعب حياته.

2. الالتفات إلى العناء يضاعف حالة الشكر والصبر لدى الإنسان

ومن الأدلة الأخرى التي ذكرناها هي أن هذا الالتفات يضاعف حالة الشكر لدى الإنسان، وإن هذا الشكر ينتج عن رؤية الإنسان الصحيحة تجاه موقع

المعاناة في الحياة. فـإن جعـل الإنسـان الراحـة والدعـة هـي الأصـل، سـوف لا يشعر بحالة الشكر ولا يشعر بتكليف في هذا الجـانب أساسـا. إمـا إن عـرف أن هذه النعم قد جاءت في عالم معجون بالعناء والصعاب، وأساسـا إن الـدنيا هـي محل المحن والمعاناة، عند ذلك يشكر النعم التي في حياته بكل وجوده. كما أن هذا الالتفات يضاعف صبر الإنسان وطاقته على تحمل الصعاب.

3. الالتفات إلى العناء يحسّن رؤية الإنسان عن الدين والدنيا

إذا التفت الإنسان إلى العناء، عند ذلك ينظر إلـى الـدنيا كـدار بلاء ومحنـة، وإن هذه الرؤية تحسّن انطباعه عن الدين. فكلمـا نظـرت إلـى الـدنيا باعتبارهـا دارا محفوفا بالبلاء، كلما شعرت بلذة الدين أكثر. وفي المقابل كلما نظرت إلى الدنيا بأحلامك وأوهامك واعتبرتها دار متعة ولذة، تبتعد عن الدين وتراه برنامجـا مرّا محفوفا بالعناء. فهناك نسبة عجيبة بين هاتين الرؤيتين. فـإن لـم تنظـر إلـى معاناة الدنيا تتـدهور علاقتـك مـع الـدين، وإذا نظـرت إلـى الـدنيا بنظـرة صـائبة متأثرة بكثير من آيات القرآن من قبيل قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ في كَبَـد) [البلد/4] و (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه)[الانشـقاق/6] و (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْق)[يس/68] تحسن علاقتك مع الدين.

لابدّ أن نحفظ هذا التوازن بين الدين والدنيا، كمـا نجـده فـي ألفـاظ آيـات القرآن. فعندما يتحدث الله عن الدنيا يقدم العسر على اليسـر ويقـول: (إنّ مَـعَ

العُسرِ يُسْرَى)[الانشراح/6] ولكنّه عندما يريد أن يتحدث عن الدين يقول: (يُرِيدُ الله بِكُمُ اليُسر وَلا يُرِيدُ بِكمُ العُسر)[البقرة/185]. على أي حال إن الآثار التربوية المترتبة على الحديث عن العناء ومحن الدنيا كثيرة جدا.

4ـ الالتفات إلى العناء يفتح باب محبة الله على الإنسان

ينطوي العناء على آثار وبركات كثيرة للإنسان سواء أكان من قبيل المعاناة الاختيارية والإرادية المتمثلة بجهاد النفس، وسواء أكانت غير إرادية المتمثلة بالمقدّرات الإلهية في منعطفات حياة الإنسان. فعلى سبيل المثال من أجل إدراك محبة الله وألطافه عليك، لابدّ أن تعرف علاقتك مع المعاناة وتدرك قاعدة الدنيا وأنها صبّت على البلايا والمحن، ولكن الله قد رزقك بأنواع النعم وأسباب الراحة في هذه الدنيا التي هي دار بلاء.

يقول أمير المؤمنين(ع) لله سبحانه في المناجاة الشعبانية: (إِلَهِي لَمْ يَكُنْ لِي حَوْلٌ فَأَنْتَقِلَ بِهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ إِلَّا فِي وَقْتٍ أَيْقَظْتَنِي لِمَحَبَّتِك)[إقبال الأعمال/ج 2/ص 686] وأنتم تعرفون أن هذه العبارة متناسبة مع أضعف الناس دينا. فقد جاء أمير المؤمنين(ع) وتحدث عن لسانهم بكل صراحة. فهي متناسبة مع حالهم على خلاف بعض العبارات الأخرى في الأدعية التي هي مختصة بمقام أهل البيت(ع) أو مقام الأولياء ولا تناسب حالنا، ولكن هذه العبارة متناسبة مع

الجميع وتحكي عن الجميع. في هذه العبارة نقول يا إلهي أنا لا أستطيع أن أترك الذنوب والمعاصي إلا أن توقظني بمحبتك لا بعقوبتك.

طيب، كيف يوقظك الله بمحبته؟! فإذا أردت أن تشعر بمحبّة الله، يجب عليك أن لا تمرّ من موضوع العناء مرور الكرام. وإذا أردت أن تشاهد محبة الله إليك لابدّ أن تنظر إلى الألم والعناء بكل جدّ. هذا هو الطريق ولا مفرّ منه.

دور الأمّهات في توطين الأولاد على العناء والألم

إن توطين النفس على العناء ينطوي على آثار تربوية كثيرة ومختلفة. طبعا في مقام تربية الأطفال وتلقينهم مفهومَ العناء لابدّ من التصرف برأفة ورحمة. كالطبيب الذي يداوي مريضه بأعمال مؤلمة وفي نفس الوقت يقوّي معنويّاته بالكلام الطيّب وإظهار الشفقة. إنّ للأمهات دورا بارزا جدّا في تلقين أولادهنّ مفهوم العناء وضرورة المعاناة في الحياة الدنيا. فإن الطفل يواجه الألم والعناء من أول سنين حياته، ولكن على الأمّ أن تتعامل بحكمة مع أوجاع وآلام طفلها وتربّيه بحنانها وفكرها حتى يعلم أنّ الألم والعناء من قواعد الحياة الدنيا. فبحسن تعامل الأم تحسن رؤية الولد تجاه أوجاعه ومعاناته ولا يفرّ منها بعدئذ. طبعا ينبغي للأم أن لا تزيد مرارة آلام ولدها ولا تشمت به إذا هوى على الأرض أو ضربه أحد زملائه، بل تتعامل مع هذه الأحداث كأحداث طبيعية جدا

ومطابقة لقواعد الحياة، وفي نفس الوقت تشفق عليه وتواسيه وتلطف به كـي تمزج ألمه بحلاوة حنانها.

الالتفات إلى العناء يبعد الإنسان عن طلب الراحـة/ إن مشـكلة شـبابنا الرئيسـة فـي مسـار جهاد النفس هي حب الراحة

الإنسان يطلب الراحـة، وحـب الراحـة تمثّـل أول مـرض وأول مظهـر مـن مظاهر حب الدنيا التي يصاب بها الإنسـان. أغلـب الشـباب ليسـوا طلّاب المـال وليسـوا طلاب الجـاه كمـا أنهـم ليسـوا مرائيـن ويحظـون بكـثير مـن النزعـات الإيجابية من قبيل حب العدالة والعرفان والمثل، كمـا أنهـم بـراء مـن كـثير مـن الصفات السـيئة، ولكنهـم مبتلـون بحـب الراحـة وإن هـذا الحـب يكـاد أن يـدمّر حياتهم ومستقبلهم. أول ما يشعر به الإنسان هو طلب الراحة، وبعـد ذلـك يـأتي طلب اللذة.

المشكلة الأولـى هـي أن الشـابّ يتعـاجز عـن الحركـة والقيـام بـأي أمـر، ويخالف أي شيء يزعج راحته. وحتى قد يتعاجز عن ترتيب ملابسه. في حين أن أحد زملاء الإمام الخميني(ره) في أيام شبابه ينقل عن الإمـام أنـه كـان ملبسـه مرتبا دائما، فلم نره بلباس غير مرتب حتى في حجرته ومحل استراحته.

إن حبّ الراحة ينسينا العناء ويمنعنا عن الحركة

إن حب الراحة هو أول مانع يقف في وجه الإنسان في درب المعاناة وتحمّل العناء. إن حبّ الراحة يدخل الإنسان في عالم الخيال والأحلام فيزعم بإمكان وجود حياة بلا تعب، غير أنّه إذا استفحلت هذه النزعة في روح الإنسان تتدهور كل حياته. إن حب الراحة ينسينا العناء ويمنع استراتيجية المعاناة من أداء دورها. إنه يعيقنا عن الحركة ويمنعنا من حسن التعامل مع الدين.

يقول أمير المؤمنين: «ثَوَابُ الْعَمَلِ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِيهِ»[غرر الحكم/ص 333/الحديث 5]. إن بعض الشباب يشكرون ربهم على نزاهتهم من حبّ الدنيا، في حين أنهم غير ملتفتين إلى أن حبّ الراحة هي إحدى شعب حب الدنيا. وفي الواقع إن حب الراحة هي أول مظهر من مظاهر حب الدنيا.

لابدّ أن تكون في الدنيا مثل القوّات الخاصة

في أيام الدفاع المقدّس عندما كان يأخذ الشباب إجازة ويرجعون إلى أهاليهم، لم يكن يطاوع قلبهم على أن يناموا على الفراش، فكانت الأم تفرش الفراش عند الليل، بيد أن هذا الشاب المجاهد كان يأبى أن ينام على الفراش ويقول لها: يضيق صدري بالنوم على الفراش، فاسمحي لي أن أنام بلا فراش فإنه أروح لي!

ولم يكن هذا المجاهد متظاهرا في هذا الموقف، ولم ينم على الأرض طمعا بالثواب، إذ لم يقل له أحد باستحباب النوم على الأرض. حتى لم يكن بصدد مواساة المجاهدين أو يعيش أجواء الجبهة والقتال حيث كان ينام فيها على التراب والصخور أو ينام جالسا. بل كان يشعر بضيق صدره واحتصاره في حالة الراحة.

أتذكر عندما كنا في كتيبة التدمير نتدرّب حيث كنا مستقرين في خندق وخيمة لمدة شهر قبل عمليات «والفجر واحد»، كنا نتذاكر بمثل هذه الأبحاث آنذاك مع أننا لم نكن قد تجاوزنا مرحلة الثانوية. ويشهد الله أن الأبحاث كانت تطرح بشكل تلقائي وجماعي، بلا أن يأتينا أستاذ في الأخلاق أو يدرسنا معلّم ليحثّنا على اتخاذ بعض القرارات، كلا، بل كانت الأجواء تقتضي مثل هذه الأبحاث والقرارات. فبالإضافة إلى الحرب الليلية والإزعاج الليلي والبرامج الصباحية والاستعراضات والهرولة التي كانت متعبة جدا، بحيث كانت تدمع عيون بعض الشباب من شدة التمارين وقساوتها، بالإضافة إلى كل هذه التمارين الشاقّة قرر الشباب على حفر أرض الخيمة وتستطيحها! فكأنه لم تكفهم كل هذه التمارين فأرادوا أن يشقّوا على أنفسهم ويتعبوها أكثر، حتى يحظوا بالروحية المعنوية المترتبة على هذا التعب. كانوا قد شعروا بسلبية العطالة، وكراهيّة الكسل والخمول.

ثم قررنا في الخيمة على أن لا يستعين أحد بصاحبه في المائدة لينـاوله الملح أو الخبز أو الماء مثلا، فإذا أراد أحد شيئا من المائدة يجب عليه أن يقوم ويمشي إليه ليستخدمه. فكان إذا يأتينا ضيف يستغرب من سلوكنا ولكن الجميع في تلك الخيمة كانوا يمارسون هذا الأسلوب بكل رغبة، إذ كانوا قد عرفوا أن التعاجز والكسل مرض يهلك الإنسان، شأنه شأن الغاز السام الذي يتسرّب في الغرفة المغلقة، فإنه ينوّم الإنسان في بداية الأمر ثم يقضي عليه.

يترعرع حب الشهوات في حضن حب الراحة

قبل أن يغترّ الإنسان بالشهوات، يبتلى بحب الراحة والأولى أن تمنع الإنسان عن حب الراحة قبل أن تمنعه من اللهو بالشهوات. إن اللهو بالشهوات ولا سيما الشهوات الجنسية هي أشبه شيء بحركة السيارة بسرعة عالية في منعطف خطر جدا، فإذا وصلت السيارة إلى المنعطف لا فائدة للتنبيه بعد، ولا داعي لأمر السائق بتخفيض السرعة. لابد أن يكون التنبيه قبل الوصول إلى هذا المنعطف الخطر. وهكذا في موضوعنا فيفترض أن تنصح الشابّ وتنبهه عندما تظهر على سلوكه بوادر علائم حب الراحة لتقف أمام حركته نحو فساده وهلاكه، وذلك لأن حبّ الشهوات ينمو في حضن حب الراحة.

تسلق الجبال مفيد لمكافحة حب الراحة/ ما الفرق بين تسلق الجبال وكرة القدم

إن استفحلت نزعة حب الراحة في وجود الإنسان يبتعد عن إنسانيته كثيرا، فلا تسمحوا لأولادكم أن يتربّوا على حبّ الراحة ولا تعودوهم على الراحة والابتعاد عن التعب والنصب.

أحد النشاطات المؤثرة في مكافحة حب الراحة لدى الشباب هو تسلق الجبال الجماعي وإن تأثيره أكثر من لعب كرة القدم فلا تخدع نفسك بكرة القدم بدلا من تسلق الجبال، لأنك في كرة القدم تركض وتسعى وأنت متحمس للتهديف، بيد أن تسلق الجبال خال من هذا الحماس والتنافس، فالعناء فيه أوقع في قلبك وأقوى تأثيرا. كما إذا ذهبت إلى تسلق الجبال مع أصدقائك لا تقدر على الاستراحة والتوقف متى ما شئت لئلا تتأخر عنهم. ثم سوف تعرف قدر وقتك في التسلق الجماعي، لأنك إن تأخّرت عن جماعتك بقدر ما تفتح قيطان حذائك وتشدّه، قد لا تستطيع أن تجبر هذا التأخّر إلى آخر الرحلة. أما في المدينة فلا يعرف الإنسان قدر كثير ما يضيّعه من وقته تلبية لحبّ الراحة. إن تسلّق الجبال يزيدك تمتعا بالنعم الإلهية ويحفظ صحتك. فمن تعوّد على أن يجلس على القنفة الفخمة دائما، يشعر بالوجع وعدم الارتياح بأقل تغيير في جلسته، أما الذي يتسلق الجبال وعوّد نفسه على تحمل الصعاب، فإنه يلتذ ويشعر بالراحة حتى إن جلس على الصخرة الصمّاء ويعيش حياة صحيّة.

لا تقوم التقوى على أركان حب الراحة

إن لم نحذر من حب الراحة، تؤثر على نظرتنا العامة تجاه الحياة. فابـدأوا، أيها الشباب من أنفسكم واقلعوا جذور حب الراحة من قلـوبكم قبـل أن تفـرض عليكم الحياة ذلك. ولابدّ للآباء أن يبدأوا مع أولادهم بترك الراحة بعد إنهاء السنة السابعة من عمرهم، فأقيموا احتفالا لهم قبل احتفال التكليف وسـمّوه باحتفـال الأدب. طبعا لا ينبغي أن تشقّوا عليهم وتسودوا لهم الحياة من ذلك العمر، ولكن لابدّ أن تبدأوا معهم شيئا فشـيئا وتـذيقونهم بعـض الصـعاب وشـيئا مـن التعـب، فعلى سـبيل المثـال طـالبوهم بغسـل جـواربهم فـي بعـض الأيـام، ثـم صـعدوا مستوى المطالبات برأفة وحنان. فللأسف قد بلغ بعض الشباب الثمـاني عشـرة من عمرهم ولم يغسـلوا شـيئا مـن ملابسـهم قـط! فلا يُـدرى مـتى يريـدون أن يفعّلوا طاقاتهم الإنسانيّة! ويا ترى هـل وجـود الغسّـالات المتطـورة دليـل علـى تربية الأولاد على الدلال وعدم التعب؟!

حب النصب مؤشّر لحبّ الله

لماذا يجب علينا أن نتحدث عن العناء والمشقة بشكل صريح، ولماذا يجب أن نأخذ هذه الاستراتيجية بعين الاعتبـار وأن نتحـرك ونسـير علـى أسـاس هـذه الرؤية؟ إنما نفعل ذلك من أجل أن نصل إلى عشق الله.

أيها الإخوة الأعزاء! بودّي أن ألفت أنظاركم إلى حقيقة عن طريق نقل رواية رائعة لكم. يقول أمير المؤمنين(ع): «الْقَلْبُ الْمُحِبُ لِلَّهِ يُحِبُّ كَثِيراً النَّصَبَ لِلَّهِ وَ الْقَلْبُ اللَّاهِي عَنِ اللَّهِ يُحِبُّ الرَّاحَةَ فَلَا تَظُنَّ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَّكَ تُدْرِكُ رِفْعَةَ الْبِرِّ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ فَإِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مُرٌّ وَ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ حُلْو»[مجموعة ورام/ج 2/ص 87] أنا لا أعرف لماذا يحب العاشق لله أن يتحمل النصب والتعب لربّه، فهل أنتم تعرفون ما العلاقة بين العشق والنصب؟ كم من حجة قد حجّها الإمام السجاد مشيا على الأقدام، مع أن في ذلك الزمان لم يكن فرق كثير بين الذهاب مشيا والذهاب ركوبا على الفرس أو الجمل. هل تعلمون أنّ من أفضل العبادات هو المشي لزيارة بيت الله الحرام وزيارة أبي عبد الله الحسين(ع)؟! لقد روي عن الإمام الصادق(ع) أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ص إِنْ كَانَ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَ مَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً حَتَّى إِذَا صَارَ فِي الْحَائِرِ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ الْمُنْتَجَبِينَ [الْمُفْلِحِينَ الْمُنْجِحِينَ] حَتَّى إِذَا قَضَى مَنَاسِكَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَائِزِينَ حَتَّى إِذَا أَرَادَ الِانْصِرَافَ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص يُقْرِؤُكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لَكَ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى»[كامل الزيارات/ص 132]

لماذا هذا الثواب ولماذا هذا التأكيد على المشي وتحمّل العناء في سبيل الزيارة؟ سمعت أحد المساكين كان يستهزئ بالمشي ويقول: أفهل نترك

السيارات بعد ذلك ونرجع إلى القرون الماضية؟ كأنّ الإمـام عنـدما تحـدّث عـن ثواب المشي في ذلك الزمان، أراد أن يحرّم الخيل والجمال!

أنا لا أعرف علاقة النصـب ومحبـة اللـه جيـدا، ولكـن يبـدو مـن خلال هـذه القرائن أن الإنسان المحبّ للراحة لا يبلغ محبة الله، أليس كذلك؟ لا أدري لماذا أصبحت علامة محبّة الله هو حب النصب له. فهل هذا راجع إلى تركيبـة الحـبّ؟ فما حقيقة الحبّ حتى صار النصب علامة له؟ وما الفرق بين محبـة اللـه وبـاقي أنواع الحبّ حتى أصبح يعرف بحب النصب والتعب من دون باقي أنواع الحبّ؟

كلما ازداد الإنسان حبّا وعشقا لله، يزداد حبّا للعناء والنصب من أجله، فهو لا يطيق أن يبقى مرتاحا بلا تعب. إذا وفقك اللـه وزرت إمـام العصـر(عـج) فـي فسطاطه، فإذا لم يعطك الإمام أي عمل ومسؤولية، بـل يـوزع المهـامّ الصـعبة والمتعبة على باقي أصحابه، ماذا تفعل؟! لعلك تخاطب الإمام وتقول له سيدي! مرني بشيء، فتصوّر أن الإمام يمتنع عن إعطـاء مهمـة لـك ويقـول: اسـترح ولا تتعب نفسك! ماذا يحلّ بك إن عاملك الإمـام بهـذا الأسـلوب؟ مـن المؤكـد أنـك سوف تكاد أن تموت ألما وحسرة بعد ما ترى أن الإمام لم يعبـأ بـك ولـم ينظـر إليك. أما إذا حمّلك أنواع المهامّ والمسؤوليات وشقّ عليـك بـأنواع المسـؤوليات الصعبة والمتعبة تشعر بوجود علاقة الحب بينك وبين الإمام.

إن العناء وحبّ النصب مؤشّر العشق. فإن حذفت استراتيجية المعاناة لـم يبق لك حبّ الله ولا حبّ أولياء الله. ولعلّه لهذا السـبب تجـد أن اللـه قـد جعـل برنامج أنس العبد مع ربّه المتمثل بصلاة الليل في جوف الليل! لماذا جعل وقت صلاة الليل في ذلك الوقت؟ مع أنه لو كان قد جعل وقته في وسط النهـار، لمـا تركنا هذه الصـلاة ولازداد المصـلون حـتى أننـا قـد نبكـي ونصـليها بحضـور أكـثر ونشاط أكثر، أما في ذلك الوقت يستيقظ الإنسان وهو يتأرجح يمينا وشمالا مـن شدة النعس، ثم لا يفهم من صلاته شيء.

فإذا سألتم ربّكم أن لماذا جعلت موعـدك مـع عشـاقك فـي ذلـك الـوقت، يقول: إنني أردت أن ألطف بعشاقي، إذ أنهم يـودّون النصـب مـن أجلـي، ومـن جانب لا يحبّون تعب المرتاضين، بل يريدون أن يتحملوا عنـاء أنـا أشـرت عليهـم به، وإلا فلا يتهنـأون بهـذا العنـاء. فتفضـلت علـى عبـادي وأمرتهـم بالصـلاة فـي السحر، فبهذا الأمر لبيت رغبتهم في تحمل التعب والنصب من أجلي.

رضوان الله تعالى على إمامنا الخميني، إذ كان قد عوّد نفسه علـى القيـام في الليل عدّة مرات، فلم يصلّ صلاة الليل في دفعة واحـدة، بـل كـان يقسـمها في طول الليل، طلبا لمزيد من العناء والنصب في حبّ الله. فيـا تـرى أيّ عنـاء يودّ المحبّ أن يتحمله من أجل معشوقه؟!

طبعا أنتم أعرف مني بأن العناء لابدّ أن يكون ضمن برنامـج وأصـول وهـو الإسلام. كما أن الله لا يأمر عبده بعناء إلا ويصحب هذا التعب والعناء بلذة عالية جدّا.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

بإمكـانكم أن تعرفـوا مـدى عشـق شـهداء كـربلاء مـن خلال جراحـات أجسادهم. فاذهبوا إلى كربلاء وانظروا أيّهم قد قُطّعوا إربا إربا؟ لقد قطّع أعـداء الحسين(ع) رجلين من الشهداء إربا إربا؛ الأول علي الأكبر، والثـاني أبـو الفضـل العبـاس. لمـاذا علـي الأكـبر؟ لأنـه كـان أشـبه النـاس برسـول اللـه(ص) فأثـار أحقادهم الكامنة. والأهم من ذلك هو أن كان اسمه عليّا، وكانوا قد أشربوا غضبا لأمير المؤمنين(ع)، فانهالوا عليه وما أبقوا له جسدا.

والثاني هو جسد قمر بني هاشم أبي الفضل العباس(ع)، وفي الواقع إنهـم قد مثّلوا بجسمه، وهجمـوا عليـه بكـل مـا لـديهم. فمـا إن سـقط العبـاس علـى الأرض ظهرت شجاعة القوم، فلما رأوه قطيع اليدين هجموا عليه بأعمدتهم.

بودي هذه الليلة أن أنقل لكم موقفا من مواقف العباس التي لم تسمعوها كثيرا. عندما أراد العباس وإخوته أن يستأذنوا للميدان، قال لهـم العبـاس وكـانوا أصغر منه سنّا: «تقدّموا لأحتسبكم عند اللـه تعـالى». إنّ هـذا الموقـف مجهـول وقليل ممن يعرف عظمته. إن أولياء الله كمّل في جميع مشـاعرهم وهـم أشـدّ

الناس حظا من المشاعر والعواطف تجاه الإخوة والأحبّـة، وأمـا حبّهـم لإخـوتهم من أمهم وأبيهم فمما لا يوصـف، وهـو أمـر خـاصّ بهـم لا تـدركه عقولنـا. فـأراد العباس بهذا الموقف أن يكون أكثر إخوته حظا من بلاء فقد الإخوة والأعـزة. ولا أدري فلعلّه أراد بهذا الموقف أن يواسـي الحسـين(ع) عنـدما يسـقط هـو علـى الأرض ويأتيه الحسين(ع)، ويا لها من لوعة علـى قلـب الحسـين(ع). ولهـذا لمّـا جاء الحسين(ع) إلى أخيه العبّاس(ع) أعلن عـن إفلاسـه. فكـأني بـه قـال: أخـي عباس! مهما قتل الأعداء من أولادي وأصحابي لم أنكسر، أمـا الآن فقـد انكسـر ظهري وقلت حيلتي.

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

إن موضوع العناء موضوع تربوي وعرفاني بمستوى عال/ لا يمكن نيل الحبّ لله بلا عناء

لقد طرحنا في الجلسات الأخيرة بعـض الأبحـاث فـي آثـار العنـاء وبركـاته وضرورة الاهتمام بهذه الاستراتيجية والرضا بالمعاناة التقديرية والتكليفية. ومـن جملة ما ذكرناه في الجلسة السابقة هـو أنـه لا يمكـن نيـل الحـبّ لله بلا عنـاء. فمن اشتمل على حبّ الله في قلبه، يودّ النصب والعناء في سبيل الله.

إن موضوع العناء أعمق وأرقى مستوى من أن نبقى نقول: «الكبد والعناء من ذاتيات هذه الدنيا». إن شأن العناء أعلى وأشـرف مـن هـذا المسـتوى وإنـه يتضمن بحثا تربويا وعرفانيا راقيا.

من صعوبات المعاناة هو عدم المعرفة بأسبابها وأهدافها

لا يمكن الاهتمام بموضوع العناء وكسب آثاره التربوية بلا برنامج، فلابدّ أن نتعرف على «برنامج العناء» في كلا صعيدي التكليف والتقدير. لا شكّ في أن العناء الخالي من البرنامج لا يكون عناء جيدا ولا يترك آثارا جيدة على روح الإنسان. أما «العناء المبرمج» فلابدّ أن يكون مصمّما على يد مدرّب ومدير ومصمّم بارع، وهو الله سبحانه ربّ العالمين. فلنعرف أن معاناتنا في الحياة مبرمجة من قبل ربّنا عز وجل.

من صعوبات المعاناة هي أنك جاهل بأسبابها وأهدافها. عندما يفرض مدرّب كمال الأجسام بعض التمارين على أعضاء الفريق، غالبا ما يوضّح لهم الهدف من هذه التمارين الصعبة ويخبرهم بأثرها على عضلاتهم، بيد أن الله سبحانه لا يتحدث عن فلسفة البلايا والمعاناة التي يفرضها علينا بشكل خاص، ولكن يجب أن تؤمن وتثق به وتتوكل عليه.

ما هي علاقة العناء بإحساس لذّة الإيمان؟

من المسائل المهمّة في قضيّة العناء هو أن نعرف ما يرتبط به من القضايا. فعلى سبيل المثال، يرتبط العناء بعشق الله والصبر. أما إحدى القضايا المهمّة التي ترتبط بالعناء هي «الإيمان».

انظروا إلى هذه الروايات فقد قال رسول الله(ص): «مَنْ كَانَ أَكْثَرُ هَمِّهِ نَيْلَ الشَّهَوَاتِ، نَزَعَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»[مجموعة ورام/ج 2/ص 116] وقال الإمام الصادق(ع): «حرامٌ على قلوبِكُم أنْ تعرِفَ حَلاوةَ الإيمانِ حتّى تَزهَدَ فى الدّنيا»[الكافي/2/128]. ما هي حلاوة الإيمان؟ هل من الحلاوة أن يعيش الطفل تحت ظل والديه وينمو في أحضانهم؟ هل من الحلاوة أن يكون الإنسان صاحب زوجة وأهل وأسرة؟ وهل من الحلاوة أن يعاد المريض في فراشه إذا مرض؟ وهل من الحلاوة أن يحظى الإنسان بصديق حميم وعزيز؟ وهل من الحلاوة أن يحظى الإنسان بإعجاب وتشجيع الناس؟ كل هذه الحالات حلوة وجميلة، ولكن حلاوة الإيمان أقوى وأشدّ حلاوة منها، وإذا ذاق الإنسان حلاوة الإيمان سينسى طعم غيره من العلاقات الحلوة.

الإيمان يخرج الإنسان من وحشة الوحدة

الإيمان يخرج الإنسان من وحشة الوحدة ويجعل الله أنيسه ومونسه. الإيمان بالله يقرّب إليك أرحم موجود في العالم. الإيمان بالله الرحمن الرحيم يؤدي إلى نتائج عجيبة. فإذا بحثت عن أيّ شيء سوى الإيمان تُحرَم من حلاوة الإيمان. فحلاوة الإيمان ليس بحلاوة إلى جانب باقي أنواع الحلاوة في العالم. فمن ذاق لذة الإيمان وحلاوته، لا يبقي مجالا لباقي اللذائذ الحلوة بعد.

ولهذا عندما كان الناس يهتفون في حسينيّة جماران ويفدون أرواحهم له، ما كان الإمام يشعر بلذة من تلك المشاعر. إذ كان الإمام قد التذّ بالإيمان بالله لذّة لا تقاس بحلاوتها شيء، إذ لا تقاس محبّة الله بمحبة الناس. كان السيد الإمام(ره) قد بالغ بمجاهدة نفسه وترك الشهوات والملذّات فنال لذّة الإيمان. على أساس حديث رسول الله(ص)، من كان همّه نيل اللذات والشهوات، لن ينال لذة الإيمان، فما بالك بمن تعلّق بهذه اللذات وراح يركض وراءها. ثم لا تقتصر اللذة والشهوة، بالشهوات الجنسية، بل تعمّ جميع مشتهيات الإنسان، بعضها سلبية كالغضب الذي تطرد به شيئا ما، وبعضها إيجابية تنجذب بها إلى منفعة ما.

لقد حبّب الله الإيمان في قلوب المؤمنين وزيّنه في قلوبهم، فأصبح ذا جمال وجذابيّة تسحر الإنسان. فقد قال الله سبحانه: (وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ)[الحجرات/7].

إيمان المرء يجعله قريبا من الله ويحيط الله بهذه الإنسان بعد الإيمان لكي لا يشعر بالوحشة. ولهذا يقول:(نَحنُ أَقرَبُ اليهِ مِنْ حَبْلِ الوَريد)[ق/16] ويقول في آية أخرى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ)[الحديد/4]. وكذلك يقول: (أَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ)[البقرة/115]. فلا إمكان لإنسان أن يحيط بك

ويخفف من وحشتك، بل الله هو القادر على الاحاطة بـك. ولا يقـدر الإنسـان أن يعيش وحيدا ولا يستطيع أحد أن يخرجك من وحدتك مثل الله سبحانه.

الإيمان، يسبب النفور من المعصية

إذا ذاق الإنسان حلاوة الإيمان وأصبح الإيمان محبوبا لديه، حينئذ ينفـر مـن الكفر والفسوق والعصيان. وكذلك يشمئز من الإيمـان بمـا سـوى اللـه والعمـل القبيح. فإذا أدرك الإنسان قبح الذنوب وتنفّر منها، عند ذلك يحصـل علـى مهجـة جيدة لمناجاة الله سبحانه، إذ سوف يعرف مدى قباحة الذنب ودنـاءته، وسـوف يستغفر الله ويناجيه من كل قلبه.

في سبيل الشعور بحلاوة الإيمان لابدّ من تحمّل العناء وجهاد النفس

فـي سـبيل أن يـذوق الإنسـان حلاوة الإيمـان، لابـدّ لـه مـن تحمـل العنـاء والابتعاد عن السيئات عبر جهاد النفس. فقد قـال أميـر المـؤمنين(ع): «صَـابِرُوا أَنْفُسَـكُمْ عَلَـى فِعْـلِ الطَّاعَـاتِ وَ صُـونُوهَا عَـنْ دَنَـسِ السَّـيِّئَاتِ تَجِـدُوا حَلَاوَةَ الْإِيمَان»[غرر الحكم/الحديث 81]

يحصل الإيمان والعلاقة بالله بالعناء والشدائد لا عبر درس أصـول العقائـد. طبعا إن درس أصول العقائد جيّد، ولكن مـن أجـل الإجابـة عـن شـبهات العـدوّ. يعني إذا أراد العدوّ أن يسـلبك عقائـدك وإيمانـك، هنـا يـأتي دور دروس العقائـد والأبحاث العقلية والكلامية.

يعاني الإنسان أحيانا من بعض المعاناة ولكنّه لا يذوق حلاوة الإيمان

لابدّ للإنسان أن يتعرف على نفسه بشكل جيّد ولا يتحمل عناء لا فائدة فيه. إذ أحيانا يعاني الإنسان ويتحمّل الشدائد ولكنها معاناة بلا جدوى لا ترفع مقامه ولا تذيقه حلاوة الإيمان. أحد الأسباب هي أنه عندما كان يعاني من بعض المشاكل والمصائب كان بصدد التعويض عن معاناته. كبعض المتظاهرين بالتقوى الذين يراعون مقتضيات الزهد والتقوى في سبيل أن يجدوا فرصة للتعويض عن كل الأتعاب التي تحملوها في هذا المسار. فمثل هؤلاء لن يجدوا حلاوة الإيمان مهما تحملوا العناء، لأنهم بصدد العثور على فرصة يعوضوا فيها عن كل الشدائد والصعاب التي تحملوها، وفي الواقع قد تحمّلوا كل هذه المعاناة في سبيل الفوز براحة أكبر في هذه الدنيا.

فعلى سبيل المثال من يعفّ عن الشهوات في سبيل أن يصل إلى جاه ومقام في هذه الدنيا، فإنه لا يذوق حلاوة الإيمان. ومثل هؤلاء الناس ينطبق عليهم قوله تعالى: (خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَة)[الحج/11]. إن شهوة الجاه والمقام تمنع حلاوة الإيمان من أن تدخل في القلب. ولعلّ أحد أسباب توفيق بعض الفسقة ورؤساء العصابات للتوبة والهداية هي أنهم يعرفون ماضيهم وملفّ أعمالهم جيدا فلا يطمعون في نيل الجاه والشأن الرفيع في هذه الدنيا عبر

الحصول على المقامات العرفانيّة. فمن أجل أن يذيقنا الله حلاوة الإيمـان، لابـدّ أن نتحمل المعاناة والمصاعب بصدق، لا من أجل نيل غيرها من الشهوات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن جهاد النفس عملية معقدة جدا، لأن النفس تحتال على الإنسان

إن طريقنا الوحيد إلى الكمال هو مخالفة الأهـواء والشـهوات ولكـن ليـس مطلق الأهواء وجميع الشهوات. فلا ينبغي أن نجاهد جميع أهواءنا بشكل مطلق، بل لابدّ أن نجاهدها ضمن برنامج. فإن البرنامج المتمركز والاجتنـاب عـن التكثّـر المضر ضرورة لازمة في مسار جهاد النفس.

إن عملية جهاد النفس معقّدة جدا، لأن النفس تحتال على الإنسـان. حـتى بإمكان النفس أن تستغل الدين لصالحها.

ما الداعي إلى الاهتمام بالعناء/ «الفرار من العناء» أهمّ عوامل ترك جهاد النفس

السبب في الاهتمام بالعناء إلى جانب الاهتمام بجهاد النفـس هـو أنـه لأننـا بصدد الالتفات إلى الطريق الأصـلي فـي الرشـد والكمـال، فلابـدّ لنـا مـن جهـاد النفس وإن جهاد النفس هو عملنا الرئيس في هذه الدنيا. ثـم إن أهـمّ عامـل أو العامل الوحيد الذي يدعونا للفرار من جهاد النفس هو نزعة الفـرار مـن العنـاء. إذن فلابدّ من الحديث عـن العنـاء لكـي نقنـع أنفسـنا علـى تحمّـل العنـاء وعـدم الفرار منه.

لماذا لا نسمع نصائح الصالحين في موضوع جهـاد النفـس؟ ولمـاذا لا نهتـمّ كثيرا وبشكل صحيح بآيات الجنة والنار؟ لأننا لا نودّ المحن والمعاناة. إذن تكمــن مشكلة أغلب الناس في قضية العناء. ليس الخـوف مـن العنـاء بخـوف محمـود وحتى ينبغي لنا أن نطلب بعض مصاديق العناء.

العناء شيء عابر ثم تتبعه راحة ومسرّة طويلة

خـوف الإنسـان مـن العنـاء يـدعوه إلـى الفـرار مـن جهـاد النفـس وبـاقي الفضائل، ولذلك فلابد من تحديد موقفنا تجـاه العنـاء وأسـلوب تعاملنـا معـه. إن العناء شيء عابر ثم تتبعه راحة ومسرّة طويلة. كما قال أمير المـؤمنين(ع) فـي وصـف المتقيـن: «صَـبَرُوا أَيَّامـاً قَصِـيرَةً أَعْقَبَتْهُـمْ رَاحَـةً طَوِيلَـة» [نهـج البلاغـة/ الخطبة 193].

من لم يحلّ لنفسه قضية العناء، تخدعه نفسه حتى بأدلة دينية بحسب الظاهر

يتمثل العناء بترك اللذات تارة، ويتمثل بآلام ومحـن تـارة أخـرى. فـإذا لـم نحلّ مشكلتنا مع هذين النوعين من العناء، نواجه مشكلتين:

المشكلة الأولى التي تظهر في بداية المطاف وتبقى معنا هي أنه إذا كـان قلبك يطلب الراحة، تخدعك نفسك دائما. وإذا كنـت غيـر خاضـع للعنـاء، فتصـنع نفسُك دائما ذرائع وحجج جميلة من الآيات والروايات للفرار من الدين والركـون

إلى الدعة، لأنها نفس أمارة بالسوء. (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)[يوسف/53]. السبب الرئيس في انخداع الإنسان بالذرائع المصبوبة في قالب ديني هو أننا لم نجتث خفايا جذور طلب الراحة ولم نحلّ لأنفسنا قضية العناء. فإن لم يكن الإنسان قد حلّ موضوع العناء وطلب الراحة والدعة لنفسه، تخدعه نفسه في بداية المطاف.

كيف استطاع المجاهدون أن يطووا طريق مئة عام في ليلة واحدة؟

لماذا قد استطاع المجاهدون في سبيل الله أن ينالوا مقاما بحيث قد اجتازوا مسيرة مئة عام في ليلة واحدة؟ لأنهم قد وطّنوا أنفسهم على تحمل عناء الموت وقبلوا بذلك، وبذلك حصلوا على نورانية رائعة. فكان موضوع العناء محلولا لدى المجاهدين في سبيل الله.

فإذا لم تكن قد وطّنت نفسك على موضوع العناء، تخدعك نفسك من حيث لا تشعر. فعلى سبيل المثال إن غضبت في موقف ما ولم تقدر على تحمّل عناء «سوء معاملة الآخرين» وغضبت عليه أو شتمته، هنا تطمئنك نفسك أن: «كان يستحق هذه المعاملة ولا عليك من تقصير!» أما حلّ موضوع العناء، يعينك على أن لا تنخدع عند مواجهة هذه المعاناة بل تبتهج بتحملها.

الزواج هو عبارة عن اختيار من سوف نختلف معه في الرأي!

إن هذه، لرؤية مهمة وهي أن الموضوع الرئيس هو أداء التكليف، ولابدّ من تحمّل العناء في إطار التكليف والبرنامج الإلهي. طبعا لابدّ أن نطبّع قلوبنا على ترك اللذات ولكن في مقام العمل، لابدّ أن يكون هذا الترك على أساس الأحكام الإلهية والبرنامج الإلهي لا على أساس اختيارنا. ولذلك فإذا رزق الإنسان لذة ما، حتى وإن فرّ منها تفرض عليه فرضا، وكذلك إذا واجهنا تكليفا إلهيا ممتعا، لا ينبغي أن نتركه بذريعة ترك اللذة. المهم هو حال القلب الذي لا ينبغي أن يطّبّع على حبّ الراحة واللذة، ولابدّ أن نخضع لقضاء الله في فرض بعض المحن علينا.

فعلى سبيل المثال لابدّ لكل زواج أن يشتمل على مشاكل واختلافات، لأن المرأة والرجل إنسانان، وبطبيعة الحال يختلف الناس مع بعض في بعض وجهات نظرهم. ولذلك فإنكم عندما تقدمون على الزواج، في الواقع تختارون من سوف تختلفون معه في الرأي! لا أن تبحثون عن من لا تختلفون معه أبدا. لابدّ من قبول أمثال هذه المعاناة وأن نتعامل معها بأسلوب حسن.

من لم يحلّ لنفسه قضية العناء، حتى وإن أصبح إنسانا صالحا، لن يكون صالحا كثيرا

القضية الأخرى في ما يرتبط بنتيجة عدم الخضوع للعناء هي أنك ما لم توطّن نفسك على العناء، حتى وإن أصبحت إنسانا صالحا، لن تكون صالحا

كثيرا، إذ لا تزال أنانيتك موجودة على حالها. كان قد سعى العرفاء وعلماؤنا العظام أن يقلعوا أنانيّتهم، وآخر ما يحمي صنم الأنانية هو نزعة «الفرار من العناء» و «الركون إلى الدعة والشهوة». فإن قضي على «الأنا» تصبح عين الإنسان عين الله ولسانه لسان الله ويده يد الله. فآخر المطاف هو فناء «الأنا» وزوال أهوائنا حتى أن لا يبقى شيء سواه. وهذه هي اللذة الكامنة في الدين وهي أن تتحول أهواء النفس إلى هواه. فنحن نودّ أن نصل إلى درجة من الخلوص حتى لا يبقى شيء تحت عنوان «نحن» ونفنى في «هو». ومن أجل نيل هذه الدرجة لابدّ من توطين النفس على العناء.

إن ترك اللذة حلو/ أيّ لذة نتركها في سبيل كسب نظر لطف الله؟

إن معاناة ترك اللذات، وإن كانت معاناة ولا تخلو من الصعاب، ولكنّك إن عشت أجواءها تشعر بمدى حلاوة الترك، حتى أنّ كثيرا من عرفائنا تغزلوا بترك اللذات وقد اعتبروها عين اللذّة.

نقل الإمام الصادق(ع) حديثا عن النبي الأكرم(ص): «مَنْ أَكَلَ مَا يَشْتَهِى وَ لَبِسَ مَا يَشْتَهِى لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتْرُك» [التمحيص/ص 34] فمن أجل كسب نظر لطف الله، لابدّ من ترك هذه اللذائذ.

علاقة جهاد النفس بالعبادة/ العبادة الحسنة، جائزة جهاد النفس

أحد المواضيع المهمّة، هو كيفية الربط بين جهاد النفس وباقي المفاهيم الدينية. فعلى سبيل المثال ما هي علاقة العبادة مع جهاد النفس؟ فإن العبادة شيء يختلف عن جهاد النفس، وهي عبارة عن العلاقة المباشرة مع الله.

علاقة هذين الأمرين هي أنه إذا كان الإنسان قد جاهد نفسه من بداية الصبح إلى الظهر، تكون صلاتي الظهر والعصر ألصق بفؤاده وتنتعش عباداته. فالصلاة الجيدة تكون جائزة لذلك الجهاد. الصلاة بمثابة لقاء الله. وإن كانت العبادة هي علاقة مباشرة مع الله، ولكن كيفية هذه العلاقة مرهونة بمستوى الجهاد الذي قمت به قبل العبادة. فقل لي ماذا فعلت خارج البيت حتى تريد أن تدخله الآن؟!

يقول الإمام الحسن المجتبى (ع): «إِنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِبَادَةَ تَزَكَّى لَهَا»[تحف العقول/ص 236]. الصلاة نتيجة جميع المحاسن ولذلك فمن أجل إدراك مغزى الصلاة وإحساس طعمها لابد من جهاد النفس. فالذي لم يجاهد نفسه يحرم من إدراك لذة العبادة كالطفل الصغير الذي لا يدرك شيئا من اللذة الجنسيّة.

إن لم تجاهد نفسك طوال يومك فعلى الأقل جاهدها حين الصلاة. فاختر لباسك من حلال والبسه في الصلاة. وأزل النجاسات من جسمك ولباسك. وكن طاهرا واعمل بآداب الصلاة جيّدا. إذا أطلق الإنسان عنان نفسه طوال نهاره

ولبّى رغباته مهما شئت، لن ينظر الله إليه في صلاته، فما بالك بمن لم يلزم نفسه أثناء الصلاة. فجاهد نفسك أثناء الصلاة على الأقل.

أي محبوب غير مصحوب بقيود

ليس كل محبوب ومرغوب مصحوب بقيود من بداية الأمر. هناك رغبة وهواية ممتعة جدا، وفي نفس الوقت سهلة الوصول، ويمكن ذوق طعمها من بدء الانطلاق، والمبالغة في التمتع بها ليس إسرافا، وليس هذا الحبّ الجميل سوى حبّ محمد وآل محمد(ص). إن حبّ أهل البيت(ع) هدية الله سبحانه إلى أمّة النبيّ(ص).

فهو حبّ وهوى لا قيد فيه. وليس في حبّ أمير المؤمنين(ع) إفراط. طبعا هذا الذي يدعي أن أمير المؤمنين(ع) إله، لم ينته إلى هذا الانحراف لشدّة حبّه، بل قد جرّه هواه إلى ذلك، إذ أن شدّة الحبّ يجعل من الإنسان مطيعا ومتأسيا بمحبوبه.

أحد العوامل التي يسّرت حبّ أهل البيت(ع) على القلوب، هو ما عانوه من ظلامة. كل من حبّ أهل البيت تزكّى كما جاء في زيارة الجامعة الرائعة: «وَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنَا وَ طَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا وَ تَزْكِيَةً لَنَا» .

الأهداف الدنيوية والأخروية لجهاد النفس

لقد درسنا في الأبحاث السابقة لحد الآن ضرورة جهاد النفس وآثاره. وفي تكملة البحث نحن بصدد الحديث عن هدفين رئيسين لجهاد النفس؛ أحدهما الهدف الدنيوي والآخر الهدف الأخروي لجهاد النفس.

الهدف الدنيوي: ازدياد طاقة روح الإنسان على الالتذاذ والتمتّع

الهدف الدنيوي من جهاد النفس هو ازدياد طاقتنا الروحيّة على الالتذاذ والتمتّع الأكثر بدلا من تنويع اللذات وتكثيرها. يجب أن نعلم أنّه لا يستطيع الإنسان أن يسيطر على حياته ويزيدها لذّة إلا بعد أن صعّد طاقته الروحيّة عبر جهاد النفس. إنّ بعض طلّاب اللذة، يطمعون أن يتمتعوا بلذات كثيرة بلا جهاد النفس، غافلين عن هذه الحقيقة وهي إن لم يجاهدوا أنفسهم يضعفوا عن التمتع بكثير من اللذات.

كيف نزداد لذة من الطعام والمنام واللذة الجنسية

إن واجهنا شخصا غير عارف بالله وغير مؤمن بالمعاد ولم ير هدف الخالق من خلق الإنسان ولم يجعل عالم الآخرة هدفا له في حياته فلابدّ أن نقول له: «ماذا تريد من حياتك الدنيوية الماديّة هذه؟ ألا تريد الالتذاذ والتمتع في هذه

الحياة؟! فـإن كـان هـذا هـدفك فـاترك الاهتمـام بتكـثير أنـواع اللـذات وتنويعهـا واشتغل بتقوية روحك ونفسك لتزداد طاقة على الالتذاذ».

فعلى سبيل المثال، بدلا من الالتذاذ بكثرة النوم والذي لا يخلو من عواقب وأمراض، حاول أن تقوّي روحك بالاستيقاظ في الأسحار، فإنك لـو فعلـت ذلـك، سوف تزداد لذة من النوم في مدى البعيد حتى لو لم تكن مؤمنـا بـالله. وكـذلك إن كنت من هواة اللذات الجنسـية وأردت أن تزيـد حظـك منهـا، فـاترك النظـر الحرام فستتزداد حظا من اللذائذ الجنسـية. وكـذلك إن أردت الالتـذاذ بطعامـك وشرابك، فقلّل من التنويع والإكثار لكي تزداد لذة من الأكـل. وكـذلك إن شـئت أن تعيش بمزيد من السعادة والسرور فلابـدّ أن تتجـرّع بعـض جرعـات الغضـب وتكتمه.

الحياة الأفضل في هذه الدنيا، مشروطة بجهاد النفس

إذا استطاع الإنسان أن يقوّي روحه ويزيدها طاقة على الالتذاذ، عنـد ذلـك سوف يلتذ بغرة الفجر والشعر والبحر والجبال والطبيعة لذة لا يشـعر بهـا غيـره وسوف يلتذ بأشياء لا يلتذ بها كل إنسان.

بالإضافة إلى كوننا مضطرّين إلى جهاد النفـس شـئنا أم أبينـا، كـذلك نحـن بحاجة إليه في سبيل تحقيق حياة أفضل في هذه الدنيا، وإلا فبعد ما طوينـا رداء الشباب وبدت بـوادر الشـيخوخة علـى ملامحنـا نتـورط بـأمراض شـتّى كضـعف

الأعصاب والكآبة والسأم وغيرها. إن جهاد النفس يقوّي إرادة الإنسان ويصنع منه إنسانا لجميع الفصول ومراحل الحياة، قادرا على حفظ معنوياته ونشاطه في مختلف الظروف ومنعطفات الحياة سهلها وصعبها، مرّها وحلوها.

تضعيف الروح بترك جهاد النفس، مدعاة إلى الحرمان من أولى لذات الحياة

إن جهاد النفس يقوّي حياة الإنسان، وكلما ازدادت الروح قوّة، يزداد الإنسان حظا من لذات الحياة. إن بعض الناس وبسبب كثرة الفرار من جهاد النفس، قد أضعفوا روحهم بحيث أصبحوا لا يلتذّون بأولى لذائذ الحياة كاللذة الجنسية. فإن هؤلاء وبسبب ضعف روحهم لا يلتذون بحياتهم، ولذلك فتجد أعصابهم محطّمة دائما باحثين عن لذة يأنسون بها فينجرّون إلى الذنوب لكي يعوضوا عمّا يعيشونه في داخلهم من عقدة الحرمان من اللذات.

يقول أمير المؤمنين(ع): «وَكَأَنِّی بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِی طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَ مُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً وَ الرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً وَ النَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً وَ أَبْطَأُ خُمُودا»[نهج البلاغة/ الكتاب 45]

نحن وللأسف قد أضعفنا روحنا بترك جهاد النفس، فلنتب إلى الله ونقل له: «ظلمت نفسي»؛ يعني إلهي لقد أتلفت نفسي! فقد لبيت هواي طيلة عمري وانشغلت بالفسوق والعصيان، إلهي اغفر لي ذنوبي وإطاعة نفسي، فلم

أبقِ لي حولا ولا قوة ولا إرادة، فأصبحت إنسانا بلا تركيز وبلا بال صافٍ، عاجزا عن الالتذاذ بالطبيعة، ضعيف الجسم والبدن، فلا يقدر على خدمة غيره، لقد أصبحت إنسانا ضعيف النفس... فخذ بيدي سيدي وأجبر ضعفي. «قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي»[دعاء كميل]

لقد نقل أحد الأشخاص الذي كان قد زار سماحة الشيخ بهجت(ره) وقال: «أثناء حديثي مع سماحته، وجدت الشيخ بهجت(ره) ما زال يحفظ تفاصيل دقيقة جدا عن أيام ماضية وهو في ذاك العمر الكبير!» فمن أين حصل على هذه الحافظة القويّة؟! بطبيعة الحال إنّها بسبب جهاد النفس، طبعا ضمن البرنامج الذي يعطيه الدّين.

من عجز عن تكوين حياة دنيوية صحيحة، يعجز عن إعمار آخرته أيضا

من أراد أن لا يكون ضعيفا في حياته الدنيويّة ويحصل على قوّة روحيّة، لابدّ له من جهاد النفس. لا يخفى أن هذا هو ليس الهدف الرئيس من جهاد النفس، بل إنما هو الهدف الدنيوي منه الذي يوفّر الحد الأدنى من الحياة لا الحد الأقصى من العبودية. أمّا على أيّ حال هذا الذي لا يقدر على تكوين حياة دنيوية صحيحة، فهو عاجز عن إعمار آخرته أيضا.

من أراد أن يخدم عباد الله ويخدم بلد صاحب العصر والزمـان(ع) لابـدّ لـه أن يحظى بالموهبة والقـوّة والمكنـة اللازمـة لهـذا الشـأن، وإنهـا تحصـل بجهـاد النفس.

الأصل الأول في تطور الجامعات في الجانب العلمي هو جهاد النفس

إذا عرف الجامعيون أسرار جهاد النفس ومدى تـأثيره علـى قـوّة الإنسـان الروحية والفكرية، سوف يصبح جهاد النفـس الأصـل الأوّل فـي التطـوّر العلمـي في جميع الجامعات. وهذا ما قد أثبته علـم النفـس أيضـا. يعتقـد علمـاء النفـس أن «نسبة الذكاء» ليست العامل الرئيس في النجـاح والإبـداع العلمـي، بـل هـو مفهوم آخر وعندما يشرحون هذا المفهوم نجد أنه جهاد النفس بعينه.

في أحد الاختبـارات، جمـع المحققـون مجموعـة مـن طلاب الابتدائيـة فـي غرفة وجعلوا فيهـا حلويّـات، قـم قـالوا لهـم: «العبـوا مـا شـئتم ولكـن لا تـأكلوا الحلويّات حتى نرجـع، ولكـي نعطيكـم جـوائز». بعـض الأطفـال لـم يبـالوا بهـذا القانون وبدأوا بأكل الحلويّات، وبعضهم صـبروا فـترة ثـم بـدأوا بأكلهـا بعـد نفـاد صبرهم وبقي قلة قليلة من الأطفال صبروا إلى النهاية ولم يأكلوا من الحلويّـات شيئا. ثم بعد إجراء اختبارات عديدة أخرى على هؤلاء الأطفـال ومتابعـة حيـاتهم بدراسـات وإحصـاءات عديـدة، خرجـوا بنتيجـة أن هـؤلاء الأطفـال الـذين لـم

يستعجلوا بأكل الحلويّات كانوا في الواقع أكثر سيطرة على أنفسهم، وتوفّقوا أكثر في حياتهم حتى وإن كانت نسبة ذكائهم أقلّ من غيرهم.

الشاب المدمن على الموسيقى في الواقع قد هدم قسما من قواه الذهنية

لماذا قال سماحة السيد القائد: «لا تروجوا الموسيقى في الجامعات»؟! لم يكن السبب هو حرمة بعض أنواع الموسيقى وحسب إذ لا خصوصية لحرمتها في الجامعات، فلعلّ السبب من ذكر الجامعات بالخصوص هو ضرورة حفظ المستوى العلمي والقدرة على إنتاج العلم في الجامعات. كان يقول الإمام الخميني(ره) وكذلك المرحوم شاه آبادي(ره) أن الشاب المدمن على الموسيقى قد هدم قسما من طاقاته الذهنية والروحية ولا تبقى له طاقة بعد للنشاط العلمي، إذ أن الموسيقى تسلب الإنسان قدرته على التركيز.

قد يقول البعض: «بالعكس؛ الموسيقى تزيدنا تركيزا»! ولكن الحقيقة هي أننا لا ينبغي أن نتكل على الموسيقى من أجل التركيز، بل يجب أن نتدرب على التركيز بلا هذه العوامل، وإلا فسوف تضعف قوانا الذهنيّة. ولذلك كان يقول الإمام الخميني(ره) إن الشاب الذي يدمن على الموسيقى لا تبقى له قوّة وطاقة بعد؛ فقد قال الإمام الخميني(ره): «الإذاعة والتلفزيون التي ينبغي أن تكون معلّمة، يجب أن تقوّي الشباب وتمنحهم قوّة. لا ينبغي للتلفزيون أن يبث الموسيقى عشر ساعات، ويسلب شابّنا قوته ويجعله في حالة من النشوة

والخلسة، فهذه تشبه المخدّرات ولا تفرق عنها كثيرا وتسبّب حالة من النشوة»[صحيفة الإمام(الفارسية)، ج 9، ص 205] وكذلك قال الإمام(ره): «ومن جملة القضايا التي تخدّر الأدمغة هي الموسيقى. فعندما استمع دماغ الإنسان إلى الموسيقى فترة من الزمان، يتحول هذا الدماغ إلى دماغ إنسان غير جادّ، فإنها تخرج الإنسان عن جدّيته وتلفته إلى قضايا أخرى. كل هذه الوسائل التي ذكرنا بعضها وقد أعدوا إلى ما شاء الله من هذه الوسائل، كلها في سبيل إغفال الشعب عن مقدّراته وإلفات أنظاره إلى قضايا أخرى وحرفه عن قضايا اليوم حتى لا يزاحمهم...»[صحيفة الإمام(الفارسية)ج 9، ص 200] وكذلك قال الإمام الخميني(ره): «الإنسان المدمن على المخدرات لا يهتمّ بالبلد. الإنسان الذي أدمن دماغه على الموسيقى لا يستطيع أن يفكر بالبلد»[صحيفة الإمام، ج 9، ص 464]

طبعا كان الإمام الخميني(ره) يتخذ أحيانا مواقف أصلب وأشد تجاه الموسيقى، فعلى سبيل المثال قال: «إذا أردتم لبلدكم أن يكون سالما وبلدا حرّا وبلدا مستقلا، ينبغي أن تتعاملوا مع القضايا بجدّ وتبّدلوا الراديو والتلفزيون إلى أجهزة تعليميّة. احذفوا الموسيقى، ولا تخشوا من أن يرموكم بالرجعيّة لكوننا حذفنا الموسيقى. لا بأس أن نكون رجعيّين! فلا تخشوا. هذه الكلمات خطة لإرجاعكم عن العمل الجادّ. ما يقال من أنه إن حذفت الموسيقى من

الراديو فسيحصل النـاس علـى الموسـيقى مـن أمـاكن أخـرى، [فهـو كلام غيـر صائب] دعوهم يأخذونها من مكان آخر، ولكن أنتم لا تلوّثوا أنفسكم، وبعـد ذلـك فسيرجع الآخرون إلى هنا شيئا فشيئا. ليس هذا بعذر صحيح أنـه إن خلا الراديـو من الموسيقى فسيذهب البعض إلـى مكـان آخـر لتحصـيلها. فـإذا حصـلوا علـى الموسيقى من مكان آخر، هل ينبغي لنا أن نقدم لهم الموسـيقى؟! وهـل يجـوز لنا أن نخون؟! إن هذا السلوك لخيانة للبلد وخيانـة لشـبابنا. احـذفوا الموسـيقى بتاتا واستبدلوها بشيء تعليمي مفيد. وعوّدوا النـاس وشـبابنا شـيئا فشـيئا علـى التعلّم، وأرجعوهم من عادتهم الخبيثة تلك. عنـدما تلاحظـون أن شـبابنا يـذهبون إلى نغمات أخرى إن فقدوها هنا، فإنما ذلك بسبب عادتهم! وهذا مـا يـدلّ علـى أنهم قد فسدوا. والآن فنحن مكلفـون بإرجـاع هـذا الجيـل الـذي قـد فسـد إلـى الصلاح، وأن لا نسمح لصغارنا أن يفسدوا ونقف أمام ذلك. لابـدّ أن تحمـل هـذه المسائل على محمل الجدّ»[صحيفة الإمام،ج 9، ص 205]

وكذلك قال في كلمة أخرى: «كانت الإذاعة والتلفزيون في زمن الطاغوت تباشر بنشاطات طاغوتية. كانت قد صـبت نصـف نشـاطها فـي تضـعيف شـبابنا بالموسيقى. الموسيقى تضعّف روح الإنسان وتسلب الإنسان استقلاله الفكـري. كـان نصـف نشـاط الراديـو والتلفزيـون بـث الموسـيقى. حـاولوا أن تـتركوا الموسيقى. لا تزعموا أن الموسـيقى هـو أمـر لازم للبلـد المتطـوّر. الموسـيقى

تخرّب أدمغة أطفالنا وتفسدها. إذا كانت الموسيقى تقرع أسماع الشابّ بشكل مستمر، فإنه لا يقدر على مواصلة العمل ولا يقدر على التفكير الجادّ. وهذا هو السبب من تأكيدى على حذفها. ولعلّى عشر مرّات أو أكثر قد أكدت على السيد قطب زاده (مسؤول الإذاعة والتلفزيون يومذاك) وقلت له أن احذف الموسيقى من الإذاعة، ولكنه يقول: «لا يمكن». أنا لا أعلم ما معنى «لا يمكن»؟ ولماذا لا يمكن؟ اسمعوا كلامي. أنا أقول إن عملنا بشيء لصلاح شعبنا، ثم جاء الغربيون أو المتغرّبون وعابوا علينا واتهموا فعلنا بالرجعيّة، فهل ينبغي أن نترك عملنا ونذهب وراءهم، أو يجب أن نرى مصلحتنا؟ يجب علينا أن نتأمل في أن هذا الجهاز الذي يجب أن يكون معلّما ومربّيا وبنّاء للشعب، لا ينبغي أن يديره الإنسان بطريقة بحيث يغفل الناس عن مقدّراتهم ويصبح همّهم هو الجلوس أمام التلفاز وتلقّي هذه البرامج بسمعهم وأبصارهم، ثم يفسد باطنهم بعد أيّام قليلة ويفرغ من محتواه. لا تخافوا من أن يرموكم بالرجعيّة. لق نسبوا لنا ذلك خمسين سنة، وليقولوا ذلك بعد هذا فها نحن كذلك. تلقوا هذه المسائل بجدّ ولا توجّهوا آذانكم إلى أوروبّا لتروا ماذا تقول. وإذا أردتم أن تحسنوا في العمل فلابدّ أن تفرّغوا الإذاعة والتلفزيون من القضايا المضعّفة لقلب الإنسان ولدماغة والتي تبعد الإنسان من إنسانيّته وتسلبه استقلاله الفكري.»[صحيفة الإمام(الفارسية)، ج 9، ص 156ـ 158]

كلما شاهد الإنسان أنه يعاني من ضعف غير معقـول فـي حيـاته الدنيويّـة، فليعرف بأنّه قد فرّ من جهاد النفس في أحد مواطنه.

الأهداف الدنيوية والأخروية لجهاد النفس

لقد درسنا في الأبحاث السابقة لحد الآن ضرورة جهاد النفس وآثاره. وفي تكملة البحث نحن بصدد الحـديث عـن هـدفين رئيسـين لجهـاد النفـس؛ أحـدهما الهدف الدنيوي والآخر الهدف الأخروي لجهاد النفس.

جهاد النفس من أجل الحصـول علـى الأهـداف الدنيويـة أمـر ضـروري لجميـع المجتمعـات البشريّة

لقد ذكرنـا فـي الجلسـة السـابقة أحـد الأهـداف الرئيسـة والمهمّـة لجهـاد النفس وجرى الحديث حوله باختصار. وكان الهدف عبـارة عـن أننـا إذا سـيطرنا على هوى نفسنا واستطعنا أن نسيطر على بعض رغباتنا الدانية، سـوف نحظـى بشخصيّة أقوى تمكّننا من نيل أهدافنا الدنيوية بشكل أفضـل. وإن جهـاد النفـس هذا من أجل الحصـول علـى الأهـداف الدنيويـة أمـر ضـروري لمجتمعنـا وجميـع المجتمعات البشريّة.

إذا كان أهل العالم يمارسون المعاصي وينخـدعون بمكائـد إبليـس، فـذلك بسبب أن قد كُذِب عليهم بأن سوف يتمتعون بمزيد من اللذات فـي هـذه الـدنيا

عبر المعاصي والذنوب، مع أن الواقع هو أن ترك جهاد النفس، يؤدي إلى قلة التذاذ الإنسان في هذه الدنيا فضلا عن الآخرة. إنّ استقبال المصاعب وإيجاد النظم والانضباط في الحياة وتكوين شخصية أقوى عبر جهاد النفس، هي من العوامل التي تقوّي الإنسان على الاستمتاع بلذائذ الحياة الدنيا.

اتباع الهوى مدعاة لذلّ الإنسان وهوانه، وبالتالي عجزه عن إعمار دنياه

إن ترك اللذة تمهّد الإنسان للالتذاذ، إذن أحد أهداف جهاد النّفس المهمّة هو إعمار حياة الدنيا، إذ أنها تزيد الإنسان قوّة وقدرة على التركيز، في حين أن اتباع الهوى مدعاة لذلّ الإنسان وضعفه وهوانه وبالتالي عجزه عن إعمار دنياه.

كما يمكن مشاهدة آثار جهاد النفس في مجال الصحة وسلامة النفس أيضا. فعلى سبيل المثال الإنسان الذي يجاهد نفسه ولا يكذب، يحظى باطمئنان ولا يتشوّش باله ولا شكّ في أن الحياة الأفضل بحاجة إلى هذا الاطمئنان.

الهدف الرئيس من جهاد النفس هو لقاء الله

وإن كان أحد أهداف جهاد النفس المؤكدة هو الحصول على حياة أفضل في الدنيا، ولكنّه هدف فرعي، إذ سرعان ما ينتهي أمد الحياة الدنيا. وأيّ إنسان سليم يقنع بعمران دنياه فقط، مع أنه سرعان ما تمرّ وينتهي شوطها؟ فمثل هذا الهدف ليس بهدف سام وقيّم بأن نهدف إلى حياة أفضل في هذه الدنيا عبر

جهاد النفس، فلا ينبغي أن نعتبر الحياة الدنيوية الأفضل هدفا رئيسا لجهاد النفس، بل ينبغي أن نعتبرها هدفا فرعيا وأحد فوائد جهاد النفس.

بعض الأحيان عندما يشاهد الإنسان بعض هذه البرامج في القنوات والفضائيات والتي تستضيف شخصية موفقة وناجحة مثلا، يشعر بالمهانة من شدّة الأهداف النازلة التي تروج لها هذه البرامج. فتراهم يستضيفون الضيف الناجح والموفّق في الحياة ويصفق له الجمهور وهو يطرب لصوت التصفيق، وإذا به لم يصل إلّا إلى هدف بسيط جدا ومحدود بأيام قليلة من هذه الدنيا. وفي الواقع إنجازه هو أن يصفق له جمهور البرنامج ولا غير! ولا يسأل أحد عن مدى حفاظه على اطمئنانه وعقله وفطرته وصفا باطنه.

ويودّ بعض الناس أن يدّنسوا ساحة السياسة بهذا الانحطاط، بحيث يحدّدوا نطاق النجاح السياسي ونجاح الناشط السياسي بإنجاز الأهداف المحدودة بهذه الدنيا. فتعسا لمثل هذا الفكر العار على البشر. لقد اجتاز البشر من هذه المرحلة. متى صارت الأهداف السياسية محدودة بإعمار الدنيا؟! فإنّ هذا الفكر هو عين الوثنية وعين الحماقة والجهل والسفاهة، ولابدّ من إيجاد ثورة على مثل هذه الرؤى المنحطّة، وإلا فلا تخلو أوساطنا السياسية من أناس منحطّين بحيث يقلّلون أهداف الإنسان السامية في شعاراتهم السياسية إلى مستوى هذه الدنيا الدنيّة.

طبعا لا يقتصر هذا الكلام بموضوع السياسة، بل يجب أن تكون أهداف جميع النشاطات الاجتماعية والإنسانية أسمى من هذه الدنيا، وكذلك إن واجهنا أيّ مفهوم مرتبط بالنجاح والتوفيق، من قبيل مؤشرات الإنسان الموفّق، أو الأسرة الناجحة أو المجتمع السالم والمتطوّر، أو النظام السياسي الناجح، أو النظام الاقتصادي الناجح، لابدّ أن لا نحدّد التوفيق والنجاح في هذه الأصعدة المختلفة بالنجاح الدنيوي، وإلّا فيكون تعريفنا عن النجاح والتوفيق أقلّ من شأن الإنسان.

لماذا نريد أن نجاهد أنفسنا؟ قسم صغير من آثار جهاد النفس هو تحسين الحياة الدنيا، ولابد من تحسين الدنيا لتحلو حياة المؤمنين وتزداد صفاء ولذّة وقوّة وتكون أفضل من حياة غير المؤمنين ونحن لا نغضّ الطرف عن هذا الجانب، ولكننا لا ننظر إلى هذا الجانب كهدف أصلا، بل ننظر إليه كواحدة من فوائد جهاد النفس. كما أنك عندما تريد أن تذهب إلى مشهد، لابدّ لك أن تمرّ بمدينة نيشابور، ولكن ليست نيشابور بهدف في سفرك، بل هي إحدى فوائد الذهاب إلى مشهد. فليس من الصحيح أن تقول أنا بصدد الذهاب إلى مشهد وكذلك الذهاب إلى نيشابور! إذ عندما تلاحظ الهدف الأقصى، عند ذلك تتحقق الفائدة ويُنجز الهدف المتوسط والداني بطبيعة الحال.

لا ينبغـي أن نحـدّد الهـدف مـن جهـاد النفـس باعتبـاره الطريـق الوحيـد، بتحسين الدنيا وإعمارها وتكوين حياة أيسر. فنحن بصدد جهاد النفس في سـبيل تحقيق هدف مهمّ جدا. فمـا هـو ذلـك الهـدف المهـم الـذي قـدّر اللـه أن يكـون الطريق إليه يمرّ من جهاد النفس؟ وما هـو ذلـك الحـدث المهـم الـذي يجـب أن نجاهد أنفسنا في سبيل تحقيقه، ونستمر بجهاد النفس حتى تعمّـر آخرتنـا فضـلا عن دنيانا؟ لقد تمّ تحديد هذا الهدف السامي مـن قبـل اللـه، ولكـن يجـب علينـا معرفته فقط.

صحيح أن بعض الناس قد لا يرتـاح عنـدما يـرى أنـه لا دور لـه فـي تحديـد الهدف الرئيـس مـن حيـاته، ولكـن لا مفـرّ مـن ذلـك، إذ يجـب أن نسـأل خـالق الإنسـان أن لأيّ غايـة خلقنـا؟ فإنـك إن عرفـت هـذا الهـدف جيّـدا، تسـتطيع أن تعشقه. أمّا من كان باردا لا حافز له ولم يحمل القوّة والطاقـة اللازمـة لسـلوك هذا الطريق الوحيد، فهو لم يتعلق بهذا الهدف بعد. إن جاذبية هذا الهدف أقــوى من جاذبيّة الأرض التي تسحب الأشياء إليها وكذلك أقوى من جاذبية القمر الذي يسبب مدّ البحر. فهل لله جاذبية أيضا؟!

نعم ومن المؤكد أن الله جذّاب. وقد خلقنا لنصل إلـى اللـه ونلتـذّ بـالقرب منه. (إنّا لله وإنا إليه راجعون) و (و إليه المصير). إن يوم القيامة بمثابة الشـارع الذي يجب أن نجتازه في سبيل الوصول إلـى حيّنـا وهـي الجنـة، وهنـاك يحـدث

الحدث الرائع الذي لا يوصف وهو لقاء الله سبحانه. لقد خُلِقت فـي سـبيل لقـاء الله وقد صنعت من أجله. إن خالقك هو الذي حدّد هدفك ولم يسمح لك بتحديـد هدفك الرئيس.

إلهي! لماذا خلقتني؟! فإن سألته يجبك: لقد جئت إلى هذه الدنيا لتسـتمتع بالراحة واللذة. لقد خُلِقت من أجل اللـذة ولكنـك تطلـب اللـذة الحقيقيـة، وأمّـا اللذّات الفانية فتؤذيك وتضرّك. لقد صنعتك من أجل لذّة عظيمة جدا، وهي لـذّة لقائي. فقد خلق الإنسان في سبيل لقاء الله. كلّ لذة تفنى وتنفـد مـا عـدا لـذة لقاء الله فإنها غير متناهية.

جميع الناس ـ شاءوا أم أبوا ـ سائرون في سبيل لقاء الله

- يقول الله سبحانه في القرآن: **(يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه)[الانشقاق/7]** وكما تلاحظون لم يأت خطاب الآية بصيغة «يا أيها الذين آمنوا»، بل قد خاطب جميع الناس، يعني جميع الناس ـ شاءوا أم أبـوا ـ سائرون في سبيل لقاء الله، ولكن بإمكـان الإنسـان أن يـدير محنـه ومصـاعبه بحيث يحظى بلقاء أمتع وأجمل مع الله، وكـذلك يسـتطيع أن يتجـرّع المصـاعب والمتاعب بلا هدف وبرمجة، وبلا أن تترك أثرا إيجابيا على لقائه مع الله.

هيجان لقاء الله هيجان غير متناهٍ

- إن لقاء الله ممتع جدّا، وإنما أصحاب القلوب السوداء فقط لا يستطيعون أن يفكّرون بهذا اللقاء. فمن كان يحظى بشيء قليل من صفاء القلب قادر على إحساس حلاوة لقاء الله. طبعا إن حلاوة لقاء الله تختلف عن باقي اللذّات كلها، إذ أن الله هو الخلّاق. قد يصدف أن نرى إنسانا غير جميل يرسم لوحة جميلة جدّا، ولكن الله سبحانه ليس هكذا، إنه خالق الجمال ولا شك في أنه أجمل من كل جمالٍ خلقه. إن هيجان لقاء الله هيجان غير متناهٍ، بحيث يواجه المؤمن لذّة جديدة في أيّ لقاء، فينسى بها اللذّات السابقة. إن الله موجود غير محدود، وكذلك لا حدّ للذّة لقائه. قد يسأل سائل: ألا نضجر من الجنّة؟! كلا! لأننا سوف نتمتع في الجنة بلقاء الله ولن يصبح هذا اللقاء أمرا مكرّرا رتيبا، و نحن قد خلقنا من أجل الاستمتاع بلقاء الله نفسه.
- أسأل الله سبحانه وتعالى أن يذيقك ـ أخي العزيز ـ شيئا قليلا من لذّة لقائه في الصلاة، فبعد ذلك تقطّع نفسك وترضى بكلّ شيء في سبيل أن تزداد حظّا من هذه اللذّة اللا نهائية. وبعد ذلك تبقى خجلا من الله سبحانه لشدّة منّه عليك ولا تزال تشعر بالبهجة والسرور بذلك اللقاء، وتقضي باقي أيام حياتك باشتياق هذا اللقاء وانتظار تجربة أخرى من ذلك اللقاء، وتبكي شوقا لساعة اللقاء وما أجملها من ساعة. ثم تُكرَه على البقاء في هذه الدنيا ولو كان الأمر

بيدك لغادرتها شوقا إلى لقاء الله. وأساسا تتغير ماهية حياتك في هذه الدنيا بعد تجربة لقاء الله في الصلاة.

· أنا لا أدري ما الذي تريدون أن تفعلوه في سبيل نيل شيء من لقاء الله في هذه الدنيا، هل تريدون أن تذكروا الله كثيرا، أو تدمنون على دعاء جوشن الكبير مثلا، أو تريدون أن تصلّوا بكل أدب وخضوع، أو عزمتم على ترك بعض اللذات في سبيل إدراك تلك اللذة العظيمة، أو تريدون أن تقطّعوا أنفسكم إربا إربا... لا أدري ماذا سوف تفعلون، ولكن اسألوا الله أن يذيقكم طعم لقائه، وادعوا لي أنا المسكين الذي أكثر منكم حرمانا وخيبة.

· طبعا كل الناس جميعا يلاقون الله سبحانه، ولكن بعضهم سوف يلاقونه في أحسن الحال، وبعضهم يلاقونها في أسوأ الحال. ولقاء كل فرد بالله يختلف عن لقاء الفرد الآخر، فإذا أردنا أن نجسّد تلك الحقيقة الرائعة بألفاظنا الصغيرة نقول: إن البعض لا يجد في لقاء الله سوى ابتسامة ربّه في وجهه، وبعض يضمّه الله إليه، وبعض يباهي به الله وهذه هي ألذّ لذّات العالم. فيا أيها الإنسان الذي تطرب وتنتعش بتصفيق قاعة مليئة بالناس لك، فما تفعل إن صفّق الله لك؟ عند ذلك سوف لا تشتري أهل العالم بفلس أحمر، لشدّة غناك عنهم وشدّة لذّة لقاء الله.

· سوف يأتي اليوم الذي ندرك فيه كل هذه الحقائق وذلك يوم القيامة. في ذلك اليوم إذا امتنع الله من أن يكلّم أحدا، يكون أشدّ عليه من عذاب جهنّم. سوف ندرك في ذلك اليوم مدى لذة لقاء الله، فإذا امتنع الله من النظر إلى أحد سيكون أشدّ عليه من عذاب نار جهنّم.

من أجل الوصول إلى لقاء الله لابدّ أن نزداد سعة والطريق إلى ذلك هو جهاد النفس

· ليس لنا سوى طريق واحد للوصول إلى لقاء الله وهو جهاد النفس. فبعد أن التفتنا إلى هذا الهدف لابد أن نغض الطرف عن بعض الملذّات والرغائب.

· من أجل الوصول إلى لقاء الله لابدّ أن نزيد سعتنا، ولكن كيف يتمّ ذلك؟ طريق ذلك هو أن نتطهّر من الأنانيّات ونترك الرغائب حسب البرنامج الإلهي. فإذا أراد أحد أن ينظم برنامجا لجهاد النفس على أساس رأيه وقراراته الشخصيّة، يخاطبه عقله قائلا: «هل تريد أن تبرمج لنفسك بنفسك؟ فعندئذ تبقى أنانيتك على حالها. فإذا أردت «أنت» أن تترك بعض مشتهياتك، تبقى «إنيتك» على حالها وهذا نقض للغرض.

طريق زوال «الأنا» هو استلام الأوامر من الله

· لا ينبغي أن يبقى أثر لإنيتك في مقابل الله سبحانه، ولا يسمح الله لأحد أن يتشرّف بلقاء الله إلا بعد أن زالت أنانيته ورغباته أمام الله ومشيئته. لقد

خطّط الله برنامجه بحيث تسيطر على شهواتك بأمره وتغض النظـر عـن بعـض لذائذك ولابدّ أن يكون ذلك بـ أمر اللـه لا بـ أمرك، إذ أن طريـق زوال «الأنـا» هـو استلام الأوامر من الله سبحانه. «الحافز» الرئيس في هذا الطريـق الوحيـد هـو «لقاء الله»، ولا يحقّ لك أن تضع برنامجا في هذا الطريق، فإنك لو فعلـت ذلـك تتكبّر نفسك مرّة أخرى. ليس تكبّر النفس بشيء جيّد، إذ أن الله هو المتكبر ولا غير، فإنّك إن تكبّرت بمقدار ذرّة، لن تجد رائحة الجنة كما في الرواية. فقد قال رسول الله (ص): «يَا أَبَاذَرٍّ، مَنْ مَاتَ وَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ مِـنْ كِبْـرٍ، لَـمْ يَجِـدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ ذَلِك» [أمالي الطوسي/538] وكـذلك قـال الإمـام الصادق(ع): «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْر» الكافي/2/310]

- لابدّ أن يطاع الله بنفس برنامجه الذي حـدّده؛ لا البرنامـج الـذي نحـدّده نحن. فقد روي عن الإمام الصادق(ع) أن الله قـد قـال لإبليـس: «إِنَّمَـا أُرِيـدُ أَنْ أُعْبَدَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ لَا مِنْ حَيْـثُ تُرِيـدُ» [تفسـير القمـي/1/42] فقـد برمـج اللـه المقرّرات والمقدّرات وأعلن عن الضوابط المتمثلة بالأحكام الإلهية في الدين.

يقضي الله على أنانية الإنسان عبر التقادير والتكاليف

- علينا أن نجاهد هوى نفسنا لأن لا يبقى أثر من «الأنـا» وهـذا هـو معنـى العشق الذي ما أجمله وما أمتعـه ومـا أكـثر الـذين طبّلـوا وزمّـروا باسـمه ولـم يدركوا شيئا من حقيقته. لا ينبغي أن يبقى أثر من «الأنا» في مقابل المعشـوق،

وهذا هو الله الذي يسلب أنانية الإنسان عبر تقديراته وتكاليفه. إعطاء البرنامج من شؤون الله والأمر والنهي هما من صميم جهاد النفس. ومن شؤون العبد أن يكون منتظرا لاستلام الأمر متأهّبا لتنفيذه.

«جهاد النفس» يعني الالتزام بالأوامر الإلهيّة

- إذن «جهاد النفس» هو عبارة أخرى للالتزام بالأوامر الإلهية والذي يعبّر عنه القرآن بـ «التقوى». تأكيد القرآن على التقوى هو في الواقع تأكيد على الالتزام بالأوامر الإلهية. وركن التقوى هو جهاد النفس عبر الالتزام بأوامر الله لا العمل على أساس أميال النفس. فإنك إن جاهدت نفسك على أساس الأوامر الإلهية فقد عملت بالتقوى. كما قال أمير المؤمنين(ع): «إنَّما هي نَفسي أروضُها بِالتّقوى»[نهج البلاغة/ الكتاب 45] فإذا جاءك الأمر من المقام الأعلى فإنّه ذو أثر آخر، ولا يموت هوى نفس الإنسان إلا باستلام الأمر من المقام الأعلى.
- يبدو من وجوهكم وأعماركم أنكم لم تكونوا حاضرين في الجبهة. فكم كان لهذا الحديث من طلّاب وشرّاء في جبهات الجهاد. كان بعض المجاهدين عشّاقا للشهادة ومتحمّسين للذهاب إلى الخطّ الأمامي، أما إذا أمرهم القائد أن لا يذهبون إلى الأمام ويبقون في مكانهم، يطيعون ويمتثلون. كنّا نرى هذه الظاهرة في كتيبتنا. وأحيانا كنا نجد بعض المجاهدين الذين كلّ ما يأمره قائد

الكتيبة بالبقاء في الخلف، لا يمتثل ولا يطيع. وأكثر هؤلاء المتمرّدين لم ينالوا الشهادة بل قد انحرف بعضهم.

· كان أحد المجاهدين فنّانا يخطّ ويرسم لوحات ثقافية وشارات. فكان القسم الثقافي في الفيلق يطلب منه أن يبقى في الخلف ليخطّ اللوحات والشارات المطلوبة. فكان يبقى في الخلف دون أن يصرّ على الذهاب إلى الأمام، وكان يضحك ويقول: «متى ما حان الوقت يأتي صاحب البيت ويأخذنا إليه، ولا علينا سوى أن نعمل بالتكليف». في إحدى الحملات جاءوا إليه من الأمام وقالوا له: قد اشتبكت الطرق في الخط الأمامي، فأسرع إلى هناك لكتابة الشارات. فضحك وقال: ألم أقل لكم متى ما حان الوقت يأتون ويأخذوننا. وفعلا ذهب واستشهد في المرّة الأولى.

· أحد العلماء الكبار والمجتهدين، كان قد ذهب إلى الجبهة، فاغتبط به المجاهدون وطلبوا منه أن يأمّهم في الصلاة. ولكنّه امتنع وقال: أنا لا أتقدم على المجاهدين. فكل ما أصرّوا عليه وقالوا له: أنت شيخ كبير وعالم فقيه وفي هذا العمر قد جئت إلى الجبهة فمن أفضل منك الآن، رفض أن يتقدّم في الصلاة. إلى أن قال: في حال واحد أقبل وهو أن يأمرني قائد الكتيبة بإقامة الصلاة، فعند ذلك يجب عليّ امتثال أمره، إذ أن أمره في امتداد أمر قائد الفيلق

وقائد القوّات المسلّحة وبالتالي الإمام الحجة(عج)، فإذا أمرني، يجب عليّ الامتثال شرعا.

علاقة التقوى مع جهاد النفس في الروايات

- يقول أمير المؤمنين: «رأسُ التُّقى مخالِفَة الهَوى»[عيون الحكم/263] وكذلك قال(ع): «من جاهد نَفسه أكملَ التّقى»[غرر الحكم/ الحديث 4940] وقال(ع) في حديث آخر: «لَا يُفْسِدُ التَّقْوَى إِلَّا غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ»[غرر الحكم/ الحديث 6003] وكذلك قال(ع): «طُوبَى لِمَنْ عَصَى فِرْعَوْنَ هَوَاهُ وَ أَطَاعَ مُوسَى تَقْوَاه»[عيون الحكم/5493].
- لقد كتب أمير المؤمنين(ع) كتابا إلى معاوية فجاء فيه: «تـذْكُرُ التَّقْوَى وَ أَنْتَ عَلَى ضِدِّهَا؛ قَدِ اتَّبَعْتَ هَوَاكَ»[كنز الفوائد/ج 2/ص 43] وهذا ما يدلّ على تضادّ هوى النفس مع التقوى.
- وكذلك جاء في حديث طويل عن الإمام الرضا(ع): «لكنَّ الرَّجُل كلُّ الرَّجل، نِعمَ الرَّجل هو الذّى جَعَلَ هَواه تبعاً لِأمر الله» [مجموعة ورّام/ ج 2/ص 100]. فمن خلال هذه الروايات يمكن فهم الترابط الموجود بين الأمر الإلهي وبين التقوى وجهاد النفس.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

- أحيانا تقتضي التقوى أن تضحّي بأعزّ أعزّائك، وليس شأنك سوى أن تترقّب الأوامر فقط. فلا يكن هدفك أن تصبح إنسانا صالحا، فتفسد بهذا الطريق، بل يجب أن تنفّذ الأوامر. وأحيانا يقتضي امتثال الأمر الإلهي أن تغضّ الطرف عن كثير من القيم والأعمال الصالحة في سبيل أمر أهمّ وأسمى.
- أنتم تعلمون أيّها الإخوة أن أهل الإنسان وزوجته وأطفاله من أعزّ الناس عليه، كما أن لهم احترامهم وشأنهم ويجب على الإنسان أن يحافظ عليهم ويحميهم من الأخطار. ولذلك أشاروا على الحسين(ع) أن سلّمنا بأنك عازم على الجهاد ومواجهة الظالمين، ولكن لماذا تذهب بأهلك ونسائك وأخواتك وأطفالك وبناتك إلى الحرب. ولم يكن جواب الحسين(ع) إلا أن قال: لقد أمرني رسول الله(ص) بأمر أنا ماض له.
- نحن لو كنّا في زمن الإمام الحسين(ع) لعلّنا كنّا نقول له: إذهب جعلنا الله فداك وامض إلى امتثال أمر الله عسى أن تختم هذه القصّة بخير كما ختمت قصّة إبراهيم الخليل بخير ولم يسمح له الله بذبح ابنه. اذهب فلعلّ الملائكة تهبط وسط الطريق وتقول: لقد تقبّل الله جهادك وقد نجحت في هذا الامتحان فأرجع زينب، ولكن جاء يوم العاشر ومرّت الساعات ولم يأت خبر من السماء...

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

نحن مازلنا مضطرين إلى مخالفة بعض أميالنا

- لقد انتهى بحثنا في الجلسات السابقة إلى أننا مضطرون إلى مخالفة بعض أهوائنا، وأن هذا الاضطرار هو بسبب تركيبة وجود الإنسان وتركيبة الحياة في هذه الدنيا. وقد ذكر في ما يرتبط بتركيبة وجود الإنسان أن الطريق الوحيد لنماء قوى الإنسان الروحيّة وحتّى الجسميّة هو مخالفة بعض الأهواء والرغائب. و أمّا سبب ما تقتضيه تركيبة الحياة من مخالفة الأهواء فهي عوامل شتّى من قبيل استحالة وصول الإنسان إلى جميع آماله، وأن لابدّ للإنسان من هرم ومشيب إذا عمّر في الدنيا، وغيرها من العوامل التي تفرض على الإنسان أن يجاهد نفسه ويخالف بعض أهوائه.

يشكّل الإيمان الحافز اللازم لجهاد النفس/ التقوى هي برنامج لجهاد النفس

- الحافز اللازم لجهاد النفس هو الإيمان، وبرنامجه التقوى. إن دور الإيمان في هذه المعمعة هو أن يحدّد لك الهدف لتقدر على اجتياز هذه الساحة الخطرة بحافز قويّ وشوق بالغ. يعدك الإيمان بوجود عالم آخر أبدي خالد بعد هذه الدنيا، ويشرح لك سبب الآلام والمحن الموجودة في هذه الدنيا لكي تعرف

أنها كانت لصالحك، ولتعرف أن الذي جعلك في خضمّ هذه المحن والصعاب لـم يتركك سدى بلا برنامج وخارطة الطريق، فثق به واركن إليه.

· بعد مرحلة الإيمان، يأتي دور اجتياز ساحة الألغـام عـبر برنامـج التقـوى. فالإجابة عن كيفية جهاد النفس وما هي الرغبات التي يجب مخالفتهـا، وأسـلوب طيّ هذا الطريق هي تشكّل نقطة الانطلاق في حركة الإنسان الدينيّة.

العلاقة بين التقوى والعبودية

· بعد أن اقتنعنا بضـرورة الكـفّ عـن بعـض رغباتنـا، يطـرح هـذا السـؤال نفسه، وهو: عن أيّ رغباتنا يجب أن نكفّ؟ فلو سألنا الله سبحانه بهـذا السـؤال لأجابنا: عليكم أن تغضّوا عن رغباتكم حتى لا يبقى أثر من «الأنا» فـي داخلكـم. لذلك إن خالفت بعض أهوائك ولكنك بقيت محافظا على «أنانيتك» فقـد نقضـت الغرض ولا فائدة في مثل هذا الجهاد إلّا في الـدنيا. إنـك إن قمـت بتصـميم هـذا البرنامج بنفسك، ففي الواقع قد أبقيت «الأنا» على حالها، أو لعلّك كبّرتها إذ قد أعددت البرنامـج بهـا وقـد أطعتهـا فـي كيفيّـة مخالفـة الهـوى. نحـن إذا برمجنـا بأنفسنا لجهاد النفس، تنتفخ أنانيّتنا، فلا يبقى بدّ سـوى أن يبرمـج اللـه لنـا، وقـد تصدّى سبحانه لهذا الأمر عبر أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه وواجباته وعباداته.

· لقد أعطانا الله برنامجا أدار به عمليّـة جهـاد النفـس وكـأنه يقـول: «إذا أردت أن أدير حياتك وجهادك فلابدّ لك أن تكون لي عبدا ذليلا». والعبـد لا يملـك

شيئا لنفسه. إن ما أراد الله منّا هو أن نـترك اللـذات والرغبـات ولا نـزال كـذلك إلى أن لا يبقى شيء من أنانيّتنا ونلتذّ بعد ذلك بالعلاقة مع الله نفسه، وهـذا هـو معنى العبوديّة. ثم ليس هناك شراكة بيننا وبين الله بحيث يأمر الله تارة ونرتـأي نحن تارة أخرى. وكلّما أخفقنا في الطريق يجب أن نتـوب وسـوف يمهلنـا ربّنـا، فإن الله أرحم الراحمين وليس بشديد على المؤمنين. ولكن بعد ما أصبحنا عبادا للّه، فكلّما حدثت منّا مخالفة للأوامر الإلهيّة يجب أن نستغفر ونعترف بالذنب.

التقوى هو البرنامج الوحيد الذي يضمن القضاء على أنانيتك

- أنت بحاجة إلى برنامج يعينك على إزالة أنانيّتـك، لتصـبح بعـد ذلـك عبـدا ذليلا لله وتحظى بلذّة العبوديّة. ومن لوازم القضاء على هذه «الأنا»، هو العمــل ببرنامج لا دور لك فيه.
- ولذلك عندما كان يُسأل الشيخ بهجت(ره) عن برنامج للسـير والسـلوك أو يسأل عن كتاب مفيد في هذا المجـال، كـان يقـول: «حسـبكم هـذه الرسـالة العمليّة». يعني برنامـج طـي هـذا الطريـق والسـير والسـلوك هـو العمـل بهـذه الرسائل العمليّة. ولعلمكم كان المجاهدون في أيّام الـدفاع المقـدّس يعشـقون الرسائل العمليّة، إذ كانوا قد بلغوا درجة الاسـتعداد للتضـحية، فـأيقض اللـه فـي قلوبهم شوقَ عبادته فأصبحوا يوّدون أن يسـمعوا أوامـر اللـه ليمتثلوهـا، فكـانت الرسائل العملية دواء قلوبهم. حتى أن بعض المجاهدين كانوا قد حفظوا رسـالة

الإمام الخميني(ره) من قبيل «الشهيد أحمد نيكجو» الذي استشهد في عمليات كربلاء خمسة، فقد نقل عنه أنه كان قد حفظ رسالة الإمام.

إن برنامج جهاد النفس هذا، يرقّينا إلى درجة العبوديّة

- إذا أدرنا عمليّة جهاد النفس بأنفسنا، فلا فائدة فيها ولا تزال تسمّى «عبادة النفس» لا «عبادة الله»، ولا نفرق حينئذ عن أولئك الذين يتحمّلون الكبد والعناء ولكنّهم لا يتطوّرون. فإنْ تحمّل المعاناة أحد من الناس ولم يتنوّر قلبه فليعرف أن قد عانى وكابد بغير صواب، يعني أنه جاهد نفسه وعانى ما عانى ولكنّه لم يسيطر على هوى نفسه بعد. مضافا إلى أن المعاناة أمر لابدّ منه في هذه الدنيا، فإن لم يعان الإنسان في سبيل الله، فسوف يعاني لا محالة في سبيل نفسه.
- إن جهاد النفس يصيّرنا عبادا لله، إذ أن العبد الحقيقي، هو من كان على استعداد من امتثال أمر مولاه والتحرّك ضمن برنامج مولاه، كالعبيد حين يمتثلون أوامر أسيادهم.
- إن علاقتنا مع الله تختلف كثيرا عن علاقتنا مع شرطيّ المرور. إذ تهدف أوامر شرطي المرور إلى تنظيم السياقة والمرور في المدينة على أساس قوانين المرور، ولا دخل له بحديثنا داخل السيّارة مثلا. ولكن علاقتنا مع ربّ

العالمين ليست هكذا. إنه يصدر مجموعة من الأوامر، ثم ينظـر إلينـا فـردا فـردا ليرى هل بقى شيء من أنانيتنا أم لا، حتى إذا وجـد لهـا أثـرا يقضـي عليهـا عـبر الامتحانات ومحن الحياة. طبعا يفعل الله ذلك بمنتهى الرحمة والصـبر والصـفح، فإنه يرضى بالقليل من أعمالنا ويصفح عن كثير. فلابدّ أن نرى جميع صفات الله ولا نؤكّد على جانب منها فقط. فإنّ الله يحاول أن يقضي على هوى نفسـنا فـي هذه الدنيا ولكن بمنتهى الرأفة.

التقوى هي جهاد النفس ولكن بشرطين...

يجب علينا أن ندع بعض اللذات جانبا في سبيل أن نحظى بلـذة لقـاء اللـه ونذوق طعم هذا اللقاء. ينبغي لنـا بحكـم العقـل أن نتغاضـى عـن بعـض اللـذات طمعا باللذات الأفضل.

في مثل هذه الليالي يجب أن نتوب من ذنب غفلتنـا عـن أعظـم لـذّة فـي العالم. فقد جعل الله شهر رمضان في سبيل أن نشتغل به. فلا نجـد بـدّا سـوى أن نسلّم أنفسنا إلى الله ونقول له: ربّنا نظّم حياتنا بنفسك. فيقول الله بلسـان حاله: «نعم لابدّ من ذلك! وإلى من أكلك؟ فإلى أي أحد أكلك صرت عبـده ولـن تصل إليّ بعد. بينما يجب أن تكون عبدي وأن تفني نفسـك فـي سـبيلي، ويجـب أن تفقد نفسك لتنال لذّة لقائي. إذن فيجب أن أديـرك بنفسـي فأسـمّيك عبـدا.

فبعدما قبلت أن تكون لي عبـدا يجـب عليـك أن تمتثـل أوامـري. وليَكُـن شـأنك الوحيد هو اتباع أوامري وأحكامي بلا فرق بين التقديرية منها وبين التكليفيّة».

بعدما قبلنا أصل العنـاء والكبـد، لابـد أن نلتفـت إلـى «البرنامـج» ونسـعى للتحلّي بالرضا بالمصاعب في هذا الطريق. عندما يعطينـا اللـه سـبحانه وتعـالى برنامجه فـي جهـاد النفـس، لا يسـتخدم عبـارة جهـاد النفـس، بـل يتحـدث عـن «التقوى». التقوى هي ليست جهادا للنفس وحسب، بل هـي جهـاد للنفـس مـع خصيصتين: 1ـ تشتمل على صبغة إلهية فإنك وعبر لزوم التقوى لا تجاهد نفسك في سبيل الدنيا فقط، بل تجاهدها لتنال لقاء الله سبحانه. إذن التقوى هي جهاد النفس بعينه، ولكن في سـبيل اللـه. 2ـ التقـوى هـي جهـاد النفـس ولكـن عـبر البرنامج الإلهي.

لقد جعل الله عقبة في طريق عبادته

إذا استطاع الإنسان أن يدع رغباته امتثالا لأوامر الله وفـي سـبيل أن ينـال لقاء الله ويحظى بلذّة قربه، وراح يطبّق البرنامـج الإلهـي بحـذافيره حـتى صـار عبدا مطيعا، لا يدلّ ذلك على زوال أنانيّته، بل لا تزال نفسه قادرة على خـداعه. يعني حتى لو امتثلنا جميع أوامر الله سبحانه، قد تكون «نفـس» الإنسـان باقيـة على قوّتها.

إلهنا! لقد سلّمنا لك أنفسنا ورضينا بأن تكون أنت صاحب القرار في التكليف والتقدير ونحن راضون بذلك وقد أصبحنا عبادا لك، فأي مرض يبقى بعد هذا؟ هنا يجيبك الله قائلا: «يبدو أنك شعرت بالقرب مني ولعلك لم تشعر بالبون الشاسع بيني وبينك وهذا ما يدلّ على بقاء أنانيّتك بعد».

ففي سبيل فرز أولي النفوس المتكبّرة من غيرهم، قد جعل الله عقبة في طريق عبادته وهي قبول «الولاية». فإن كان لابدّ لنا من تلقّي أوامر الله، فالنبيّ هو الذي يبلغنا أمره. فمن أراد أن يستلم أوامر الله مباشرة بدون واسطة النبي، فهو متكبّر. هذا هو قانون الله وهذه هي شريعته. فبمقتضاها لا تكفي إطاعة الله وحسب وإنك لم تكن قاضيا على أنانيتك وهوى نفسك بمجــرّد إطاعة أوامر الله، بل يجب أن تمتثل أوامر الإنسان الذي أمر الله بطاعته. وإطاعة من أمر الله بطاعته هي ما نسمّيها بالولاية بمعناها الخاصّ.

الولاية هي المرحلة القصوى الدالة على طهارة الإنسان. الولاية هي تلك المرحلة التي عجز إبليس عن اجتيازها واتضح بعد ستة آلاف سنة أنه كافر كذاب ولم تزل أنانيّته مستفحلة في ذاته.

الولاية هي المحك الأخير لاختبار زوال أنانية الإنسان

تَرَدَّد على بيوت أهل البيت(ع) ولا سيما أمير المؤمنين(ع) وافحص قلبك وانظر هل تشعر بالتواضع الكبير تجاه عظمة أمير المؤمنين(ع) أم لا؟ إنك لم

تكن قادرا على رفض عبوديتك للّه، ولكن هل تعتقد بأفضليّة أميـر المـؤمنين(ع) عليك أو أنك تحسده؟! وعندما تقف بين يدي أمير المـؤمنين(ع) هـل تخشـع لـه وتتهافت أم يبقى لك شيء من الكبر والاستعلاء؟ إن كنت عبدا لله تقل: «إلهي! دلّني على أحبائـك وأعزائـك لأكـون خادمـا لهـم». وهـذا هـو الفـارق بيـن العبـد الحقيقي والعبد المزيّف. وهذا هو الفارق بين المسلم والمؤمن.

الهدف الذي قدّره الله لنا في هذه الدنيا هـو أن نقضـي علـى أنانيّتنـا عـبر أوامـره ونـواهيه ونسـتعين علـى ذلـك بـالتقوى. ولابـدّ أن نخضـع لـذلك لنتّسـم بالعبوديّة ونتّصف بالتقوى. ولكن في سبيل أن يتضح الأمـر حقيقـة وأن هـل قـد زالت أنانيّتنا حقّا أم لا، لابدّ أن نخضـع لامتحـان الولايـة. يجـب أن لا يثقـل عليـك امتثال أمر من أوجـب اللـه طـاعته. لقـد قـال اللـه سـبحانه وتعـالى للنـبي فـي القرآن: (فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَـجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُـمَّ لا يَجِـدُوا فـى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْليماً)[النساء/65]

لماذا يغفر الله لأهل الولاية؟

إذا نجح امرء في امتحان الولاية، فقد أحرز عبوديّته. فـإنه إن عـثر بزلّـة أو ذنب يغفر الله له بسهولة. بينما إذا كان الإنسان قد عبد الله سنين طويلة وقـام بأعمال حسنة كثيرة، ولكن لم يطو عقبة الولاية بنجاح فهو مريض، وحـتى بـاقي أعماله الصالحة فهي خداع وقد قام بها لإسكات ضميره لا طاعةً لأمر مولاه. إنّ

مثل هذا الإنسان في الواقع عابد لنفسه غاصٌّ في خيالاته وأوهامه. النزاع الرئيس في العالم قائم بين عبادة الله وعبادة النفس، وأقصى مراحل عبادة الله هي أن لا تمتثل أوامر الله وحسب، بل تخضع للولي الذي يؤمّره عليك وتمتثل أوامره.

أحد أفضل عباد الله في زمن النبي(ص) سلمان الفارسي. فقد سئل الإمام الصادق(ع) عن سبب ما كان يكثر من ذكر سلمان الفارسي ومدحه، إذ قال له الراوي: «مَا أَكْثَرَ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي ذِكْرَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِ! فَقَالَ: لَا تَقُلِ الْفَارِسِيَّ، وَ لَكِنْ قُلْ سَلْمَانَ الْمُحَمَّدِيَّ، أَ تَدْرِى مَا كَثْرَةُ ذِكْرِي لَهُ قُلْتُ: لَا. قَالَ: لِثَلَاثِ خِلَالٍ: أَحَدُهَا: إِيثَارُهُ هَوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى هَوَى نَفْسِهِ، وَ الثَّانِيَةُ: حُبُّهُ لِلْفُقَرَاءِ وَ اخْتِيَارُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَ الْعَدَدِ، وَ الثَّالِثَةُ: حُبُّهُ لِلْعِلْمِ وَ الْعُلَمَاءِ. إِنَّ سَلْمَانَ كَانَ عَبْداً صَالِحاً حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». [أمالي الشيخ الطوسي/ ص 133]

لعل ولاية الفقيه أيضا محل امتحان هوى نفس الإنسان

إن موضوع هوى النفس قد جرّنا من العبودية والتقوى إلى الولاية. فهل قد بقي شيء من هوى النفس بعد أم لا؟ كم لولاية الفقيه من علاقة مع ولاية علي بن أبي طالب(ع)؟ لعلّ ولاية الفقيه أيضا هي محل امتحان هوى نفس الإنسان. قد يسأل سائل وهل الولي الفقيه معصوم؟! فأقول له: وهل كان

سلمان الفارسي معصوما؟! فإنك إن لم تتولّ سلمان الفارسي فقد خرجت من ولاية أهل البيت(ع). يقول الإمام الباقر(ع): «الْوَلَايَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُغَيِّرُوا وَ لَمْ يُبَدِّلُوا بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ص وَاجِبَةً مِثْلِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَ أَبِی ذَرٍّ الْغِفَارِیِّ وَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِیِّ وَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِیِّ وَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَ أَبِی الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهَانِ وَ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَ أَبِی أَيُّوبَ الْأَنْصَارِیِّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ وَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ ذِی الشَّهَادَتَيْنِ وَ أبو [أَبِی] سَعِيدٍ الْخُدْرِیِّ وَ مَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ وَ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ» [خصال الصدوق/ 2/607] فإذا قال قائل، أنا خادم المعصومين الأربعة عشر فقط، وأتواضع لهم فقط، فنقول له: إنك إن لم تتواضع لخدمة أهل البيت(ع) وتتجاسر على أحد خدّامهم تخرج من ولاية أهل البيت(ع). فيجب عليك أن تتواضع لهم جميعا.

كان بإمكان الله أن يعطينا برنامج جهاد النفس مباشرة، أو يخاطبنا بالآيات القرآنية ليكون شأن النبي(ص) إيصال أوامر الله إلى الناس، ولكن أحيانا كان يخاطب النبي ويأمره بإبلاغ الناس فلم يتحدث مع الناس مباشرة. ومن جملة أهمّ مصاديق هذه الحالات هي واقعة الغدير؛ (أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك). وكلّما دعا الله في القرآن إلى طاعته، أمر بإطاعة الرسول كذلك. مثل قوله تعالى: (أَطيعُوا اللَّهَ وَ أَطيعُوا الرَّسُول) أو ما نقله عن معظم أنبيائه الذين

ذكر قصتهم في القرآن إذ قالوا لأقوامهم: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطيعُونِ). ولعلّ الله قد تحدّث عن طاعته بلا أن يذكر طاعة الرسول في آية واحدة فقط.

يقول أمير المؤمنين(ع): «وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ إِذَا اتَّقَيْتُمُ اللَّهَ وَ حَفِظْتُمْ نَبِيَّكُمْ فِى أَهْلِهِ فَقَدْ عَبَدْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ عِبَادَتِهِ وَ ذَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا ذُكِرَ وَ شَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا شُكِرَ»[تحف العقول/ص 178]

كلّ من كان في قلبه حقد لوليّ الله، تسنّى له أن يجسّده في كربلاء

ما حدث في كربلاء؟ أما في مخيّم الأولياء، فكان قد جاء الإمام الحسين(ع) متيّما بحبّ الله قائلا: «تركت الخلق طرّا في هواكا/ وأيتمت العيال لكي أراكا/ فإن قطّعتني في الحبّ إربا/ لما مال الفؤاد إلى سواكا». وأما من كان في مخيّم الأشقياء؟ لقد شاء الله أن يَحدُث أمران في كربلاء: 1ـ أن يجسّد العشّاق عشقهم 2ـ أن تتاح الفرصة لكل من كان في قلبه كبر تجاه ولي الله أن يظهر ويجسّد رذالته وقذارته. وفي كربلاء نحن نستطيع أن نرى مدى رذالة أولئك القوم الذين تكبّروا على الولاية. وكلّ من كان في قلبه حقد على ولي الله أتيحت له الفرصة أن يجسّدها في كربلاء...

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

قد خلقنا في سبيل إنتاج القيمة المضافة عبر اجتياز بعض الموانع/ يتحقق «جهاد النفس» بالعبور عن النزعات الرخيصة

لقد انتهى حديثنا في هوى النفس إلى أنّنا قد خلقنا في سبيل إنتاج القيمة المضافة، وهناك موانع في هذا الطريق وهي النزعات التافهة والرخيصة التي تشكّل حجر عثرة في طريقنا هذا، فباجتيازها والكفّ عنها ينفتح الطريق علينا نحو الرقيّ والكمال. تنطلق الحياة من الاحتياجات القليلة والنازلة بطبيعة الحال، بعد ذلك ومن خلال المرور من هذه الأميال والنزعات غير السامية، يخوض الإنسان شيئا فشيئا في معمعة جهاد النفس. إن جهاد النفس تشكّل حركتنا الرئيسة التي لا تنفكّ عنّا في هذه الدنيا مدى الحياة. وحتّى أولياء الله معنيّون بجهاد النفس أيضا.

جهاد النفس هو في الواقع مواجهة «الأنا» التي هي في مقابل «المعبود»

لا ينفكّ طريق جهاد النفس عن العناء، فلابدّ أن نحلّ قضية العناء لأنفسنا بادئ ذي بدء. إن من لوازم جهاد النفس هي أن يتصدّى الله سبحانه لبرمجة عمليّات جهاد النفس. وقدّ أعدّ الله هذا البرنامج فعلا على مستوى التكليف والتقدير. في سبيل أن تكون قد جاهدت أنانيّتك، لابدّ أن يكون الله قد أعطاك

البرنامج، ولذلك فإن جهاد النفس في الواقع هو مواجهة «الأنا» التي في مقابل «المعبود». لقد خلق الإنسان من أجل لقاء ربّ العالمين، ولا معنى للارتقاء بغير الاتصال بالمعبود. فمن أجل نيل هذا اللقاء لابدّ لك من اجتياز الأنا وأهواء النفس.

إن أنواع الطاعات وشتّى العبادات هي من أجل تضعيف «الأنا». فإن كانت العبادة للأنا غير جائزه، كذلك أصل التديّن يجب أن يكون من أجل الله وفي سبيل تضعيف النفس والأنا. فإن كان التديّن لغير الله وكان من أجل توفير حفنة من الجاه فهو رياء.

في سبيل الارتقاء، لابدّ أن نعمل على خلاف الأهواء

من أجل السير نحو الرقيّ والكمال، لابدّ لنا من العمل على خلاف الأهواء. ومعنى الكمال هنا هو الاستعداد الأكثر والأفضل للقاء الله سبحانه. ففي سبيل لقاء الله، لا يكفينا ترك المشتهيات فحسب، بل لابدّ من ترك الأنا أيضا. أمّا برنامج هذا الطريق فهو التقوى، والحافز لطيّ الطريق هو الإيمان بلقاء الله عز وجل.

لقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: **(وَاسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ)**[البقرة/45]. الصبر هو نموذج ممتاز لردّ فعلنا تجاه المشاكل التقديرية، وأمّا الصلاة فتمثّل نموذجا بارزا لتقبّل التكليف وامتثال الأوامر. ثم

قال سبحانه في تكملة الآية: **(وَ إِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعينَ)**[المصدر نفسه]. أمّا من هم الخاشعون؟ لقد أجاب الله عن هذا السؤال في الآية التالية: **(الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنهَّم مُّلَاقُواْ رَبهِّمْ وَ أَنهَّمْ إِلَيْهِ رَاجِعُون)**[البقرة/ 46].

يبلّغ الله أوامره عن طريق خليفة الله

لا يكفي الإيمان والتقوى وحدهما، إذ حتى مع وجودهما لا تزال «الأنا» قائمة على حالها. فقد ركّب الله وجود الإنسان من أبعاد معقّدة جدّا وليس الصبر والصلاة يكفيان للبتّ في أنّ الإنسان الصابر والمصلّي قد واجه نفسه حقيقة. فمن أجل أن يتّضح كم أنك قد سحقت نفسك، يبلّغ الله أوامره عن طريق خليفته. فهذا الذي لم يتغلّب على نفسه بعد، سوف يحقد على وليّ الله.

من أبرز مصاديق الحقد على ولي الله، هو ما حدث في عيد الغدير، إذ اعترض الحارث بن النعمان الفهري على رسول الله(ص) بعد أن بلّغ ولاية أمير المؤمنين(ع)؛ «**لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص خَطِيباً فَأَوْجَزَ فِى خُطْبَتِهِ ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع فَأَخَذَ بِضَبْعِهِ ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رُئِىَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِمَا ... فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثَ بْنَ النُّعْمَانِ الْفِهْرِيَّ فَرَحَلَ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهَا وَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذْ ذَاكَ بِمَكَّةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَبْطَحِ فَأَنَاخَ نَاقَتَهُ ثُمَّ عَقَلَهَا ثُمَّ جَاءَ إِلَى**

النَّبِيِّ [ص]... وَ إِنَّهُ لَمُغْضَبٌ وَ إِنَّهُ لَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا قَالَ مُحَمَّدٌ حَقّاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ نَقِمَةً فِي أَوَّلِنَا وَ آيَةً فِی آخِرِنَا ... فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْأَبْطَحِ رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ مِنَ السَّمَاءِ فَسَقَطَ عَلَى رَأْسِهِ وَ خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ وَ سَقَطَ مَيِّتاً فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ»[تفسير الفرات/ص 504]

إذن لا يَصلُح الإنسان بالصوم والصلاة فقط، بل لابد أن يطهُر قلبه من لوث الحسد والكبر على أمير المؤمنين(ع). فأولئك الذين أسلموا ولكن أبت قلوبهم حبّ أمير المؤمنين(ع)، فإنهم في الواقع لم يتركوا أنانيّتهم.

تنتهي أقصى مراحل العرفان إلى الولاية

إن موضوع الولاية موضوع عرفاني للغاية. إذ تنتهي أقصى مراحل العرفان إلى الولاية. ومعنى الفناء في الله هو هذه العبارة التي نقرأها في زيارة الجامعة: «**بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي وَ مَالِي وَ وُلْدِي**»[تهذيب الأحكام/ج 6/ص 61]

يقول الإمام محمّد الباقر(ع): «**تَمَامُ الْحَجِ لِقَاءُ الْإِمَام**»[الكافي/ج 4/ص 549] و «**إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هذِهِ الْأَحْجَارَ، فَيَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ يَأْتُونَا، فَيُخْبِرُونَا بِوَلَايَتِهِمْ، وَ يَعْرِضُوا عَلَيْنَا نَصْرَهُمْ وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى ثُمَّ أَوْمَأَ**

بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ إِلَى وَلَايَتِنَا» [كـافى/ج 4/ص 549] وعَـنْ أَبِـى جَعْفَـرٍ ع **فِى قَوْلِ اللَّهِ يَحْكِي قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ (رَبَّنا إِنِّـي أَسْـكَنْتُ مِـنْ ذُرِّيَّتي بِـوادٍ غَيْـرِ ذى زَرْعٍ عِنْـدَ بَيْتِـكَ الْمُحَـرَّمِ رَبَّنـا لِيُقيمُـوا الصَّـلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَـراتِ لَعَلَّهُـمْ يَشْكُرُونَ) فَقَالَ ع: «مَا قَالَ إِلَيْـهِ يَعْنِـي الْبَيْـتَ مَـا قَـالَ إِلَّا إِلَيْهِـمْ أَ فَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ إِتْيَانَ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَ التَّمَسُّـحَ بِهَـا وَ لَـمْ يَفْرُضْ عَلَيْكُمْ إِتْيَانَنَا وَ سُؤَالَنَا وَ حُبَّنَـا أَهْـلَ الْبَيْـتِ وَ اللَّـهِ مَـا فَـرَضَ عَلَيْكُمْ غَيْرَهُ»** [تفسير فرات/224]

الولاية هي شرط قبول الأعمال

الصلاة التي هي شرط قبول الأعمال، لا تقبل بدون الولايـة؛ قَـالَ الصَّـادِقُ ع **«إِنَ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْـدُ إِذَا وَقَـفَ بَيْـنَ يَـدَيِ اللَّـهِ جَـلَّ جَلَالُـهُ الصَّـلَوَاتُ الْمَفْرُوضَـاتِ وَ عَـنِ الزَّكَـاةِ الْمَفْرُوضَـةِ وَ عَـنِ الصِّـيَامِ الْمَفْرُوضِ وَ عَنِ الْحَجِّ الْمَفْرُوضِ وَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْـتِ فَـإِنْ أَقَـرَّ بِوَلَايَتِنَا ثُمَّ مَاتَ عَلَيْهَا قُبِلَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ وَ صَوْمُهُ وَ زَكَاتُهُ وَ حَجُّهُ وَ إِنْ لَمْ يُقِرَّ بِوَلَايَتِنَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَـلَّ مِنْـهُ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ»** [أمالي الشيخ الصدوق/256]

وقال الإمام الباقر(ع) في روايـة أخـرى: «**بُنِيَ الْإِسْـلَامُ عَلَـى خَمْـسٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ وَ الْوَلَايَةِ وَ لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ**»[الكافي/ج 2/ص 18]

ما الفائدة في صلاتك وعبادتـك إن كنـت قـد حـافظت علـى أنانيتـك؟ لقـد خلّف إبليس تاريخا زاهرا في الصلاة والعبادة المقبولـة ولمـدّة سـتة آلاف سـنة. حتى وصل به الأمر أن يكلّم الله ويكلّمه الله، ولكن بعد ما أبى أن يسـجد لـوليّ الله، أنكر الله إيمانه وقال: **(أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِين)** [البقـرة/ 34]. لماذا يا إلهنا قد أنكرت إيمان إبليس من الأساس؟ ولماذا لم تقل: «وكـان ضعيف الإيمان»، بل قلت: **(وَ كانَ مِنَ الْكافِرِين)**؟!

من لم يتولّ ولي الله فليس بمؤمن

لقـد صـرّح القـرآن بهـذه الحقيقـة فـي سـورة النسـاء إذ قـال اللـه سبحانه: **(فلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُـمْ ثُـمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْليماً)** [النسـاء/65]. إن جهاد النفس من أجل سحق أنانيتك، أمّـا إنـك إن أبقيـت أنانيتـك علـى قوّتهـا وضخامتها فسوف تقع في مشكلة مع الولاية.

قال الإمام الرضا(ع) في رواية سلسلة الذهب المعروفة: «**حَـدَّثَنِي أَبِـي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عن ... عن الحسن بن علي قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَلِـيُّ**

بْنُ أَبِی طَالِبٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَى: «بِشُرُوطِهَا وَ أَنَا مِنْ شُرُوطِهَا»[عيون أخبار الرضا ع/ج 2/ص 135]

نكران الذات وسحق «الأنا» في مقابل الله مرهون بالخضوع لولاية ولي الله

لقد خرجنا بهذه النتيجة بعد أن طوينا مقدمات عديدة وهي أن الإنسان وفي سبيل أن يلقى الله عز وجل، لابدّ أن يخالف نفسه ويجتاز أنانيته. إن اجتياز الأهواء والرغبات يشكّل المرحلة الأولى للاستعداد للقاء الله، ولكن أهمّ خطوة هي الإقلاع عن «الأنا» أمام الله سبحانه، وليس المقصود من الإقلاع عن الأنا هو أن تطيع الله وتمتثل أوامره، بل المقصود هو أن تمتثل أوامر خليفة الله ووليّه.

طبعا قد يتجسّد الخضوع للولاية في مصاديق أخرى. مثل ما إذا كنت مشغولا في تعقيبات الصلاة، وفي هذه الأثناء دعاك أحد والديك لأمر ما، هنا يقتضي جهاد النفس أن تترك التعقيبات وتلبي له؛ يعني يجب الخضوع لولاية الأب بقدرها ونطاقها ولابدّ أن نقدّمها على المستحبّات. هذا هو سرّ عمل أويس القرني، فإنه فرّط في لقاء النبي الأعظم(ص) امتثالا لأمر والدته.

امتحان الولاية امتحان مهمّ وحاسم على المتديّنين

بعد أن انخرط أحد من الناس في سلك المتدينين، يمتحنه الله ليفحص مدى كبره على ولي الله. وعندما يسقط المتدينون في الامتحان، يصبحون ألدّ الخصام للولاية. فعلى سبيل المثل انظروا إلى قاتل أمير المؤمنين(ع). إن استشهاد أمير المؤمنين(ع) باعتبار الشخص الذي باشر بجريمة قتله، لا يقلّ أهمية عن ميلاده(ع) في الكعبة. لم يكن «ابن ملجم» إنسانا بلا دين ولا إيمان، بل كان من طبقة المتديّنين. ولكنّه كان قد أضمر في قلبه شيئا تجاه الولاية بلا أن يعالجه.

كان ابن ملجم ممن اختاره أهل اليمن من زمرة خِيارهم وأرسلوه إلى أمير المؤمنين(ع). بعد أن أرسل أمير المؤمنين(ع) كتابا إلى والي اليمن أن أرسل إليّ عشرة من خيار أهل اليمن، قام أهل اليمن بفرز مئة رجل من خيارهم، ثم فرزوا منهم سبعين رجلا، ثم فرزوا من السبعين ثلاثين، وفي النهاية اختاروا منهم عشرة وأرسلوهم إلى أمير المؤمنين(ع)... «**فَلَمَّا أَتَوْهُ ع سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَ هَنَّئُوهُ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَ رَحَّبَ بِهِمْ فَتَقَدَّمَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَ الْبَدْرُ التَّمَامُ...فَاسْتَحْسَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع كَلَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْوَفْدِ فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ يَا غُلَامُ قَالَ اسْمِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ ابْنُ**

مَنْ قَالَ ابْنُ مُلْجَمٍ الْمُرَادِيِّ قَالَ لَهُ أَ مُرَادِيٌ أَنْتَ قَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» [بحار الأنوار/ ج 42/ص 260].

أحد طرق سحق الأنا هو ذكر مصيبة سيد الشهداء والبراءة من أعداء أهل البيت(ع)

أحد طرق سحق الأنا هو ذكر مصيبة سيد الشهداء(ع) والبراءة من أعداء أهل البيت(ع). إن مصائب أهل البيت(ع) وسيد الشهداء(ع) من شأنها أن تؤسّر نفس الإنسان ولها أثر مباشر على تضعيف أنانيّته. فإن لم يتعالج الإنسان في مجالس عزاء الحسين(ع) وفي حفرة مقتل سيد الشهداء، فلا يبحث عن مكان آخر. وإن لم يجث على ركبتيه عند استماع مصائب أهل البيت(ع)، فهو ليس بجاث لأوامرهم وفضائلهم وعدلهم.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

إن أوامر الله تفضّل منه علينا/ لو لم يأمرنا الله لحرنا في أمرنا

النقطة المقابلة لعبادة الله هي عبادة الهوى. أمّا الذي أبى أن يخضع لأوامر الله فبإمكاننا أن نجسّد مدى قبح عمله المتمثل بعبادة الهوى بطريق آخر. بإمكاننا أن نقول: إن الله قد تفضل علينا حين ما أصدر أوامره إلينا. فلو لم يأمرنا الله لتهنا في حيرة عمياء. لقد علم الله أنّنا عاجزون عن تصميم برنامج يزيدنا قيمة، ولكن عبر امتثال الأمر الذي جاء من الأعلى يتسنّى لنا

الارتقاء والازدياد قيمةً. ولذلك فإنّ اللّه قد تفضّل علينا وأمرنا لكي ينفتح أمامنا طريق التكامل ونصبح أناسا أولي قيمة.

العصيان هو إساءة لله الذي تفضّل علينا وكأنه قد تنازل عن مقامه الرفيع فأمرنا

لعلّ الله قد تنازل حين أَمَرَنا، إذ كان يعلم أن كثيرا من عباده سوف يعصونه إذا أمرهم ولا يكترثون بأحكامه، ولكن مع ذلك أمرنا تفضّلا ولطفا منه.

وهناك بعض الشواهد في القرآن قد تشير إلى هذه الحقيقة. فعلى سبيل المثال عندما ينظر الله إلى شأنه وعظمته، ينهى النبي الأكرم(ص) عن إنذار بعض الكفّار والمشركين الذين لا يستحقّون الإنذار. فقال لهم: (إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)[البقرة/6] وكذلك قال: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُون)[الحجر/3]

لماذا العصيان وعدم امتثال أمر الله قبيح إلى هذا الحدّ؟ لأنه إساءة إلى الله الذي تنازل عن مقامه الرفيع الأعلى إذ خاطبك وأمرك. فبالرغم من أن الله تنازل وتفضّل علينا وأمرنا، وإذا بالعبد الضعيف الحقير الذي لا يحسب بشيء في مقابل الله عز وجل، يتكبّر على الله ويتمرّد عليه!!! فإنها لإساءة حقّا إلى الله وعمل قبيح جدّا.

التوبة الحقيقيّة لمن يرى أوامر الله إليه محبّة من الله

لا يمكن التوبة إلى الله من أعماق قلوبنا، إلّا بعد أن رأينا أوامر اللـه لطفـا وتفضّلا من الله إلينا. عند ذلك ندرك أن كل أمر تركناه من أوامر الله، فإنه فـي الواقع إهمال وعدم اكتراث بمحبّة الله ولطفه على عبده.

إن التوبة الحقيقيّة خاصة بهؤلاء. وأمّا التوبـة الأقـل درجـة مـن هـذه فهـي لأولئـك الـذين يتصـوّرون عـذاب جهنّـم. والدرجـة الـتي بعـدها فلأولئـك الـذين يتصوّرون القبر، أي لمن يجسّد في ذهنه لحظة نـزع الـروح والنـزول فـي القـبر فيقول: كل الأعمال السيئة التي ارتكبتها لا تسوى ذاك العذاب. والمرحلة الأنزل هي لمن يدرك ليلة القـدر، فيقـول: إذا أراد اللـه أن يقـدّر مسـتقبلي فـي العـام القادم على أساس ما أسلفته في الأعوام الماضية فويل لي.

ولكن من أروع أنواع التوبة هي أن تقارن بين إطاعة الله، وإطاعة النفس، ثم تشعر بمدى قبح إطاعة النفس، فيضيق صدرك حسرة لما تركت مـن أوامـر الله جفاءً ثم أطعت نفسك.

إذا أردت أن تعيش حالة التوبة، فانظر من عصيت ومن أطعت

إذا أردت أن تعيش حالة التوبة، فلابدّ لك أن ترى من عصيت، ومن أطعـت في مقابله. إنك قد تركت الله وأطعت نفسـك! (أَفَرَأَيْـتَ مَـنِ اتَّخَـذَ إِلهَ هُ هَـواه)

[الجاثية/23]. إن بعض الناس قد اتخذوا أنفسهم آلهة ولا يزالون يسـجدون لهـا. هذا الإنسان الذي يكتئب ويحزن على ما أساء في اختياره ويلوم نفسه أن لمـاذا ترك عبادة الله وعبد نفسه بدلا عـن اللـه، يسـتطيع أن يتـوب توبـة حقيقيـة. إن عبادة النفس عمل قبيح جدّا، ولابدّ أن نعي قبحها مقابل جمال عبادة الله.

يا ليتنا لا ننفك عن اجتناب الذنب حتى نعي هذه الحقيقـة ونعيـش جمالهـا. إن إدراك جمال الإيمان وإطاعـة اللـه وكـذلك فهـم قبـح معصـية أمـر اللـه أمـر ممكن. فقد قال الله سبحانه وتعالى: (وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإيمانَ وَ زَيَّنَهُ فى قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيان)[الحجرات/7] نحن غير مبتليـن بالكفر والفسوق بحمد الله، ولكن يجب أن نسعى لكره العصيان أيضا.

إن ولـي الله واسطة بينك وبين ربّ العالمين، لتقدر على التغلّب علـى هـوى النفـس وتـذوق حلاوة لقاء الله

أحـد الطـرق الـتي يعيننـا علـى إدراك هـذا المفهـوم، هـو الاسـتعانة بأهـل البيت(ع). فكما مرّ في موضوع هوى النفس، في سـبيل أن تقضـي علـى هـوى النفس بأمر الله، لابدّ أن يتوسّط وليّ اللـه فـي إبلاغ أوامـر اللـه. إن ولـي اللـه واسطة بينك وبين ربّ العالمين، لتقوى على غلبة هوى النفس وأن تـذوق حلاوة لقاء الله.

إذا كان إهمال أمر الله إلى هذا الحدّ من القبح، فكذلك من القبح بمكان أن أضع كلام أمير المؤمنين(ع) على جانب، ثم أطيع نفسي. لقد كان القرار أن أرتقي وأسير نحو الكمال بأمر المولى، فما تقصير مولاي في هذا البين حتى أسيئ إليه وأتجاهل شأنه وحرمته؟ لذلك فإنك إن تستغفر ربك، لم يرض عليك ربك ما لم يرض عليك إمام زمانك، وكذلك الحال في باقي الأشخاص الذين لهم ولاية عليك. فإنك إن كنت قد آذيت والديك وكسرت قلبهما، كيف تقدر على كسب رضا الله سبحانه؟ والأهم من أمّك وأبيك إمام زمانك(عج).

الذي يكتفي بمناجاة الله ولا علاقة له بوليّ الله، فإنه قد أخطأ طريق التوبة

نقول في زيارة الجامعة الكبيرة: «يَا وَلِيَّ اللَّه إِنَّ بَيْنِي وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ»[من لا يحضره الفقيه/ج 2/ص 616]. إن هذا، هو الشعور الذي يجب أن يخامر قلب الشيعي. أمّا هذا الذي قد سار في طريق عبادة الله، بيد أنه قد اكتفى بمناجاة الله ولا علاقة له بوليّ الله، فقد أخطأ طريق التوبة ولم يحظ برؤية صائبة. إنه لا يريد أن يستعين بإمام الزمان(عج) ليغفر له الله، في حين أنه قد عصى إمام زمانه(عج) بمعصيته وذنوبه.

· قَالَ أمير المؤمنين(ع): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: أَ لَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْيَسِ الْكَيِّسِينَ وَ أَحْمَقِ الْحَمْقَى قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَكْيَسُ الْكَيِّسِينَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَ عَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ إِنَّ أَحْمَقَ الْحَمْقَى مَنِ اتَّبَعَ نَفْسُهُ

هَوَاهَا، وَ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَمَانِيَّ. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ كَيْفَ يُحَاسِبُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ ثُمَّ أَمْسَى رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ- فَقَالَ: يَا نَفْسِ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَضَى عَلَيْكِ لَا يَعُودُ إِلَيْكِ أَبَداً، وَ اللَّهُ تَعَالَى يَسْأَلُكِ عَنْهُ فِيمَا أَفْنَيْتِيهِ- فَمَا الَّذِي عَمِلْتِ فِيهِ أَ ذَكَرْتِ اللَّهَ أَمْ حَمِدْتِيهِ أَ قَضَيْتِ حَوَائِجَ مُؤْمِنٍ أَ نَفَّسْتِ عَنْهُ كُرْبَةً أَ حَفِظْتِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ فِي أَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ أَ حَفِظْتِيهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي مُخَلَّفِيهِ أَ كَفَفْتِ عَنْ غِيبَةِ أَخٍ مُؤْمِنٍ بِفَضْلِ جَاهِكِ أَ أَعَنْتِ مُسْلِماً مَا الَّذِي صَنَعْتِ فِيهِ فَيَذْكُرُ مَا كَانَ مِنْهُ. فَإِنْ ذَكَرَ أَنَّهُ جَرَى مِنْهُ خَيْرٌ، حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَ كَبَّرَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَ إِنْ ذَكَرَ مَعْصِيَةً أَوْ تَقْصِيراً، اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَ عَزَمَ عَلَى تَرْكِ مُعَاوَدَتِهِ، وَ مَحَا ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِتَجْدِيدِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَ عَرَضَ بَيْعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ع عَلَى نَفْسِهِ، وَ قَبُولَهُ لَهَا، وَ إِعَادَةَ لَعْنِ أَعْدَائِهِ وَ شَانِئِيهِ وَ دَافِعِيهِ عَنْ حَقِّهِ. فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: لَسْتُ أُنَاقِشُكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ- مَعَ مُوَالاتِكَ أَوْلِيَائِي، وَ مُعَادَاتِكَ أَعْدَائِي. [التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري/ ص 38]

فيا ترى ماذا يريد الله أن يقول لنا عن أمير المؤمنين(ع) في ليلة القدر هذه؟ لعلّه يريد أن يقول أحبّوا مولاكم أمير المؤمنين(ع) وجدّدوا له البيعة...

صلى الله عليك يا أمير المؤمنين

لتصديق بخلود بعض الناس في عذاب جهنّم أمر عصيب/ فلنؤمن برذالة الأعداء

من العقائد المهمّة جدّا، هي التصديق والإيمان بنار جهنّـم. فـإن بعـض النـاس لا يكاد أن يستطيع التصديق بالعذاب العسير الإلهي. إن التصديق بـالخلود فـي نـار جهنم وما فيها من عذاب عسير أبديّ أمر غير هيّن. إذ يتساءل الناس يا ترى كم قد تمادى هذا الإنسان في الرذالة والشقاء حتى استحق الخلود فـي نـار جهنّـم؟ يجب علينا أن نصدّق بأن بعض الناس قد بلغوا الذروة في الرذالة والشقاء ومـن شأنهم أن يمكثوا في العذاب إلى أبد الآبدين. لقد قال الله سبحانه وتعـالى فـي حقّ بعض الأشقياء: (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُـونَ» [المنـافقون/ 4].

لابـدّ للمتـديّنين والصـالحين أن يصـدّقوا بإمكـان وصـول بعـض النـاس إلـى هـذا المستوى من الرذالة والشقاء. إن بعض المتديّنين الـذين لـم يتـبرأوا مـن أعـداء أهل البيت(ع)، قد يكون بسبب أنهم لم يصدّقوا شدّة رجس هؤلاء وما أعـد لهـم الله من عذاب شديد. ومن منطلق هذه السذاجة نفسها تجد أن بعض الناس لم يعوا حقيقة هذه الظاهرة المشؤومة المتمثلة بإسـرائيل. ولكـن يجـب أن نـؤمن بحقيقة العدو ونصدّق برجسه ورذالته.

إن التصديق بوجود العدو وكذلك الاعتقاد بشقاء بعض الناس وشدّة رذالتهم أمـر عسـير، فـي حيـن أن فـي سـبيل تحقيـق مجتمـع سـليم بعـد ظهـور الإمـام

الحجة(عج)، لابدّ لنا أن نتحلّى بهذا التصديق واليقين. فإنك أن لم تصدّق برجس بعض الناس، ينفسح المجال لهؤلاء أن يرتكبوا أبشع الجرائم أمامك حتى تصدّق. إن الجرائم التي بدأت تشيع في بلدان هذه المنطقة، لهي نماذج تدلّ على وجود أناس أرجاس أشقياء. أمّا الطريق الأفضل هو أن تستعين على الإيمان بشقاء بعض الناس ورجسهم واستحقاقهم الخلود في العذاب، بمعرفتك ونور قلبك.

إن كلمات الإمام الخميني(ره) رائعة لفهم دناءة العدو. لقد كان الإمام الخميني(ره) يستخدم أشدّ التعابير وأغلظها للتنديد ببعض المتديّنين الذين كانوا يعبّدون الطريق للأعداء ولم يؤمنوا برجسهم ودناءتهم.

كيف نقتنع بخلود بعض الناس في جهنّم؟

إن الطريق للاقتناع بخلود العذاب في جهنّم، هو الإيمان بمدى انحطاط بعض الناس. وطريق الإيمان برجس هؤلاء وانحطاطهم هو أن تدرك مدى سهولة الخضوع لولاية أولياء الله، بيد أن هؤلاء الأرجاس قد أبوا الخضوع لهذه الولاية. لا سبيل إلى تنفيذ أوامر الله بصدق، إلّا عن طريق امتثال أوامر الولي. والجدير بالذكر أن استلام الأوامر عن طريق الولاية قد سهّل الأمر ويسّر الطريق. فإنك إذا عرفت سهولة الخضوع للولاية وامتثال أوامرها، سوف تؤمن برجس المخالفين الذين وقفوا منها وقفة المخالف اللدود.

إنّ من يستنكف عن طيّ طريق الولاية مع سهولته وجماله، فهو إنسان منحطّ جدّا. إذ أن تقبّل حديث أولياء الله هو مخالفة لأهواء النفس بحدّ ذاته ولكنّها مخالفة سهلة. فباعتبار يسر هذا الطريق وسهولته، لابدّ أن نقول: تعسا لأولئك الذين رفضوا الولاية ولهم الويل وعذاب الخلد بما كانوا يتمرّدون. إن الخضوع للولاية لأمر يسير إلاّ على مرضى القلوب والمتكبّرين.

فلننظر إلى حديث الإمام الصادق(ع) لكي نؤمن باستحقاق منكري الولاية الخلودَ في نار جهنّم، وأن لا نصيب لهم من الإيمان. فقد قال(ع): «ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مَنِ ادَّعَى إِمَامَةً مِنَ اللَّهِ لَيْسَتْ لَهُ وَ مَنْ جَحَدَ إِمَاماً مِنَ اللَّهِ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيباً» [الكافي/ج 1/ص 373]

بعد ما تنتهي حركة جهاد النفس إلى الولاية، تخفّ المعاناة

كلّ المعاناة التي أشير إليها في الجلسات الماضية، هي معاناة في مسار جهاد النفس، ولكن بعد ما تنتهي حركة جهاد النفس إلى موضوع الولاية، تخفّ المعاناة وتسهل. فهنا يهون الأمر ويزول عناء الجهاد. إن عناء طاعة الله وأداء تكاليفه والرضا بقَدَره يزول بتقبّل الولاية. لقد أعدّ الله الوليّ لأولي النفوس السليمة لكي يسهّل عليهم هذا الطريق الصعب والطويل، فيلعن الله من أعرض عن هذا الطريق بعد ما سهل وهانت معاناته. لقد جعل الله أمير

المؤمنين(ع) وليّا لتسهيل هذا الـدين. إذ أن الإنسـان الضـعيف الـذي لـم يتلـوّث بأمراض القلب، إذا رأى وليّ الله، ينبهر بحسنه ويشعر بسهولة الأمر بعد لقـائه! فهو يقول: لقد ابتعدت عن ديني لكوني لم أرك يا مولاي، أمّا الآن وبعد ما رأيتك فقد عشقتك وعشقت الدين الذي تدعو إليه، فها أنا ألتزم بديني بعد.

إن الولاية تيسّر عملية جهاد النفس. لا نريد أن نحكم على جميع الناس عبر هذه القاعدة، إذ أن الجاهلين والمستضعفين خارجون عنها، ولكن مـن رأى نـور أميـر المؤمنين(ع) ثم أنكر ولايته، فهو في غاية الرجس والشقاء.

من لم يصدّق رذالة منكري ولاية أمير المؤمنين(ع) فلينظر إلى كربلاء

من لم يصدّق رذالة منكري ولاية أمير المـؤمنين(ع) فلينظـر إلـى كـربلاء. فكـلّ أولئك الذين ملأوا قلب أمير المؤمنين(ع) قيحا وشحنوا صدره غيظا، قد جسّـدوا رذالتهم وشقاءهم في كربلاء. فيا ترى في أي حـرب قـد ارتكبـوا الجرائـم الـتي ارتكبوها في كربلاء؟! من هنا نعرف أن كربلاء ليست بمعركة بسيطة، إنّها محلّ أخذ أعلى المعارف وأسماها.

نحن إن لم ندرك حقيقة ابن ملجم، فلنبحث عن حقيقته في كربلاء. فيا ترى أين كانوا قد أخفوا أضغانهم؟ وليت شعري ما الفائدة التي كان يحصـل عليهـا العـدو برضّ الأجساد بحوافر الخيل؟! وما كان الهدف مـن قـرع رؤوس أطفـال الإمـام الحسـين(ع) بالرمـاح؟ كـل مـا جـرى فـي كـربلاء يـدلّ علـى أن كـره أميـر

المؤمنين(ع) ليس بأمر بسيط. وكذلك ليس بأمر بسيط أن يقوم قوم بقتل الحسين(ع) بغضا لأمير المؤمنين(ع).

الإمام، يسهّل العبوديّة وعملية جهاد النفس

إن كانت مراحل جهاد النفس السابقة صعبة، فإنها تسهل وتهون عند ولاية أمير المؤمنين(ع). الإمام يسهّل العبودية وعملية جهاد النفس. ومن هنا تستفحل ظاهرة العداء لأولياء الله بين مرضى القلوب. كل الحديث الذي جرى حول الكبد والعناء في مسار جهاد النفس، متعلق بالمراحل الابتدائية، أمّا بمجرّد أن نصل إلى موضوع الولاية، تخفّ المعاناة.

لقد روي عن الإمام الحسن العسكري(ع) حديث مشهور؛ «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِناً لِنَفْسِهِ، حَافِظاً لِدِينِهِ، مُخَالِفاً لِهَوَاهُ، مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوه» [وسائل الشيعة/ج 27/ص 131] فلابدّ أن ننظر «إلى إطاعة أمر المولى» كأمر في امتداد «مخالفة الهوى». فإن هذين العنصرين هما في امتداد واحد.

إن لاقى أحد صعوبة في مخالفة هوى نفسه، فليكثر في الذهاب إلى مجالس عزاء الإمام الحسين(ع)

إن لاقى أحد صعوبة في مخالفة هوى نفسه، فليكثر في الذهاب إلى مجالس عزاء الإمام الحسين(ع). إنّ لم نغتنم نعمة الولاية هذه التي منحوها لنا مجّانا

والتي تعبّد طريق العبودية ومخالفة النفس، ولم نسهّل لأنفسنا عملية جهاد النفس، فعند ذلك سوف نستحق عذاب جهنّم.

لقد قال الإمام الصادق(ع) في تفسير قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة/3]، «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بِإِقَامَةِ حَافِظِهِ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بِوَلَايَتِنَا وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً أَيْ تَسْلِيمَ النَّفْسِ لِأَمْرِنَا»[مناقب آل أبي طالب/ ج 3/ ص 23].

لماذا الإمام يعبّد طريق جهاد النفس لسالكيه؟ لأنه يحظى بجذابيّة وحلاوة متميّزة. ولذلك يقف زائر أهل البيت(ع) عند قبورهم فيقول: «فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ» [زيارة الجامعة، عيون أخبار الرضا(ع)/ ج 2/ ص 276]. من خصال الإمام أنه جميل وجّذاب ويدخل حبّه في الفؤاد. وإنكم تستطيعون أن تشاهدوا دور الإمام في تسهيل العبادة، عبر مشاهدة حياة الصالحين من الناس.

من كان لا يرغب في الالتزام بمواقيت الصلاة، فإنّه إذا أحبّ إمام زمانه(عج) وعرف أن الإمام المنتظر(عج) يحب الصلاة في أول وقتها، سوف يلتزم بمواقيت الصلاة بطبيعة الحال. وكم من الشباب الذين رأيتهم بأم عيني في جبهات الجهاد، من الذين هانت عليهم صعوبة الالتزام بوقت الصلاة، بعد أن أوثقوا عرى حبهم للإمام صاحب الزمان(ع).

إن دور الإمام هو أن يبدّل عملية جهاد النفس إلى علاقة حبّ وغرام ونزهة. هذا هو شأن الإمام في العالم. نعم، إن جهاد النفس صعب عسير، ولكن ما لم يـأت الإمام في البين. لماذا أرسل الله الأنبياء إلى الناس، لأنه أراد أن يسـهّل عليهـم صعوبة الدين، فإرسل إليهم رجالا مشـرقي الوجـوه و محبـوبين خلـوقين، فقـال لهم اذهبوا إلى قومكم واكسبوا قلوبهم.

الإمام يكسب القلوب، وبحبّه نستطيع أن نلتزم بديننا ونـدرك حقيقتـه. كمـا جـاء في زيارة الجامعة: «بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا»[عيـون أخبـار الرضـا ع/ج 2/ص 277]. كذلك التوحيد بين أبناء المجتمـع فـإنه ليـس بـأمر هيّـن، ولا يقـوى على هذا المهم إلا الولي والإمام. ولذلك نقول في تكملـة المقطـع السـابق مـن زيــارة الجامعــة: «وَ بِمُــوَالاتِكُمْ تَمَّــتِ الْكَلِمَــةُ وَ عَظُمَــتِ النِّعْمَــةُ وَ ائْتَلَفَــتِ الْفُرْقَةُ»[المصدر نفسه].

انظروا ماذا فعل الإمام الحسين(ع) ليلة العاشر؟ إنـه قـد سـهّل صـعوبة الجهـاد على أصحابه. إنه عرض على أهله ومن معـه مـن أصـحابه أن يتفرّقـوا ويجعلـوا الليل جملا وقال: إنما يطلبوني وقد وجـدوني. فقـالوا: قبّـح اللـه العيـش بعـدك. يعنـي أصـبح البقـاء معـك سـهلا والـذهاب علينـا صـعبا. فبعـد مـا وجـد الإمـام الحسين(ع) أن كم قد سهّل الجهاد عليهم بنور الولاية سهّل عليهم الطريق أكثر. إذ بعد ذلك كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم في الجنة. فقد روي عن الإمـام

السجاد(ع) أن قال الإمام الحسين(ع) لهم في تلك الليلة: «ارفَعوا رُؤوسَكُم وَانظُروا. فَجَعَلوا يَنظُرونَ إلى مَواضِعِهِم ومَنازِلِهِم مِنَ الجَنَّةِ، وهُوَ يَقولُ لَهُم: هذا مَنزِلُكَ يا فُلانُ، وهذا قَصرُكَ يا فُلانُ، وهذِهِ دَرَجَتُكَ يا فُلانُ. فَكانَ الرَّجُلُ يَستَقبِلُ الرِّماحَ وَالسُّيوفَ بِصَدرِهِ، ووَجهِهِ لِيَصِلَ إلى مَنزِلِهِ مِنَ الجَنَّةِ». [الخرائج والجرائح/ج 2/ص 847]. هذا هو دور الإمام في تسهيل الطريق لأصحابه والخاضعين لولايته. فإنه قد سهّل عليهم جهاد النفس، وبذل الأنفس في سبيل الله والرضا بقضائه.

هنا حري بنا أن يناجي كلّ منا إمام زمانه(عج) ويقول له: سيدي، أرى طريق إصلاح نفسي وعرا، فها أنا أعيش الصعاب والمعاناة في هذا الطريق، مما يدل على أنّي لم أعرفك بعد. سيدي ومولاي! أرجوك أن تعرفني نفسك وتقتحم قلبي وتزيل الغطاء عن وجهي كما فعل الإمام الحسين(ع) لأصحابه. فسهّل بعيني الموت من أجلكم.

لابدّ أن نعرف احتياجنا للإمام ودوره في عملية إصلاح النفس، فإذا أدركنا احتياجنا إليهم واستعنّا بهم، سوف لا يبخلون علينا بمعونتهم. فإنهم قد خلقوا لأداء هذا الدور. وهذه هي المعرفة الرئيسية التي نستطيع أن نعتبر باقي الأبحاث مقدّمة أو هامشية بالنسبة إليها.

لابدّ أن قد سمعتم قصة ذاك الشيعي الذي أمره الإمام الصادق بإلقاء نفسه في التنّور. «قال مأمون الرقّي كُنْتُ عِنْدَ سَيِّدِي الصَّادِقِ ع إِذْ دَخَلَ سَهْلُ بْنُ الْحَسَنِ الْخُرَاسَانِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَكُمُ الرَّأْفَةُ وَ الرَّحْمَةُ وَ أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتِ الْإِمَامَةِ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ حَقٌّ تَقْعُدُ عَنْهُ وَ أَنْتَ تَجِدُ مِنْ شِيعَتِكَ مِائَةَ أَلْفٍ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالسَّيْفِ فَقَالَ لَهُ ع اجْلِسْ يَا خُرَاسَانِيُّ رَعَى اللَّهُ حَقَّكَ ثُمَّ قَالَ يَا حَنِيفَةُ اسْجُرِي التَّنُّورَ فَسَجَرَتْهُ حَتَّي صَارَ كَالْجَمْرَةِ وَ ابْيَضَّ عُلُوُّهُ ثُمَّ قَالَ يَا خُرَاسَانِيُّ قُمْ فَاجْلِسْ فِي التَّنُّورِ فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ يَا سَيِّدِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا تُعَذِّبْنِي بِالنَّارِ أَقِلْنِي أَقَالَكَ اللَّهُ قَالَ قَدْ أَقَلْتُكَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ هَارُونُ الْمَكِّيُّ وَ نَعْلُهُ فِي سَبَّابَتِهِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ ع أَلْقِ النَّعْلَ مِنْ يَدِكَ وَ اجْلِسْ فِي التَّنُّورِ قَالَ فَأَلْقَي النَّعْلَ مِنْ سَبَّابَتِهِ ثُمَّ جَلَسَ فِي التَّنُّورِ وَ أَقْبَلَ الْإِمَامُ ع يُحَدِّثُ الْخُرَاسَانِيَّ حَدِيثَ خُرَاسَانَ حَتَّي كَأَنَّهُ شَاهِدٌ لَهَا ثُمَّ قَالَ قُمْ يَا خُرَاسَانِيُّ وَ انْظُرْ مَا فِي التَّنُّورِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ مُتَرَبِّعاً فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَ سَلَّمَ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ ع كَمْ تَجِدُ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ هَذَا فَقَالَ وَ اللَّهِ وَ لَا وَاحِداً فَقَالَ ع لَا وَ اللَّهِ وَ لَا وَاحِداً فَقَالَ أَمَا إِنَّا لَا نَخْرُجُ فِي زَمَانٍ لَا نَجِدُ فِيهِ خَمْسَةً مُعَاضِدِينَ لَنَا نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ.» [بحارالأنوار/ج 47 /ص 124] فانظر كيف قد هوّنت الولاية ما لا يطيقه سائر الناس. فلا تزعم أن هارون المكّي قد جاهد نفسه كثيرا حين ما

ألقى نفسه في التنّور، أو أنّه قد خيّر نفسه بين نار التنّور ونار جهنّم فاختـار نـار التنّور كرها، كلّا.

لا ينال ولاية أهل البيت(ع) إلا بالورع

لا ينال ولاية أهل البيت(ع) إلا بالورع، والورع هو أقصى مراحـل التقـوى. الـورع هو ترك هوى النفس بلا مشقّة؛ يعني أن تبلغ المرحلة الـتي تسـهل فيهـا عمليـة جهاد النفس. قال أمير المؤمنين(ع) لسليم: «يَا سُلَيْمُ إِنَّ مِلَاكَ هَذَا الْأَمْرِ الْـوَرَعُ لِأَنَّهُ لَا يُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْوَرَع»[كتاب سليم بن القيس/ج 2/ص 827]

لابـدّ أن نتّجـه نحـو الولايـة عـن طريـق الـورع، ثـم نعـزّز الـورع بالولايـة. وبهـذا الأسلوب يسهل الورع. إن حبّ أمير المـؤمنين(ع) يزيـد الإنسـان ورعـا، والـورع يزيد الإنسان حبّا لأمير المؤمنين(ع). إن حبّ أمير المـؤمنين(ع) هـو حـبّ جميـع المحامد والفضائل في الواقع. فقد جاء في زيارة الجامعة: «إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُـمْ أَوَّلَهُ وَ أَصْلَهُ وَ فَرْعَهُ وَ مَعْدِنَهُ وَ مَأْوَاهُ وَ مُنْتَهَاهُ». ويجرّنـا هـذا الحـب إلـى جميـع الفضائل والمحامد، فإن وجدنا بعض الفضائل ثقيلة علـى أنفسـنا، فـذلك بسـبب أننا لم نعرف إمامنا جيدا. إذ أن الإمام يسهّل الصعاب كلّها.

الولاء للـولي يسـهّل عليـك عمليـة جهـاد النفـس، وكـذلك يسـهّل عليـك إطاعـة المولى في جهاد النفس، وفي نفس الوقت يضعّف هوى نفسك بشكل كامل. إذ بولائك قد تقبّلت أن يتفضّل عليك بشر مثلـك لأن اللـه قـد فضّـله عليـك. فإنـك

عندما تقرّ لأمير المؤمنين(ع) بالولاية والسيادة والإمرة عليك فقد قضيت على نفسك، ويسهل عليك الورع حينئذ.

لماذا الولي يسهّل عمليّة جهاد النفس؟

والسبب الآخر الذي جعل وليّ الله سببا لتسهيل جهاد النفس، هو أن وليّ الله مظلوم. فإنك عندما ترى مظلوميّة أمير المؤمنين(ع) حين استشهاد السيدة الزهراء(س) تهون عملية جهاد النفس بعينك. إن هذا الرجل العظيم الذي استشهد في هذه الأيام، قد شدّ بالحبال وجرّ إلى المسجد. وقد ضربت زوجة هذا الرجل المظلوم أمام عينه.

ما أكثر الشهداء الذين زالت مظلوميتهم بعد استشهادهم، إلا أمير المؤمنين(ع) فقد بدأ الخطباء بعد استشهاد أمير المؤمنين(ع) بلعنه على المنابر. فهل تستطيعون أن تجدوا مظلوما مثل علي بن أبيطالب(ع).

من ظلامات أمير المؤمنين(ع) بعد استشهاده هي أن لم يشيّعه أحد من الناس فقد دفن في ليلة ظلماء بعيدا عن أنظار الناس. فعادت ذكريات مصائب الزهراء(س) على بنته زينب وهي ترى تكرار مشهد التشييع في جوف الليل خفية، فما أعزّ على البنت المصابة بفقد أبيها أن لا تجهش بالبكاء، ولا ترفع صوت النحيب والعويل علي أبيها المقتول ظلما.

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

جواب الله لبعض عبّاد بني إسرائيل

إن شهر رمضان شهر المغفرة، كما قال رسول الله(ص): «**فَإِنَّ الشَّقِيَ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيم**» [الأمالي للصدوق/ص 93]. فيودّ الجميع أن ينتهزوا أيام هذا الشهر ولياليه ليحصلوا على الحدّ الأقصى من فوائده وبركاته. فإن حُرم استجابةَ اللّه أحدٌ من الناس، لا يهتدي بعدُ إلى طريق نجاةٍ بسهولة. فمن أجل ازدياد استفادتنا من هذا الشهر العظيم، ومن أجل أن نزداد شعورا بأهمية هذا الطريق الذي يجب أن نسلكه، أرجوا أن تلتفتوا إلى هذه الرواية:

قال الإمام الصادق(ع): «**إِنَّ حَبْراً مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللَّهَ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْخِلَالِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ فِي زَمَانِهِ قُلْ لَهُ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ جَبَرُوتِي لَوْ أَنَّكَ عَبَدْتَنِي حَتَّى تَذُوبَ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ فِي الْقِدْرِ مَا قَبِلْتُ مِنْكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَمَرْتُكَ**» [ثواب الأعمال وعقاب الأعمال/ ص 203]

وكذلك روي عن الإمام الصادق(ع): «**مَرَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ع بِرَجُلٍ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللَّهَ فَانْطَلَقَ مُوسَى فِي حَاجَتِهِ فَبَاتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَبْدُكَ رَافِعٌ يَدَيْهِ إِلَيْكَ يَسْأَلُكَ حَاجَتَهُ وَ يَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ مُنْذُ**

سَبْعَةِ أَيَّامٍ لَا تَسْتَجِيبُ لَهُ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا مُوسَى لَوْ دَعَانِي حَتَّى يَسْقُطَ يَدَاهُ أَوْ يَنْقَطِعَ لِسَانُهُ مَا اسْتَجَبْتُ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَنِي مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَمَرْتُه» [المحاسن/ج 1/ص 224]

فما هذا الباب الذي يجب أن نعبد الله عن طريقه، وإلا فلن تجدي عبادتنا نفعا مهما تعبّدنا؟ وليت شعري ماذا وأين هذا الباب الذي مهما عملتَ واستغفرت لن ينظر إليك أحد، ولكنك إن جئت من هذا الباب سوف يغفر الله لك بأدنى عمل؟! لابدّ لنا أن نقرّ بكلتا الحقيقتين وهذا ما يحتاج إلى دقّة من جانب وإلى صفاء الباطن من جانب آخر.

الإمام الصادق(ع): ذلل نفسك باحتمال من خالفك ممن هو فوقك

يقول الإمام الصادق(ع): «**ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ وَ مَنْ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَقْرَرْتَ بِفَضْلِهِ لِئَلَّا تُخَالِفَهُ**» [الكافي/ج 15/ص 554]. يمكن أن يكون هذا الأعلى و «من هو فوقك» هو الأب والأم في البيت، أو الضابط في المعسكر، أو الرئيس في الدائرة. طبعا من المعلوم أن امتثال أمر الأعلى مشروط بأن لا يخالف أمرُه أمرَ الله. وقد جاء هذا الشرط في القرآن بعد ما أمر بالإحسان بالوالدين. [راجع العنكبوت/8 واللقمان/15]

لابد أن نذلّ أنفسنا لله بجهاد النفس

في سبيل أن ننال المقام الذي خلقنا مـن أجلـه، لابـدّ أن تـذِلّ أنفسـنا، ولا طريق إلى إذلال النفس سوى مجاهدتها ومخالفتها. إن جهـاد النفـس ومخالفتهـا يقتضي وجود أمرِ من هو فوقنا. وهذا هو «الطريق الوحيد» الذي تحدّثنا عنه في هذه الجلسات الماضية، كما أن الإنسان مجبور على مجاهدة نفسه شاء أم أبى. ولكن لابدّ للإنسان أن يجاهد هوى نفسه ليذلّ لله سبحانه ويصـل إليـه. لا يمكـن للإنسان المتكبّر أن يصل إلى الله ما دام متكبرا. فإن طريق الوصـول إلـى اللـه هو التذلّل، يعني أن يقضي الإنسان على أنـانيّته ليسـتطيع السـير نحـو اللـه عـز وجل.

ولكن يبدو أنه إذا تركت النفسُ مع ربّها، فسيعتريها العجـب والغـرور شـيئا فشيئا، ثم ترى أنها ذو مقـام وشـأن رفيـع، فلـم تعـد ذليلـة مقهـورة، ولـم تـزُل «الأنا» في مقابل الله. لذلك قد لا تحصل حالة الذلّ والخشوع فـي مقابـل اللـه عبر العلاقة المباشرة مع الله. إن حبط عمل إبليس الذي قد عبد الله ستة آلاف سنة ينبئ بأننا حتى وإن عبدنا اللّه ستّة آلاف سنة بشكل مباشر، مع ذلك قد لـم تذل أنفسنا لله بهذه العبادة.

أهمية الذلّ لله

في موضوع أهمية ذلّ النفس للّه، حري بالإشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الباقر(ع) حيث قال: «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى مُوسَى ع أَنْ يَا مُوسَى أَ تَدْرِي لِمَ اصْطَفَيْتُكَ بِكَلَامِي دُونَ خَلْقِي قَالَ يَا رَبِّ وَ لِمَ ذَاكَ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي قَلَّبْتُ عِبَادِي ظَهْراً لِبَطْنٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ أَحَداً أَذَلَّ لِي نَفْساً مِنْكَ يَا مُوسَى إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَضَعْتَ خَدَّكَ عَلَى التُّرَابِ» [الكافي/ج 2/ص 123].

طريق الذل لله هو الإقرار بأفضليّة ولي الله

ما هو الطريق؟ إذا ما أردت أن تجد إلى اللّه المتكبّر سبيلا، فلابدّ لك من التذلّل. هذه هي فلسفة جهاد النفس وهي أن تلوي عنق نفسك. ولكنك إن عمدت إلى إرغام نفسك، يأت الله إليك بوليّه ويفرض عليك أن تقرّ بكونه أفضل منك. ومضافا إلى الإقرار بأفضلية ولي الله عليك، لابدّ لك أن تستلم أوامر الله عن طريقه، وأن تخضع لأوامره الخاصّة أيضا كما تخضع لأوامر الله.

إن هذه الأحاديث القدسية التي مرّت عليكم والتي تنقل عن الله أنه لا يقبل عبادة العابد وتوبة التائب مهما حاول وسعى وحتى لو ذاب كذوب الشحم في القدر أو كسرت يداه وقطع لسانه ما لم يأت الله من الباب الذي أمره، هذا الباب هو باب الولاية التي يجب أن نستلم أحكام الله عن طريقه.

سبب هلاك إبليس هو الكبر على وليّ الله/ سبب غفران آدم(ع)، التواضع لولي الله

قال الإمام الحسن العسكري(ع) عن النبي الأعظم(ص): «عَصَى اللَّهَ إِبْلِيسُ، فَهَلَكَ لِمَا كَانَ مَعْصِيَتُهُ بِالْكِبْرِ عَلَى آدَمَ وَ عَصَى اللَّهَ آدَمُ بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، فَسَلِمَ وَ لَمْ يَهْلِكْ لِمَا لَمْ يُقَارِنْ بِمَعْصِيَتِهِ التَّكَبُّرَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: «يَا آدَمُ عَصَانِي فِيكَ إِبْلِيسُ، وَ تَكَبَّرَ عَلَيْكَ فَهَلَكَ، وَ لَوْ تَوَاضَعَ لَكَ بِأَمْرِى، وَ عَظَّمَ عِزَّ جَلَالِي لَأَفْلَحَ كُلَّ الْفَلَاحِ كَمَا أَفْلَحْتَ، وَ أَنْتَ عَصَيْتَنِي بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، وَ بِالتَّوَاضُعِ لِمُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ تُفْلِحُ كُلَّ الْفَلَاحِ» [الاحتجاج للطبرسي/1/53].

إن ليلة القدر هي ليلة الاعتذار من الإمام صاحب الزمان(عج)

إن ليلة القدر، هي ليلة الاعتذار من الإمام صاحب الزمان(عج) وقبول توبتنا مشروط بجلب رضا الإمام الحجة(عج). نحن نعتقد أن في ليلة القدر تسلّم صحف أعمالنا إلى الإمام صاحب الزمان(عج)، كما تسلّم الصحف إلى أمير المؤمنين(ع) يوم القيامة. فقد قال النبي(ص) لأصحابه: «آمِنُوا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ إِنَّهَا تَكُونُ- لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ لِوُلْدِهِ الْأَحَدَ عَشَرَ مِنْ بَعْدِي» [الكافي/ج 1/ص 533]

إذا كان الخوض في الشهوات قبيح، فإن الصلاة بلا ولاية قبيحة أيضا

إذا كان الخوض في الشهوات والفسق والفجور قبيح لكون الإنسان المنحدر في هاوية الشهوات يعمل بما يحب، كذلك الصلاة قبيحة بلا ولاية، لأنها تعبّر عن عبادة منسجمة مع هوى الإنسان المتكبّر على ولي الله. وحري بالذكر أن قد ارتكب المصلّون بلا ولاية جرائم لم يرتكبها حتى الكفّار. لقد التزم الكفّار والمشركون ببعض الأصول والقيم في تعاملهم مع سبايا المسلمين، ولكن تعالوا إلى كربلاء لتروا المصلّين الذين جرّدوا دينهم عن الولاية فلم توقفهم أي قيمة وأي حرمة في ارتكاب الجرائم على أطفال الحسين(ع) فضلا عن الكبار.

ألا لعنة الله على القوم الظالمين

إن قبول أمر «ولي الله» علامة على صحة الإيمان والصدق في مخالفة الهوى

بعد أن اقتنع الإنسان بمجاهدة هواه وأن يقوم بجهاده وفق البرنامج الذي أعطاه ربّه والمقدّرات التي قدّرها له في سبيل إضعاف أنانيّته. هنا يقول الله له: «إذا أردت القضاء على أنانيّتك فلا يكفيك أن تتواضع لربّك وحسب، ولا يدلّ ذلك على طهارتك، وذلك لأن الإنسان كائن معقّد ومتشعّب الأبعاد، فلعلّه قد ترك في سويداء قلبه شيئا من الكبر. لذلك فأنا أرسل إليك وليّي ليأمرك. وعليك أن تتواضع له وتمتثل أمره. فإن خضعت لولاية وليّي وامتثلت أمره، يدلّ ذلك على صدق مدّعاك واستعدادك الحقيقي لمخالفة هواك من أجلي وبأمري».

إن أدوات فحص صحة إيماننا وصدق ادعائنا في مخالفة الهوى، هي سلسلة المراتب التي وضعها الله في نظام العالم. يعني أن وجوب طاعة الله ينزل درجة ويصل إلى رسول الله(ص) ثم منه إلى أمير المؤمنين(ص) وأئمة الهدى إلى الإمام الحجة المنتظر(عج). كما أن سلسلة المراتب هذه قد تمتدّ إلى درجات أنزل وتتبلور في أشكال أخرى كطاعة الأب والأم.

لا يمكن إلجام النفس عبر إطاعة الله المباشرة وحسب

لابدّ لنا من إلجام النفس وتجريدها من أنانيّتها وكبرها ونذلّ أنفسنا أمام رب العالمين. ولكن لا يمكن إنجاز هذا الهدف عبر إطاعة الله المباشرة وحسب. إذ لا سبيل لجميع الناس إلى استلام أوامر الله بشكل مباشر، ومن جانب آخر لا تُثبِت نفس الإنسان طهارتها عبر الطاعة المباشرة لله. لذلك قد جعل الله وليّه لنسمع له ونطيعه، كما قد وضع سلسلة مراتب بعده تنتهي إلى الوالدين الذين أوجب علينا برّهم وطاعتهم. يعني أن الوالدين هما يشكّلان جزء من هذه السلسلة، فبطاعتهما ـ في موارد الطاعة ــ يفتُر كبرنا وتذبل أنانيّتنا وتخشع نفسنا لله سبحانه.

يقول الإمام الصادق(ع): «**ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ**» [الكافي/ج 8/ص 243] يعني سلّم إدارة مخالفة هواك إلى من هو

فوقك. فعلى سبيل المثال يعتبر الزوج فوق الزوجة رتبة في نطاق ولايته عليها. فإن هذه المراتب موجودة في مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية.

لابدّ أن تكون عمليّة إدارة أهواء النفس عن الطريق «الأعلى» الذي حدّده الله للإنسان

كلّنا نخضع لولاية من هو فوقنا. فعلى سبيل المثال إن والدينا فوقنا، لـذلك لابدّ أن نسلّمهما قسما من عمليّة إدارة هوى نفسنا. لقد أكّد القرآن مرارا على لزوم الخضوع لمن هو فوقنا. فقال سبحانه: **(وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً)** [النساء/36] وقال كذلك: **(فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ)** [الإسراء/23]. فلا يجوز أن نسيء التعامل معهما بحيث ينكسر قلبهما ويتألمان. فمقتضى هذا الإحسان والاحترام لهما هو أن نخالف الهوى على أساس مرامهما.

لابدّ أن تكون عمليّة إدارة أهواء النفس عن الطريق «الأعلى» الذي حدّده الله للإنسان. فعلى كلّ إنسان أن يرى من هو الذي جعله الله فوقه في سلسلة المراتب لكي يتّبعه. ولا شكّ في أنّ هؤلاء «الأعلَون» الذين تجب طاعتهم، قد حدّدهم الله على درجات مختلفة. فعلى سبيل المثال المرأة تخضع لولاية زوجها. وعلى الرجل أن يخضع لوالديه باعتبارهما فوقه. أما الذي صاحب الولاية المطلقة هو «وليّ الله الأعظم» وينوب عنه «الوليّ الفقيه».

يحكي الخضوع للأعلى درجة، عن مرتبة من مراتب سلامة النفس، وهو مدعاة للتواضع وزوال الكبر. ولكن يجب أن تعرف لأي «أعلى» تخضع؛ لمن جعله الله عليك وليّا، أم للطاغوت الذي فرض نفسه عليك فرضا، ولم يأمر الله بطاعته.

الإمام الصادق(ع): ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ

لنرجع إلى حديث الإمام الصادق(ع) حيث يقول: «**ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ وَ مَنْ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّمَا أَقْرَرْتَ بِفَضْلِهِ لِئَلَّا تُخَالِفَهُ**» [الكافي/ج 8/ص 243] فعلى سبيل المثال للطبيب فضل على المريض ولابدّ للمريض أن يمتثل أمره. لذلك حسب ما نقل عن أطباء الإمام الخميني(ره)، كان سماحته قد سلّم أمره إليهم في القضايا الصحّيّة. إن هذه الخصلة هي من درجات روح الولاء والخضوع للأفضل. مع أن الطبيب ليس وليّا على الإنسان، ولكن من الناحية الأخلاقية نستطيع أن نقول: إن من يستنكف عن قبول رأي المتخصّص فهو متكبّر.

من لا يعرف لأحد فضلا فهو معجب برأيه

ثم يقول الإمام الصادق(ع) في تكملة حديثه: «**وَ مَنْ لَا يَعْرِفْ لِأَحَدٍ الْفَضْلَ، فَهُوَ الْمُعْجَبُ بِرَأْيِهِ**»[المصدر نفسه]. وسرّ هذا الكلام هو أن كلّنا سوف نواجه إنسانا أفضل في حياتنا لابدّ أن نعترف له بالأفضليّة ولا يخفى أن

الاعتراف بأفضليّة الآخرين ليس بعمل هيّن على كل إنسان ولا يقوى عليه الجميع. فإن بعض الناس ومن أجل أن يخلّص نفسه من ثقل التواضع والخضوع، لا يعترف لأحد فضلا من الأساس، فمثل هذا الإنسان قد ابتلي بالعجب التي هي من أسوء الصفات.

وقد جاء في شرح أصول الكافي في ذيل هذه الرواية، أن المصداق الأتم والأكمل للأعلى هو أهل البيت وأئمّة الهدى(ع) أو ما نعبّر عنه بالولاية. ولكنّي توسّعت في ذكر مصاديق أخرى في سبيل فهم الآثار التربوية والأخلاقية الناتجة من إطاعة الأعلى.

إن لم نفوّض إدارة عمليّة مخالفة الهوى إلى وليّ الله، ستسقط بيد عدوّ الله الذي لا يرحم

إن لم يكن زمام إدارة عمليّة مخالفة الهوى في هذا الطريق بيد وليّ الله، ماذا يحدث؟ عند ذلك ستسقط إدارة مخالفة الهوى بيد عدوّ الله وعدوّنا الذي لا يرحم. يعني سوف يسلّط الله علينا أرذل خلق الله وهذه لقاعدة وسنّة إلهيّة.

إنّك إن لم تعط زمام إدارة مخالفة هواك بيد وليّ الله، سوف تُضطرّ إلى مخالفة هواك تحت إدارة أراذل العالم وليس لك طريق آخر.

هل عاش الشعب المصري بسعادة وهناء بعد ما كان حكّامهم مطيعين لأمريكا عقودا متمادية؟

إن خالف الإنسان هواه أياما معدودة تحت إمرة وليّ الله، واستقام على نهجه في درب الحق، يعش سعيدا إلى آخر عمره في دنياه فضلا عن آخرته. ولكنّه إن تمرّد على حكم وليّ الله ولم يخالف هوى نفسه، يهيمن عليه المستكبرون وأراذل العالم وبعد ذلك لابدّ له أن يودّع الحياة السعيدة ويقرأ عليها السلام.

من نماذج هذه القاعدة هي دولة مصر التي خضع حكّامها إلى إرادة أمريكا أكثر من ثلاثين سنة. فهل الآن يحظى الشعب المصري بحياة سعيدة؟! كان بإمكان مصر أن تكون من أرقى بلدان منطقتنا اقتصاديّا وثقافيّا. كانت مصر بوّابة دخول العلم إلى أوروبّا. فلا يعوز الشعب المصري ولا أرض مصر شيئا. ولكنّها تعاني من فقر شديد إذ كان قد خضع حاكمها لأمريكا في كل شيء.

إن إعلامنا ـ وللأسف ـ يتكلم بطريقة دبلماسيّة ورسميّة بحتة في التغطية على أخبار بلدان المنطقة، وكأنه يتحدث في مؤتمر قمّة. مع أنّه يستطيع أن يصوّر الظروف الحقيقية التي تعيشها شعوب المنطقة عبر برامج وثائقيّة واقعيّة.

انظروا إلى العراق وإلى ما يعانيه من نفوذ أمريكا وتأثيرها على بعض أحداث العراق. فمع أنها قد اضطُرّت إلى سحب قوّاتها من العراق، ولكن مازالت لم تنقطع أيادي تدخّلها ونفوذها بشكل كامل. لعلّ أكبر سفارة أمريكية هي في العراق وبآلاف من الموظّفين. إن أمريكا هي المتصدّية لبيع نفط العراق ثمّ تعطي شيئا من وارد بيع النفط العراقي إلى العراقيّين، وكأنها هي أمين صندوق العراق! وبعد كلّ هذا النهب من أموال العراق لم تسع لإعمار العراق قطّ لتحصل على مكانة بين العراقيّين. انظروا إلى وضع الأمن في العراق. فليت شعري كم عراقي يجب أن يقتل حتى يرضى الأمريكان؟!

هل يجب أن نقطّع إربا إربا حتى يصدّق البعض برذالة العدوّ؟!

إن بعض الناس ـ وللأسف الشديد ــ من الجهالة بمكان بحيث لا يرون حقائق العالم هذه ولا يصدّقون بوجود العدوّ. يبدو أن هولاء لن يصدّقوا بوجود شيء اسمه العدوّ واسمه الاستكبار إلّا اللهم في ما إذا حطّموا أنفسهم ودمّروا مجتمعهم بيد العدوّ. فيا ترى هل لابدّ أن نمهل العدوّ إلى أن يهدّد أمننا ويقطّعنا إربا إربا حتى يصدّق البعض برذالته؟! وإلى متى لابدّ أن نرى الخطاب الثوري غريبا في بعض الأوساط في بلدنا!

متى ينبغي لنا التفاوض مع الاستكبار

يجب علينا أن نقف أمام الاستكبار العالمي. فلا ينبغي أن نتفاوض معه إلا بشرط أن ينذلّ أمامنا بشدّة. إذ بمجرّد أن يرانا مستعدين لتقديم بعض التنازلات يزداد وقاحة.

لا يحلو لنا التفاوض مع الغرب إلا بعد أن كنّا من القوّة بمكان بحيث عندما ضربنا بأيدينا على الطاولة وقلنا لهم اسحبوا الإرهابيّين من سورية لنبدأ الحديث معكم، لم يجدوا بدّا سوى أن يمتثلوا بكل ذلّ. إذ لا يمكن الحديث معهم إلا من منطق القوّة، امّا إذا أردنا أن نتحدث معهم من منطق الضعف سيضربون هم على الطاولة ويقولون: سلّمونا حزب الله والمقاومين في سورية لكي نذبحهم جميعا! منذ سنين وهم يطالبوننا أن لا ندعم حزب الله والمقاومة في المنطقة.

نحن إن تنازلنا للعدوّ ذرّة، لابدّ أن نستقبل الإرهابيّين في بلدنا بعد ما اقتحموا سورية بأسرها

نحن لابدّ أن ندرس الموضوع ونرى كيف تجرّأ الأوروبيّون على وضع مجاهدي حزب الله في قائمة الإرهاب؟ وما هي العوامل التي سمحت لهم أن يرتكبوا ظلما مثل هذا؟ نحن اليوم إن تنازلنا للعدوّ مثقال ذرّة، لابدّ أن نستقبل الإرهابيين في بلدنا بعد ما اقتحموا سورية بأسرها!

إنك إن لم تسلّم إدارة مخالفة هواك إلى وليّ الله، سوف يقع زمـام إدارة مخالفة هواك بيد عدوّ الله وإنه لن يرحمك أبدا. وفي الواقع نحن نهتف في يـوم القدس بأن إدارة مخالفة أهوئنا ليست بيد عدوّ الله، وإنما هي بيد وليّ الله. لابدّ أن نسأل الله أن يحفظ زمام إدارة مخالفة أهوائنـا بيـده ولا يسـمح أن يقـع بيـد عدوّه.

أولئك الذين لا يتحمّلون العناء في طريق الحقّ، لابدّ لهم من تجشّم نفس العنـاء فـي طريـق الباطل

على أساس السـنن الإلهيّـة، أولئـك الـذين لا يتحمّلـون العنـاء فـي طريـق الحقّ، لابدّ لهم من تجشّـم نفـس العنـاء فـي طريـق الباطـل. فقـد قـال الإمـام الصادق(ع): «**واعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُنْفِقْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ابْتُلِيَ بِـأَنْ يُنْفِـقَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَنْ لَمْ يَمْشِ فِي حَاجَةِ وَلِيِّ اللَّـهِ ابْتُلِـيَ بِأَنْ يَمْشِيَ فِي حَاجَةِ عَدُوِّ اللَّه**» [مـن لا يحضـره الفقيـه/ج 4/ص 412] إن أهل الكوفة الذين تشبثوا بشتّى الذرائع كالحرّ والبرد وغير ذلك لأن يقعـدوا عـن القتال مع أمير المؤمنين(ع)، وصل بهم الأمـر إلـى أن يقتلـوا سـيد الشـهداء(ع) بإشارة من يزيد بن معاوية وقد هلك منهم كثير.

أولئك الذين كان حريّ بهم أن يستشهدوا تحت راية أمير المؤمنين(ع) فـي ساحة الجهاد ضدّ معاوية، وصل بهـم الأمـر إلـى أن قُتِلـوا تحـت لـواء يزيـد فـي

قتالهم ضدّ الإمام الحسين(ع) وذهبوا إلى نار جهنّم. يعني هؤلاء الذين قصّروا في الدفاع عن الحقّ، ابتلوا بالدفاع عن الباطل.

من يخضع لولاية الاستكبار، يصل به الأمر إلى القتل والهلاك في سبيله

كان الغربيّون في زمن بائد، يستخدمون الشباب والجنود الإيرانيين لقمع الثورات في المنطقة. فانظروا كيف كان حالنا سابقا وإلى أين رقّانا الإمام(ره) بهذه الثورة، بحيث لسنا لم نعد نقاتل من أجل العدوّ وحسب، بل أصبحنا نقاومه. يعني كنّا نعرّض شبابنا وجنودنا إلى القتل والهلاك في سبيل أن تصل أمريكا إلى مطامعها في المنطقة! هكذا كان حالنا!

وكذلك كان الإنكليز يستخدمون الجنود من أهل الهند في سبيل مواصلة أهدافهم الاستعمارية في البلدان الأخرى. فكانوا يعرّضون هؤلاء الجنود المساكين إلى القتل في سبيل بسط سلطتهم الاستعمارية في البلدان الأخرى. يعني من سلك طريق الخضوع للاستكبار، لابدّ أن يسلك الطريق إلى آخره وسوف يصل به الأمر إلى القتل والهلاك في سبيل الاستكبار.

فإنك إن أعطيت الضوء الأخضر للعدوّ، لن يمنحك العدوّ حياة مريحة في هذه الدنيا، ولن يكتفي بأن تتحمل ظلمه وعدوانه وحسب، بل يأمرك أن تفدي بروحك في سبيل مطامعه! إذ لا يريد أن يفرّط بجنوده في سبيل مطامعه!

في أغلب الأحيان لا داعي لخوض الصراع مع العدوّ، وحسبنا أن نحظى بروح جهاديّة. كما لا داعي لضرب الكلاب في أغلب الأحيان، وإنّما عليك أن لا تفرّ منهم. فلو رفعت حجارة يفرّ منك فورا وكأنه قد أصيب بالحجارة حقيقة. لابدّ من مواجهة العدوّ بروح ثوريّة وإلا فسوف يتضرّر الشعب جميعا.

يجب على رجالنا السياسيّين أن يجابهوا هؤلاء الذئاب الخبثاء

يجب على رجالنا السياسيّين أن يتنافسوا مع بعض في مواجهة هؤلاء الذئاب الخبثاء. لقد اتخذ أعضاء مجلس الشورى الإسلامي موقفا مختصرا تجاه الأروبيين الوقحين الذين أضافوا حزب الله إلى قائمة الإرهاب، ولكن يجب على جميع السياسيّين أن يتخذوا موقفا شديدا. فمن يتنازل لهؤلاء الوقحين مثقال ذرّة ولم يدافع عن كرامته بعزّ ولم يتهجم عليهم بشجاعة، سوف يذلّ، والله هو الذي سيهيّئ أسباب ذلّه.

وبالتأكيد لابدّ أن تكون كل هذه المواقف من المقاومة العزيزة والتهجّم الشجاع على العدو، مصحوبة بالحكمة والتدبير والواقعيّة، ولكن من أهمّ حقائق العالم الواقعيّة هي أن الله سبحانه قد وعد بنصر المقاومين ضدّ الأعداء.

مراحل جهاد النفس ثلاثة: 1. العقل في مقابل هوى النفس 2. الإيمان في مقابل هوى النفس

3. الولاية في مقابل هوى النفس

ينتهي طريق جهاد النفس إلى تصدّي الولاية لقيادة هذه الحركة. فإذا كان العقل في مقابل هوى النفس في بداية هذا الجهاد، وكان الإيمان هو المتصدّي لمواجهة هوى النفس في المراحل المتأخرة، ففي آخر المطاف تأتي الولاية لتواجه هوى النفس.

1ـ العقل في مقابل هوى النفس: يرشدك العقل إلى رؤية أقصى المصالح ويدعوك إلى بعد النظر في متابعة الرغبات، بينما يدعوك هوى النفس إلى أقرب المصالح وأسطح الرغبات.

2ـ الإيمان في مقابل هوى النفس: يكوّن الإيمان الهدف والحافز، بينما يحاول هوى النفس أن يحول دون انعقاد الإيمان. فمن اتبع أهواء نفسه يفقد الإيمان.

3ـ الولاية في مقابل هوى النفس: إن جهاد النفس بحاجة إلى برمجة. إن «التقوى» هي برنامج جهاد النفس والتي تتصدّى لتبيين أسلوب

تضعيف «الأنا». في سبيل تضعيف «الأنا» لابدّ أن تستلم الأوامر من الله وأن يبلّغها إليك وليّ الله. إن عمليّة استلام الأوامر من الله ليست بعمليّة مباشرة، فلابدّ لك من التواضع لوليّ الله. وهذا التواضع يستلزم أن تتقبّل أفضليته عليك. فيجب عليك في التعامل مع وليّ الله أن تخضع للأوامر التي يبلغها عن الله سبحانه، وكذلك يجب أن تخضع لأوامره التي يصدرها بنفسه، وذلك من أجل القضاء على أنانيتك. إذن ففي هذه المرحلة يقع هوى النفس في مقابل «الولاية»، وفي سبيل مواجهة هوى النفس لابدّ لك من الخضوع لأوامر الولاية.

من لم يتلقّ دينه عن الإمام(ع) فقد انصاع إلى هوى نفسه

هناك روايات كثيرة في بيان العلاقة بين الولاية وهوى النفس. فقد سئل أَبو الْحَسَنِ الرضا(ع) فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ **(وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ) قَالَ: يَعْنِي مَنِ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى»** [الكافي/1/374]. فما تشير إليه هذه الرواية ينسجم مع ما ذكر من مخالفة هوى النفس عبر امتثال أوامر ولي الله، وهو يؤيّد نفس هذه الفكرة. فلا ينبغي أن نتعامل مع هذه الرواية بطريقة تعبّدية محضة، بل لابدّ أن نعتبرها أساسا ومنهجا شاملا في مخالفة الهوى.

لا يَثبُت صدق الإنسان في تواضعه لله، إلّا عن طريق تواضعه لوليّ الله

يتجسّد تواضع الناس الحقيقي في أسلوب تعاملهم مع الولاية. فإنك إن خضعت لولاية بشر مثلك ولكنّه أفضل منك، فإنك قد تواضعت في الواقع ومن هنا تصبح الولاية هي الأساس في تقييم الإنسان. فلابدّ أن نخوض في موضوع الولاية بأداة التحليل والتعقّل وأن ندرس آثارها في جميع أجزاء الدين. فما يبدو من كثير من آيات القرآن والروايات والدراسات العقلية، هو أنه لا يثبت صدق الإنسان في تواضعه لله، إلّا عن طريق تواضعه لوليّ الله.

عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولَانِ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ ص أَمْرَ خَلْقِهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ- ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**» [الكافي/ج 1/ص 266]

عَنِ الإمام الصَّادِقِ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «**وَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَوْ أَنَ رَجُلًا لَقِيَ اللَّهَ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيّاً ثُمَ لَمْ يَلْقَهُ بِوَلَايَةِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَ لَا عَدْلا**». [الأمالي للمفيد/115]

وفي رواية أخرى مشابهة قال رسول الله(ص): «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عَبْداً جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيّاً مَا قَبِلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يَلْقَاهُ بِوَلَايَتِي وَ وَلَايَةِ أَهْلِ بَيْتِي**» [الأمالي للطوسي/ 140]

من لم يعتقد بولاية أهل البيت(ع) فهو من أهل النار حتى وإن عبد الله طوال عمره

عَنْ مُيَسِّرٍ بَيَّاعِ الزُّطِّيِّ قَالَ: «**دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَ لِي جَاراً لَسْتُ أَنْتَبِهُ إِلَّا بِصَوْتِهِ إِمَّا تَالِيَا كِتَابَهُ يُكَرِّرُهُ وَ يَبْكِي وَ يَتَضَرَّعُ وَ إِمَّا دَاعِياً فَسَأَلْتُ عَنْهُ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ مُجْتَنِبٌ لِجَمِيعِ الْمَحَارِمِ قَالَ فَقَالَ يَا مُيَسِّرُ يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ فَحَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ فَوَجَدْتُهُ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الرَّجُلِ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي يَعْرِفُ شَيْئاً مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ قُلْتُ لَا قَالَ يَا مُيَسِّرُ أَيُّ الْبِقَاعِ أَعْظَمُ حُرْمَةً قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ قَالَ يَا مُيَسِّرُ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَ لَوْ أَنَّ عَبْداً عَمَّرَهُ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ وَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَ الْمِنْبَرِ يَعْبُدُهُ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ ذُبِحَ عَلَى فِرَاشِهِ مَظْلُوماً كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ الْأَمْلَحُ ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ**

بِغَيْرِ وَلَايَتِنَا لَكَانَ حَقِيقاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يُكِبَّهُ عَلَى مَنْخِرَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّم». [ثواب الأعمال للصدوق/ص 210]

لا يقبل الله عمل امرء شاك في أهل البيت(ع)

تؤيد هذه الروايات أننا لم نخلق لغرض أن نكون أناسا صالحين وأن نعمل مجموعة من الأعمال الصالحة. بل إنما خلقنا من أجل أن نجاهد أهواء أنفسنا، وينتهي هذا الجهاد في آخر المطاف إلى الخضوع للولاية واتباعها.

لقد قال النبي الأكرم(ص): «**لَوْ أَنَّ عَبْداً عَبَدَ اللَّهَ أَلْفَ عَامٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ ثُمَّ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ مَظْلُوماً لَبَعَثَهُ اللَّهُ مَعَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَقْتَدِى بِهِمْ وَ يَهْتَدِى بِهُدَاهُمْ وَ يَسِيرُ بِسِيرَتِهِمْ إِنْ جَنَّةً فَجَنَّةٌ وَ إِنْ نَاراً فَنَارٌ**». [بحار الأنوار/27/180].

وقد روي في أمالي المفيد عن الإمام الباقر(ع) والإمام الصادق(ع) أنهما قالا: «**نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ عَبْدٍ وَ هُوَ يَشُكُّ فِينَا**». [الأمالي للمفيد/ ص 3]

هوى النفس سبب لمخالفة الأنبياء

لقد سلّط القرآن الضوء على إحدى خصائص النبي الأكرم(ص) وقال: «**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى**» [نجم/ 3]. فيتضح أن اتباع الهوى قضية

مهمّة والنبي(ص) منزّه عنها. إن هذه الآية قد كشفت عن رؤية إيجابيّة تجاه مخالفة الهوى.

وهناك عبارات أخرى في القرآن الكريم تصبّ في هذا الموضوع، مثل الآية المباركة التي تحدّثت عن بلعم بن باعورا وشبّهته بالكلب؛ **(وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا)** [الأعراف/176].

وقد قال الله تعالى في آية أخرى: **(لَقَدْ أَخَذْنا ميثاقَ بَنى إِسْرائيلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لاتَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَريقاً كَذَّبُوا وَ فَريقاً يَقْتُلُون)** [المائدة/70]

ليس للحقّ أن يتبع أهواء الناس

ليس للحقّ أن يتبّع أهواء الناس، إذ تنطوي آراء الناس على ما ينسجم مع أهوائهم. يقول الله سبحانه: **(وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فيهِن)** [المؤمنون/ 71]

وقال الله سبحانه في آية أخرى: **(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْديهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَ فَلا تَذَكَّرُون)** [الجاثية/ 23]

إن اتباع الهوى أمر منظّر له في الغرب

تحكي هذه الآيات عن سوء اتباع هوى النفس وما تسبّب فيه من آثار وتداعيات سلبية فلابد من تجنّب اتباع هوى النفس بشدّة. ولكن مع الأسف إن اتباع الهوى أمر منظّر له في الغرب، وكلّ ما اقتضى هوى النفس شيئا أعطوه الحق لذلك. وبعبارة أخرى إن الغربيين قد اعتبروا «حقوق الإنسان» عنوانا معادلا لـ «أهواء الإنسان». ولذلك فقد تغلغلت ظاهرة اتباع الهوى في مختلف تشكيلات حضارة الغرب، بحيث أصبحت القوانين الحاكمة في الغرب والتي لها علاقة بالفكر الغربي تشكّل دومينو الفساد. فلعل تساقط القطع الأولى في هذه الدومينو لا تعدّ أمرا مهمّا، ولكن بعد ما تقدّمت الدومينو في حركتها سوف لا تمرّ بقطعة ذات قيمة إلا وأسقطتها وقضت عليها.

فعلى سبيل المثال قد بدأوا دومينو الفساد في طليعة حركتها بإعطاء رقم هاتفي سهل للأطفال ليشتكوا على والديهم، ولا تبدو عملية سيئة في ظاهر أمرها، ولكن بعد ما انطلقت الدومينو في طريقها، سوف تهدّد قوّة الوالدين الإيجابيّة واللازمة في مسار تربية الأطفال، وكذلك تهدّد احترام الكبار وباقي عناصر الأسرة، كما نرى بعض نتائجها في الغرب. إن دومينو سلب قوّة الأب في الأسرة، وتساوي إرث المرأة مع الرجل على خلاف الأحكام الإلهيّة، والنزعة

إلى التشكيلات الغربيّة والقوانين الغربيّة هي من مصاديق هذه الدومينو الخطرة إن أردنا تطبيقها في بلادنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من المواضيع المهمّة جدّا في طريق جهاد النفس، موضوع المحبّة

من المواضيع المهمّة جدّا التي يلتفت إليها في مسار جهاد الفس، هو موضوع المحبّة. المحبّة تارة تنعقد بالدنيا وتارة تنعقد بالله وبأهل البيت(ع). فلنبيّن بادئ ذي بدء العلاقة بين جهاد النفس وأصل الحبّ، ثم ننتقل إلى موضوع حبّ أهل البيت(ع) والذي لم ينفكّ عن موضوع تقبّل الولاية وإعطاء زمام الإدارة إلى الوليّ.

إن جهاد النفس بمعنى جهاد النفس ضدّ النفس/ السلاح الوحيد لمجاهدة الرغبات التي لا قيمة لها، هو الرغبات الأخرى في قلب الإنسان

جهاد النفس، بمعنى محاربة بعض النزعات السطحية في داخل الإنسان. ولابدّ أن تكون هذه الحرب على يد فئة أخرى من النزعات التي هي في قلب الإنسان أيضا. إذن جهاد النفس بمعنى جهاد النفس ضدّ النفس، ويعني محاربة بعض الرغبات عن طريق رغبات أخرى. إن هذه المعركة قائمة في داخل

الإنسان، وأمّا الإدارة التي تدير هذه الحرب من خارج وجـود الإنسـان ليـس لهـا سوى أن تعطي برنامجا لإدارة هذه المعركة.

السلاح الوحيد المتاح استخدامه في عمليّـة جهـاد النفـس ومحاربـة بعـض الرغائب، هو رغائب من نمط آخر. فإننـا لـو كنّـا ننطـوي علـى رغـائب سـطحيّة وحسب، لا نقدر على هذا الجهاد. في الواقع أثناء جهاد النفس، يتبارزان رغبتـان مع بعض ثم تنتهي عملية الجهاد بتفضيل إحدى الرغبتين علـى الأخـرى. إن هـذه اللحظة هي لحظـة الانتخـاب، فعـبر الانتخـاب الأمثـل نتمكّـن مـن إنتـاج القيمـة وإثبات قيمتنا أيضا. إذن لابدّ أن تكـون محاربـة الرغبـات السـطحية عـن طريـق رغبة ذات قيمة.

ألم تؤدّ محاربة الرغبات إلى ظهور عقد نفسية؟!

أثناء جهاد النفس وعدم تلبية بعض الرغـائب قـد يتبـادر هـذا السـؤال إلـى الذهن، وهو ألم تؤدّ محاربة الرغبات إلى ظهور عقد نفسيّة؟ خاصّة وإن التوصية بجهاد النفس وإبعاد بعض الرغبات قد جاءت متعارضة مع بعض نظريـات علمـاء النفس الذين هم يشيرون علـى الإنسـان بممارسـة كـلّ مـا يحـبّ ويرغـب فيـه ليرتاح نفسيّا.

هكذا يوصّي بعـض العلمـاء النفسـانيّين المتغربيـن فيقـول: «إن كنـت قـد فرحت بحدث ما، مثـل م ا إذا حصـلت علـى إرث ضـخم بعـد وفـاة أبيـك وكنـت

مسرورا جدّا بهذا الإرث، فلا داعي لحضورك في مجلس عزاء أبيك والتظاهر بالحزن واللوعة! بل بالعكس الأولى هو أن تظهر فرحك»! وهذا ما يسمّونه بالصدق في الثقافة الغربية ويعتبر عملا قيميّا. ولذلك يصل بهم الأمر في سبيل تلبية رغبات النفس وعبر تأصيل الصدق أن يزول الحياء من المجمع. ولكن الواقع هو أنه لا يجوز ذبح جميع القيم من أجل صيانة الصدق.

أو على سبيل المثال من يعيش في الغرب يقول: «بعد حياة طويلة مع زوجتي، أشعر بأني أرغب الآن في تكوين علاقة مع زوج مماثل في الجنس، وقد فاتحت زوجتي بذلك بكل صدق وصراحة، فطلقتها وأنا الآن أعيش حياة سعيدة بالزواج المثلي!» فإن هذا الإنسان يشعر براحة كاذبة عبر تلبية أهوائه النفسية، والتي هي لم تكن سطحية وحسب، بل تضيّق الكثير من مواهبه. فلابدّ أن نعلم بأن بعض الشعور بالحاجة إلى أمر ما هو شعور كاذب.

أسلوبان في مواجهة الاحتياجات الكاذبة: 1. أن تلبّي احتياجك لكي ترتاح 2. أن تعزّز رغبة أخرى في مقابل هذه الرغبة لكي تخلص منها

في مجتمعنا الإسلامي إذا اعترت الإنسان رغبة من هذه الرغبات كالنزعة إلى الجنس المماثل ــ كمثال واضح جدّا ــ يرجع الإنسان إلى نفسه مؤنّبا ويقول: «ما هذا الشعور وما أقبحه؟! وكيف اعتراني هذا الشعور ولماذا؟ ثم إن

الإدارة العامّة للمجتمع الإسلامي قد حظرت ذلك وجعلته في عداد الرغبات الممنوعة. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «**مَا نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَ أَغْنَى عَنْه**» [غرر الحكم/ 3786] فعندما يمنع هذا المدير العام هذا الفعل، فلا يحقّ لي أن أرغب فيه».

فلا يختبئ هذا الهوس خلف عنوان الصدق كما يحصل اليوم في المجتمع الغربي، بل يجب أن يحارب هوى النفس هذا بسلاح الحياء. يقولون في الغرب: أرح نفسك ولا تجامل أحدا ويعبّرون عن هذا السلوك بالصدق. فأحد عوامل شيوع بعض مظاهر الصدق في الغرب هو مثل هذه الأخلاقيات التي يوصّي بها علماء النفس هناك.

بينما عالم النفس الذي يريد أن يلتزم بالنظرية الإسلامية في معرفة الإنسان، يقول لمن رغب في المثليّة مثلا: «إن حاجتك هذه حاجة كاذبة، فاقطع علاقتك مع هذه الرغبة وعزّز علاقتك مع الله، لكي يتضاءل هذا الشعور». هذان تفكّران وحضارتان أمامكم، فالأولى تشير عليك بتلبية رغباتك لكي ترتاح، أما الرؤية الثانية تقول: قوِّ رغبة أخرى لكي تنجو من رغبتك السيئة هذه.

إن جهاد النفس لا يعقّد الإنسان نفسيّا

هل أن عدم تلبية رغبة من رغبات الإنسان يؤدي إلى ظهور بعض المشاكل من قبيل الابتلاء بعقد نفسيّة ويضرّ بالإنسان؟ يقول علماء النفس في

الغرب: لأنك قد تتأذّى فلا تجاهد نفسك فخذ راحتك وكن على رسلك، إذ قد يضرّ بك هذا الجهاد. ولكنّنا نقول إن جهاد النفس لا يلحق ضررا بالإنسان، إذ عندما تحارب رغبة سيئة، فإنك في الواقع تحاربها برغبة حسنة، فإذا قويت هذه الرغبة الحسنة، يصبح جهاد النفس إرضاء للنفس من جهة أخرى.

فعلى سبيل المثال إنك تحبّ الله وتشعر باللذّة والبهجة عند امتثال أمره، أو إنك تحب يوم القيامة ومغتبط بكونك محترما ومثابا في ذلك اليوم، فإنك عندما تترك إحدى رغباتك السطحية لصالح حبك لله ورغبتك في يوم القيامة، في الواقع قد لبّيت رغبة أقوى وأهم. لذلك تصفو روحك وينتابك شعور باطمئنان أعمق لكونك قد لبيت رغبتك المثلى والأهم.

إن الرغبة في التقرّب إلى الله أصيلة وأعمق جذورا، فإذا أقصيت رغبة سطحية لغرض تلبية هذه الرغبة لن تصاب بعقد نفسيّة، إذ قد لبّيت نزعة ورغبة أعمق فلا تحزن لينجر حزنك هذا إلى عقد نفسيّة.

روي عن رسول الله(ص) أنه قال: «**النَّظِرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللَّهِ أَعْطَاهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِى قَلْبِه**» [مستدرك السائل/ ج 14/ ص 268]. فمن غضّ بصره عن الحرام فهو في الواقع قد لبّى رغبة أخرى من رغباته. إن الحبّ الذي أعانك على غضّ النظر عن الحرام هل هو موجود أم لا؟! فإذا كانت هذه النزعة والرغبة موجودة

فلا شكّ في أنك قد استمتعت بتلبيتها. إن كنت قد عزّزت حبّك لله ولأهل البيت(ع)، سوف تجاهد نفسك من منطلق هذا الحبّ ولن تصاب بعقد نفسيّة، لأنك في نفس الوقت الذي تجاهد رغبة ما، تلبّي رغبة أخرى وهي أقوى وأعمق منها.

لابدّ أن نضيّق سعة تلبيتنا لرغباتنا القليلة القيمة بحسب ظرفنا

جهاد النفس يعني محاربة الرغبات السيئة والعديمة القيمة. ولكن لابدّ أن نعرف أن أسلوب محاربة هذه الرغبات ليس هو أن نتركها بتاتا. فإنه يجب عليكم أن تلبّوا بعض رغباتكم وإن كانت قليلة القيمة، ولكن لابدّ من تضييقها.

لقد كان أولياء الله قد ضيّقوا رغباتهم القليلة القيمة إلى أقصى حد، بينما نحن فلابدّ أن نضيّق سعة تلبيتنا لرغباتنا القليلة القيمة بحسب ظرفنا. أمّا وسيلة تضييق الرغبات القليلة القيمة وإزالة الرغبات السيئة، فهي الرغبات العميقة. يجب أن نعزّز رغباتنا العميقة وهذا أمر ممكن.

تعزيز الحبّ لله عمل صعب

تعزيز الحبّ لله ليس بعمل هيّن، إذ ما دام قلب الإنسان ينطوي على حبّة من خردل من حبّ الدنيا، لن يدخل فيه من حبّ الله شيء. فقد روي عن أمير المؤمنين(ع): «**كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ وَ اللَّيْلَ لَا يَجْتَمِعَانِ كَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَ حُبُّ الدُّنْيَا لَا يَجْتَمِعَانِ**» [غرر الحكم/ 2513] إذن لابد من المحاولة لتعزيز

رغبات عميقة أخرى. فعلى سبيل المثال: 1ـ إن حبّ الجنة ورضوان اللـه أهـون على الإنسان من حبّ الله. 2ـ بمقدور الإنسان أن يعزّز خوفه من النـار ويتقـوّى به على خفض حبّ الدنيا. إن الخوف مـن نـار جهنّـم يسـتبطن فـي داخلـه حـبّ العافية الأبدية، فإذا اشتدّ هذا الحبّ جدير به أن يكون حافزا لجهـاد النفـس. 3ـ الطريق الآخر لإضعاف الرغبات السيئة هـي أن نسـتخدم حـبّ الصـحّة والعافيـة في هذه الدنيا. فلنذكر أنفسنا بأنّ ارتكاب الذنوب تلحق بنا مشاكل وأضرارا في هذه الدنيا فضلا عن الآخرة، إذ أن كثيرا من مصائبنا الدنيوية قد حلّت بنا بسـبب ذنوبنا.

المستويات المختلفة في الرغبات الجيّدة

كما عرفنا أن السلاح الوحيد لمحاربة الرغبات السيئة هو الرغبات الجيّـدة. وإن قمّة الرغبات الجيّدة هي حبّ الله. أما حبّ الجنة فيقع في وسـط الرغبـات الجيّدة والخوف من نار جهنّم يقع في مرتبة نازلـة مـن حـبّ الجنّـة وهـو أسـهل حصولا لدى الإنسان. ثم يأتي بعد ذلك الخوف من المصائب الدنيوية. فكـلّ هـذه المشاعر والنزعات كامنة في قلب الإنسان. كما يقع الخوف مـن ضـغطة القـبر ونزع الروح وسكرات الموت بين الخوف من مصائب الدنيا وغذاب الآخرة، فلابدّ من صرف الوقت على هذه المشاعر ودراسـة الروايـات ذات الصـلة بهـا. ولابـدّ من بذل قصارى الجهود في سبيل تعزيز هـذه المشـاعر وتمريـن النفـس عليهـا

والتفكّر فيها والمطالعة حولها وتعزيزها. وقد سهّل الله في شهر رمضان عمليّة تعزيز الرغبات الجيّدة.

إن شهر رمضان لفرصة رائعة لتعزيز الأهواء الصالحة. كلّ ذنب تتركه وكل جرعة غيظ تتجرعها وكلّ أمر إلهي تمتثله من شأنه أن يعزّز رغباتك الصالحة، كما بإمكانك أن تبادر بتعزيز هذه الرغبات بشكل مباشر. فمن يلبّي أهواءه الحميدة تصفو نفسه وتزداد حيويّة ونشاطا، كما تجلو نفسه الراضية والمطمئنة أيضا.

من بين المشاعر الصالحة، الشعور الذي يدفع الإنسان إلى الأمام أسرع، هو حبّ أهل البيت(ع)

إن حبّ أهل البيت(ع) يقضي على الأهواء القليلة القيّمة. إذا لبّى الإنسان هوى نفسه، يخرج عن اعتداله ويسلب الحكمة ويعجز عن الفهم والمعرفة. بينما إذا عزّز الإنسان نزعاته الصالحة يتعادل روحه.

يقول أمير المؤمنين(ع): «**ذِكْرُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ شِفَاءٌ مِنَ الْوَغَلِ وَ الْأَسْقَامِ وَ وَسْوَاس الرَّيْبِ وَ حُبُّنَا رِضَا الرَّب**» [تحف العقول/ 114]

قال رسول الله(ص): «**مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ حُبَ الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَقَدْ أَصَابَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلَا يَشُكَّنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ فَإِنَّ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي عشرون [عِشْرِينَ] خَصْلَةً عَشْرٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا وَ**

عَشْرُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ أَمَّا الَّتِي فِـي الـدُّنْيَا فَالزُّهْـدُ وَ الْحِـرْصُ عَلَـى الْعَمَلِ وَ الْوَرَعُ فِي الدِّينِ وَ الرَّغْبَةُ فِي الْعِبَادَةِ وَ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَـوْتِ وَ النَّشَاطُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ وَ الْيَأْسُ مِمَّا فِـي أَيْـدِي النَّـاسِ وَ الْحِفْـظُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ التَّاسِعَةُ بُغْضُ الدُّنْيَا وَ الْعَاشِرَةُ السَّـخَاءُ وَ أَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُنْشَرُ لَـهُ دِيـوَانٌ وَ لَا يُنْصَـبُ لَـهُ مِيـزَانٌ وَ يُعْطَى كِتابَهُ بِيَمِينِـهِ وَ يُكْتَـبُ لَـهُ بَـرَاءَةٌ مِـنَ النَّـارِ وَ يَبْيَـضُّ وَجْهُـهُ وَ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ وَ يَشْفَعُ فِي مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِـهِ وَ يَنْظُـرُ اللَّـهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَ يُتَـوَّجُ مِـنْ تِيجَـانِ الْجَنَّـةِ وَ الْعَاشِـرَةُ يَـدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْـرِ حِسَـابٍ فَطُـوبَى لِمُحِبِّـي أَهْـلِ بَيْتِـي» [الخصـال/ج 2/ص 515]

كلّما تمّ جهاد النفس بشكل أفضل، كلّما ازداد الإنسان حبّا لأهل البيت(ع)، وكلّما ازددت حبّا لأهل البيت(ع) تزداد قوّة على جهاد النفس. فأرجو أن لا نكون من الخجلين يوم القيامة أمام الحسين(ع) إذ يقول الله لنا، أما كان الحسـين(ع) أهلا لأن تعشقه وتحبّه أكثر مما كنت تحبه؟! فلماذا لم تسمح له بأن يحتلّ قلبـك برمّته؟!...

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

الهدف الرئيس من جهاد النفس هو إذلال النفس لربّ العالمين/ الفناء في الله يعني منتهى الذلّ لله سبحانه/ إن الحكمة من جميع الآلام والمحن في مسار جهاد النفس هي إذلال النفس لله سبحانه

لقد انتهينا في الجسلة السابقة إلى العلاقة بين عنصر الحبّ وجهاد النفس. واحدة من الأهداف المهمّة في مسار جهاد النفس هو إذلال النفس لربّ العالمين. إن معنى إذلال النفس للّه هو أن لا تخضع لغيره أبدا. إن الخضوع والذلّ للّه هو الطريق الوحيد للعزّ مع غير الله عز وجل.

نحن نسجد مرّتين في كل ركعة من الصلاة فننحني بكل وجودنا ونعفّر وجوهنا للّه سبحانه. ولا نجد مثل هذه العبادة في باقي الأديان. نحن نسجد للّه ونفتخر بسجودنا، مع أن السجود لا يعبّر عن حالة جيّدة من حالات الإنسان، ولكن لأن إظهار الذلّ هذا، هو للّه عز وجل فنقوم به بكل فخر. إن الذلّ للّه أمر مهم ولابدّ من ممارسته.

تكبيرة الإحرام التي بها تبدأ الصلاة ولعلّها من أهمّ المواطن التي يجب أن نستحضر القلب فيها، هي في الواقع تعبّر عن كبرياء الله وتشير إلى ذلّنا في مقابل اللّه سبحانه. لابدّ لكل فردٍ منّا من تكرار هذا المعنى دائما؛ وهو أنه يجب

عليّ أن أتذلّل للّه. يعبّر العرفاء عن هذا المعنى بالفناء في اللـه، والـذي يعنـي منتهى الذلّ في مقابل ربّ العالمين.

إن أكثر المتكبّرين لا يصدّقون بأنهم متكبرون/ ينمو التكبّر يوميّا ولا يمكن استئصاله بسهوله

إن محاربة التكبّر لأمر مهمّ جدا، لأنه مرض خطر جدا قد يقضي على الإنسان في أول ظهور له. فعلى سبيل المثال إن إبليس قد عصى ربّه مرة واحدة فقط عن كبر، فهوى بهذه المرّة الواحدة؛ **(وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْليسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرينَ)** [البقرة/34] وكذلك يعتبر القرآن المعرضين عن دعاء اللـه متكبّرين؛ **(وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَأْكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ)** [الغافر/60] وقد قال الإمام السجاد في شرح هذه الآية مخاطبا ربّه: «**فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَ تَرْكَهُ اسْتِكْبَارا**» [الصحيفة السجادية/ الدعاء 45] فعلى الرغم من هذا المصداق الذي حدّده القرآن من الكبر، ترى أكثر المتكبّرين لا يصدّقون بأنهم متكبّرون. وحريّ بالذكر أن الكبر ينمو يوميّا ولا يمكن استئصاله بسهولة.

الصلاة أهمّ برنامج تربوي في سبيل استئصال الكبر في مقابل الله/ لا يمكن القضاء على الكبر بإظهار الحبّ لله وحسب

أهم برنامج تربوي يعين الإنسان على أن لا يكون في قلبه كبر في مقابل الله هو الصلاة، وأهمّ ذكر في الصلاة هو التكبير. فيجب عليك أن تحارب كبرك عن طريق تذكار كبرياء الله، وإلّا فلا يمكن القضاء على الكبر عبر إرسال رسائل الحبّ والعشق للّه وأن تقول له: «إلهي أحبك». إنّ طريق القضاء على الكبر هو أن يأتي متكبّر فيفني كبرنا وهذا المتكبّر هو الله فبكبره وبذكر كبريائه يزهق كبرنا.

من أهمّ أمنيّات الإنسان الفطريّة هي أن يكبر قدرا/ الطريق الصحيح إلى الرفعة والعظمة هو الاتصال بالكبير لا التكبّر/ إذا رأى الإنسان نفسه في غاية الصغر، عند ذلك يتصّل بالعظيم الكبير

من أهمّ أمنيات الإنسان الفطرية هي أن يكبر قدرا، وإنّ الله هو الذي أودع في وجود الناس حبّ العظمة والرفعة. قد يتجسّد الكبر أحيانا في حبّ المقام، حتى أن بعض الناس يفدون حبّ المقام بدنياهم وآخرتهم. إن حبّ المقام مظهر من مظاهر الكبر وهو آخر صفة تخرج من قلوب الصدّيقين. صحيح أن الكبر صفة سيئة ولكنه منطلق من نزعة فطرية غير أنها منحرفة. إن

فطرتنا الإلهيّة تقتضي أن نودّ العظمة والرفعة، ولكننا إن استعجلنا في الاتجاه نحو العظمة والرفعة وسلكنا طريقا خاطئا لذلك، نصبح متكبّرين.

الطريق الصائب إلى الرفعة والعظمة هو الاتصال بالله الكبير المتعال. فإن لبّى الإنسان النزعة إلى الكبرياء المودعة في فطرته بغير صواب، يهوى في هاوية الكبر. بينما إذا لبّاها عبر طريق صائب، يتّصل بالله العظيم الكبير. إذا رأى الإنسان نفسه في منتهى الصغر سوف يتصل بالله العظيم، أما ليس ذلك بأمر هيّن، فهو بحاجة إلى سجود كثير وتذلّل طويل.

خمس خطوات من أجل التوجّه والتذلّل في الصلاة

توجَّه إلى ظاهر جسدك وهيأتك أثناء الصلاة، وانظر في أيّ هيأة يكون جسدك إن وقفت للصلاة. فانظر إلى هذا الخشوع! السجود هو نوع من أنواع الأدب فأدّه بشكل صحيح. فإذا أردت أن تتوجّه في الصلاة لابدّ لك أن تخطو هذه الخطوات؛ الخطوة الأولى: هي الالتفات إلى السلوك والأفعال. الخطوة الثانية: هي الالتفات إلى عبارات الصلاة. الخطوة الثالثة: هي التفكر في العبارات. الخطوة الرابعة: هي التأمل في العواطف ومشاعر الحبّ الكامنة في أذكار الصلاة بشكل عام. الخطوة الخامسة: التأمل في العواطف ومشاعر الحبّ الكامنة في كلّ ذكر من أذكار الصلاة بشكل خاص. إن هذه الخطوات تعيننا على

التذلّل بين يدي الله. فليعلم أولئك الذين يطمحون إلى الرفعة والعظمة أن هـذا طريقهم.

إن لله العظمة والكبرياء وقـد صـوّر كبريـاءه فـي القـرآن. لقـد مـدح اللـه نفسه كثيرا في القرآن والإنسان المتكبّر لا يستحسن هذا الأسلوب من الله عــز وجل. إن بعض الناس لا يعجبه الكلام عن تكبّر الله، ولكن لا ينبغي أن نعتبر تكبّر الله أمرا في مقابل رحمته، بل إن الغضب هو في مقابل رحمته. أمـا التكـبر فلا تقابله صفة من صفات الله الأخرى. فلا يمكن أن نقول أن الله متكبّر ومتواضـع. إذ أنّ الله ليس بمتواضع ولا يتنازل عن كبريائه.

نحن لا ننفكّ عن صفة التكبّر لحظة

نحن نصبو إلى لقاء الله، ولكن لابدّ أن نعرف أنه إله كبير ومتكبّـر. الصـلاة تمرين للقاء الله وفي نفس الـوقت تتضـمّن طلبـا للقـائه. إن أعظـم فعـل فـي الصلاة وأكثرها قيمة هو السجود. وأهمّ فعل جدير بـالتوجّه هـو تكـبيرة الإحـرام. إن علاقتنا مع الله هي علاقة الذليل مع المتكبّر. طبعـا ينمـو التكبّـر فـي وجودنـا يوميّا ولذلك فلابدّ من القضاء عليه وتبديله إلى التذلّل عبر الصلوات اليوميّة. إن كثيرا من أمراضنا الروحية من قبيل الحسد والبخـل والطمـع وغيرهـا توجـد فـي القلب تارة وتعدم تارة أخرى، أما الكبر فهو مشكلتنا الثابتة والدائمة.

إن أهمّ طموح نسعى إليه نحن البشر هو الطموح إلى الكبريـاء والعظمـة، ولكننا لا نرى هذا الطموح، كالسمكة التي تسأل عن الماء وهي في بطن البحر؟ فنحن لا ننفك عن التكبّر أو طلبه أو التحسّر عليه. ومن جانب آخر لابدّ أن نعرف أن الكبر هو أمّ الرذائل كلّها. ولذلك وجبت الصلاة التي هي برنامج لتـذلل العبـد إلى مولاه المتكبّر. إن درجات ذلّنا لله ليسـت بسـواء، ولكـن طـوبى لمـن كـان أكثرنا ذلّا وتذللا لله سبحانه.

لابدّ لنا من التذلّل حتى نتناسب مع ربّ العالمين/ كيف يمكن الوصول من الحبّ إلـى الـذلّ؟/ إذا اشتدّ المحبّ حبّا للمعشوق يتذلّل إليه

كيف نستطيع في طريقنا في جهاد النفس أن نصل من الحبّ إلـى الـذلّ؟ من أجل الإجابة عن هذا السؤال يجب أن نعـرف أن الغايـة القصـوى مـن جهـاد النفس هي لقاء الله. ثم إن كبرياء اللـه مقدّمـة علـى بـاقي مظـاهره وجلـواته، ولذلك فلابدّ لنا من التذلل حتى نتناسب مع كبرياء الله ونقدر على لقائه. لابدّ أن نقضي على أنانيتنا لنرتقي إلى درجة الفناء في اللـه. كلّنـا يتمنـى أن يكـبر شـأنا وقدرا ولكن لا يجوز أن نتعاظم بغير صواب أو أن نتـوهّم العظمـة، أو أن نسـلك سبيلا غير مشـروع لنيـل هـذه الغايـة. فإنمـا أودعـت فينـا الرغبـة فـي العظمـة والرفعة من أجل أن نحبّ الله العظيم.

من العوامل التي تؤدّي بالإنسان إلى ذلّ عميق، الحبّ. فإن ترسّخ الحـبّ، وامتدّ بجذوره في أعماق قلب المحبّ، ينـذل المحـبّ للحـبيب. فـالحبّ الـذي لا يذلّك للحبيب ليس بحبّ عميق، بل هو حبّ مزيّف. إن من طبيعة الحب أن يـذلّ العاشق للمعشوق حتى يتقبّل امتنانه.

إذا ذهبـت إلـى حـرم أميـر المـؤمنين(ع) فـذلّل لـه روحـك وقلبـك. فهكـذا استطاع إمامنا الخميني(ره) أن يقف إلى جانب ضريح أميـر المـؤمنين(ع) لمـدة خمس عشرة سنة يوميّا ويزوره بزيارة الجامعة الكبيرة. فانظروا كم كان الإمام الخميني(ره) يظهر التذلل لأهل البيت(ع).

أقصر طريق لجهاد النفس هو الاستعانة بأهل البيت(ع)/ إن حبّ أولياء الله يذلّل النفـس للّـه سبحانه

العشق يذلّ الإنسان. إذا رأى الإنسان نفسه فاشلا في جهاد النفـس مهمـا حاول وسعى، فليعلم أن هناك طريـق مختصـر. إن هـذا الطريـق هـو الاسـتعانة بحبّ أهل البيت(ع). إنّ أثر حـبّ أوليـاء اللـه الـذي هـو أسـهل مـن بـاقي أنـواع الحبّ، هو أن يذلّ النفس للّه سبحانه. لأننا نحبّ الإمام علي بن أبيطالب(ع) من أجل الله، فعندما نحبّ أحدا للّـه، فكأننـا أحبنـا اللـهَ نفسـه. «**مَنْ أَحَبَّنَـا فَقَـدْ أَحَبَّ اللَّهَ**» [أمالي الصدوق/476] نحن نحب أمير المؤمنين(ع) وكلّا من سادتنا

المعصومين(ع) لأنهم أولياء الله. وعندما يكون حب أهل البيت(ع) هو العامل في إذلال نفسك للّه، يصبح جهاد النفس كشرب الماء.

يقول الإمام الصادق(ع): الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين(ع)

لقد قال النبي الأعظم(ص): «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَ عِتْرَتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عِتْرَتِهِ وَ ذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِه**» [أمالي الصدوق/ 335].

وكذلك قال الإمام الصادق(ع) في دعاء له مشيرا إلى قوله تعالى **(اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيْمِ)**: «**أَرْشِدْنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَرْشِدْنَا لِلُزُومِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتكَ وَ الْمُبَلِّغِ إِلَى دِينِكَ وَ الْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَنَعْطَبَ أَوْ نَأْخُذَ بِآرَائِنَا فَنَهْلِك**» [معاني الأخبار للشيخ الصدوق/ 33].

وكذلك قال الإمام الصادق(ع) في حديث آخر له: «**الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ(ع)**» [التفسير الصافي/ج 4/ص 384 , تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة/ 31].

لقد أشار الله سبحانه في سورة الحمد بعد الآية المباركة **(اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيْمِ)** إلى أوليائه ليرى حالنا عند ذكرهم وموقفنا منهم. فعندما تقرأ هذا المقطع من سورة الحمد وتقول: **(اِهْدِنَا الصِّراطَ**

الْمُسْتَقِيْمِ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم) لابدّ أن تكـون متواضـعا لأولئـك الذين أنعم الله عليهم ولم يغضب عليهم، أي أهل البيت(ع).

إن بعض الناس ينزعجون ولا يرتاحون عندما يرون أن اللـه قـد أنعـم علـى غيرهم فيسألون اللـه معترضـين أن: مـاذا نصـيبنا إذن ولمـاذا لـم تنعـم علينـا؟! ولكننا في هذه الآية المباركـة نسـأل اللـه أن يهـدينا صـراطهم لا أن ينعـم علينـا بالنعم التي أنعمها عليهم. فالإنسان الذي يدعو بهذا الدعاء في الواقع قد تواضـع لوليّ الله. وأنتم عندما تقرأون سورة الحمد في الواقع تتواضـعون لأوليـاء اللـه. لقد أشار الله في هذه السورة إلى صراط أوليـائه وفـي الواقـع قـد نسـب هـذا الصراط إلى أوليائه لا إلى التقوى أو الفضائل الأخلاقية أو الحسنات أو الجنّـة أو أيّ شيء آخر. وكأنه أراد أن نمرّ بوليّ الله أولا ليقيّم حالنا ووضعنا عند مشاهدة أفضلية وليّ الله على سائر العباد.

العلاقة بين الحبّ وجهاد النفس من نافذة الإخلاص/ لا يستطيع العمل أن يقرّب الإنسان بدون الإخلاص

لم يكتمل بحثنا في العلاقة بين الحبّ وجهاد النفـس بعـد، ومـا زال بحاجـة إلى المزيد من التأمّل. لقد دخلنا في الجلسة السابقة فـي موضـوع الحـبّ عـبر موضوع ذلّ النفس في مقابل كبرياء الله سبحانه. أمّا في هذه الجلسة فسـوف

نقف عند موضوع الحبّ عن طريـق مفهـوم آخـر باسـم «الإخلاص» لكـي نلقـي نظرة أفضل إلى مسار البحث.

إن الأخلاص من المفاهيم البارزة في الدين. فقد قـال أميـر المـؤمنين(ع): «**الْإِخْلَاصُ غَايَةُ الدِّين**» [عيون الحكم/ ص 20] يعني أنّنا نريـد أن نصـل إلـى هذه النقطة في آخر المطاف. ليس الإخلاص غاية الدين فحسب، بل محتاج إليه في بداية الحركة أيضا، إذ أن الله لا يقبل عملا غير خالص.

طيّب؛ ما معنى كون اللـه لا يتقبّـل عملا بلا إخلاص؟ هـل معنـاه أن العمـل غير الخالص هو عمل واقعا ولكـن اللـه لا يعجبـه ولا يقبلـه؟ أو إن معنـاه هـو أن العمل بغير إخلاص ليس بعمل أساسا ليدفع العبد إلـى اللـه. لا يمكـن أن تكـون عمليّة قبول العمل أو رفضه على أساس الذوق أو قـوانين اعتباريـة. وأساسـا لا يستطيع العمل بغيـر إخلاص أن يقـرّب أحـدا. بـل إن العمـل الخـالص هـو الـذي يستطيع أن يترك أثرا وضعيّا في العـالم ويغيّـر مـوقعكم فيـه ويصـعد بكـم إلـى المقام الأعلى. كان المفترض في مسار جهاد النفس أن نـذلّ النفـس ونحقّرهـا في مقابل الله لا أن نقوم بأعمال صالحة لصالح النفس. السبب في عدم قبـول العمل غير الخالص هـو أن العمـل غيـر الخـالص ذاتـه لا يمكـن أن يقبـل، فكـأن الإنسان لم يعمل شيئا إن كان عمله غير خالص.

إن ماهية حركة الإنسان التكاملية والهادفة إلى الدرجات العليا هي أن يعمل من بداية المطاف إلى نهايته على خلاف رغبة نفسه التي تحاول أن تمتلك كل شيء وتجرّ إليها كلّ مصلحة ولذّة. حتى أنّها تحاول أن تصادر الصلاة في أول الوقت لصالحها وتستخدم هذا السلوك أداة للحصول على بعض المكاسب. ولذلك يمتحننا الله أحيانا بأعمال أهمّ من الصلاة في أول الوقت ليرى هل سوف نبقى ملتزمين بوقت الصلاة أم سوف نقوم بذلك الفعل الذي هو أكثر ضرورة وله الأولوية عليها.

الأعمال الأكثر إخلاصا هي ما كانت بضررك لا لصالحك

أيّ الأعمال أكثر إخلاصا؟ هو ذاك العمل الذي كان بضررك لا لصالحك. يعني ينبغي أن يكون العمل بالنحو الذي يعزّز تذلّك للّه. إنّ شرط العمل الخالص هو أن لا يكون من أجل كسب قلوب الناس والجاه، إذ أن مثل هذا العمل في الواقع عمل للأنا ولصالح الأنا. عندما يقال أن الإخلاص يعني أن لا يكون عملك في سبيل إظهار الفضل للناس، فمعنى ذلك هو أن لا يكون العمل من أجلك. يتجسّد عدم الإخلاص في جرّ المصالح للنفس أما الإخلاص فهو العمل في سبيل الله.

نمطان للحياة: 1- رغبة النفس في امتلاك كلّ شيء وانتفاعها به 2- رغبة النفس في أن يمتلكها الله ويستعملها لأجله

إن لنا نمطين في الحياة. وبعبارة أخرى هناك رؤيتان عن الحياة تختلف أحدها عن الأخرى تماما وهما ساريتان في حياة الناس. بمقتضى الرؤية الأولى يسحب الإنسان كلَّ شيء إلى نفسه. فإن كانت هناك رغبة، فمحور رغباته كلّها نفسُه. والمعيار في ما يحبّه ويشتهيه هو ما كان لصالحه. ففي مثل هذه الحياة سوف تكون أنت المحور وتسعى لامتلاك كلّ شيء. إن هذه الرؤية على خلاف الإخلاص.

ولكن في الرؤية الثانية، ليست علّة الرغبات والمساعي كلّها امتلاكَ المصالح، بل أن يشتريك الله. فبمقتضى هذه الرؤية عن الحياة، أنت تحبّ أن تُجذب إليه لا أن تجذب كلّ شيء إليك. إن هاتين الرؤيتين على طرفي نقيض، وإن بعض الناس لا يبلغون أبدا لإدراك النموذج الثاني من الحياة.

في النمط الأوّل من الحياة، إنما تفكّر بما ترغب فيه وما تشتهيه؟ ولكن في النمط الثاني لا تزال تسأل عن ما يحبّه الله وما يرضى به. إن هذين الاهتمامين والتفكيرين يعبّران عن رؤيتين وشعورين ونوعين من الحبّ، أحدهما يحاول جذب كلّ شيء إلى نفسه، والآخر لا يفكرّ إلا به عزّ وجل.

الحبّ الأناني يهدف إلى امتلاك المحبوب والتضحية به من أجل المحبّ، بينما الحبّ غير الأناني يصبو إلى تضحية المحبّ في سبيل المحبوب/ تروّج الثقافة الغربية الحبّ الأناني/ الأفلام الغرامية الغربية تروّج الأنانيّة لا الحبّ

من هنا تظهر علاقة الحب مع الإخلاص وهي أن الحبّ الشديد الذي يذلّ الإنسان للحبيب هو ذلك الحبّ الذي يرغّبك في الانجذاب وفي أن تكون مملوكا، لا أن تجذب وتمتلك. إن الحبّ الشديد الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: **(وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)** [البقرة/ 160] من هذا النوع.

لو كان الناس قد أدركوا قبح الحبّ من النوع الأوّل بدقّة، لما رغب أحد بمشاهدة الأفلام الغرامية، ولاشمأزّ الناس من مشاهدة لقطات المحبّ الأناني عندما يحاول أن يمتلك حبيبه ويتمتّع به. تروّج الثقافة الغربيّة لغرام يسعى المحبّ فيه أن يصادر لصالحه كلَّ شيء، وقد دفعت هذه الرؤية الأسَرَ إلى هاوية عميقة من الأنانيّة، ولم تجلب لهم المحبة. بينما في المقابل يوصّي ديننا الإسلام الرجال بأن يراعوا رغبة أهلهم في الحياة ولا يكونوا أنانيّين في تقييم المضارّ والمصالح. فعلى سبيل المثال قال رسول الله(ص): «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ بِشَهْوَةِ عِيَالِهِ، وَ الْمُنَافِقُ يَأْكُلُ أَهْلُهُ بِشَهْوَتِه**» [وسائل الشيعة/ ج 21/ص 542] تحاول الثقافة الغربية بشتّى الأساليب أن تحوّل المرأة والرجل إلى إنسانين إنانيّين بحيث كلّ يجرّ النار إلى قرصه.

السعي في سبيل أن لا تكون أنانيّا ولا تجعل نفسك محورا في كلّ شيء و لا تهدف إلى جرّ المصالح إلى نفسك هو تمرين الإخلاص. الحبّ القيّم هو ذلك الحبّ الذي يدفعك إلى امتلاك المحبوب وجرّ المصالح، ولكن قلّ من يفهم هذا الحبّ اليوم.

سرّ الحسد لوليّ الله/ الإنسان الأناني الذي يهدف إلى تملّك المصالح، لا يتحمّل أن يرى عبدا قد تفضّل الله عليه أكثر منه، فيحسده

ما الفرق بين الحبّ بغرض الامتلاك والتمتّع وبين الحبّ من أجل الانجذاب وبيع النفس إلى الله؟ إن لسان حال الإنسان الذي يحبّ الله ليجذبه ويشتريه هو أن يقول له: «**فَوَ عِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي لَوْ نَهَرْتَنِي مَا بَرِحْتُ مِنْ بَابِكَ وَ لَا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ**» [مصباح المتهجد/ج 2/ص 586] كما يحمد الله على تفضّله وتنعّمه على غيره من أولياء الله فيقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ، الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَ دِينِكَ، إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ**[1] **الْمُقِيمِ، الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَ لَا اضْمِحْلَالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي زَخَارِفِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَ زِبْرِجِهَا، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ، وَ عَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ. فَقَبِلْتَهُمْ وَ قَرَّبْتَهُمْ، وَ قَدَّمْتَ**[2] **لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَ الثَّنَاءَ الْجَلِيَّ، وَ أَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ، وَ كَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَ رَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَ**

جَعَلْتَهُمُ الذَّرَائِعَ إِلَيْكَ، وَ الْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ.»[إقبال الأعمـال/ج 1/ص 295]

أمّا فـي العشـق الأرضـي فلا يرضـى العاشـق بـأن يقبـل المعشـوق علـى الآخرين، إذ لا يهدف العاشق إلّا إلى امتلاك المعشوق. أمـا الأمـر يختلـف تمامـا فـي عشـق اللـه وعشـق أهـل الـبيت(ع)، وهنـا يتّضـح سـر الحسـد لـوليّ اللـه. فالإنسان الأناني الذي ينتحل محبّة اللـه ولكنّـه يهـدف إلـى تحقيـق مصـالحه ولا يحظى بالإخلاص، إذا رأى أن الله قد تفضّل وأنعم على عبدٍ غيره، ينزعج ويحزن ويقول لربّه بلسان حاله: «لقد جئتك وتعبّدت بين يديك وأطعتك، ثم أنت تتفضّل على غيري وتتحبّب إليه من دوني؟!» وهكذا يتغلغل الحسد في قلبه تجـاه ولـيّ الله.

وكم قد حسدوا عليّا أمير المؤمنين(ع) بسبب هذه النفسيّات. إذ كان يتوقّع بعـض المسـلمين الـذين قـدّموا الحـد الأدنـى مـن الخـدمات للإسـلام وللنـبيّ الأعظم(ص) أن ينضمّ النبي(ص) إلى تياراتهم وجماعاتهم. فعندما شـاهدوا حـبّ النبي(ص) لأمير المؤمنين(ع) واهتمامه الخاص به دون غيـره، خرجـت أضـغانهم وحسدوا عليّا(ع). بينما لو كانوا بحبّون النبيّ(ص) لا لمصالحهم بل في سـبيل أن يتقرّبوا إليه ويشتريهم ليكونوا عبيدا له لما كان ردّ فعلهم مثل هذا.

ما هو تأثير الصوم على الإخلاص؟/ يترك الإنسان أثناء الصيام السعي لامتلاك المصالح وجرّها إلى نفسه

لقد قالت السيدة الزهراء(س): «**فَجَعَلَ اللَّهُ...الصِّيَامَ تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ**» [الاحتجاج/ج 1/ص 99] إذن على أساس ما قالته فاطمة الزهراء(س) إن ثمرة الصيام كسب الإخلاص، ولكن لابدّ أن نقف عند هذا المفهوم لنرى ما هي علاقة الصيام مع الإخلاص وكيف يؤثر الصيام على الإخلاص.

عندما تصوم وتمسك عن الطعام والشراب، يتسنّى لك القيام بالعمل الخالص. إن الصيام هو ترك أولَيات ما تشتهيها النفس بطبيعة الحال. إنك تترك أثناء الصيام السعي لامتلاك المصالح وجرّها إلى نفسك. وكسب الإخلاص هو شيء من قبيل أن يشتريك المحبوب ويجعلك عبدا لنفسه، لا أن تمتلك المحبوب وتنتفع به. ولا يخفى أن تحصيل الإخلاص ليس بعمل هيّن.

روايتان في الحبّ

روي عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: «**إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فِيكَ خَيْراً فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَ يُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَفِيكَ خَيْرٌ وَ اللَّهُ يُحِبّكَ وَ إِنْ كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَ**

يُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ وَ اللَّـهُ يُبْغِضُـكَ وَ الْمَـرْءُ مَـعَ مَـنْ أَحَبّ» [الكافي/ج 2/ص 127] وروي عن الإمام الصادق(ع): **«مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَ أَبْغَضَ لِلَّهِ وَ أَعْطى لِلَّهِ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَ إِيمَانُه»** [الكافي/ج2/ص 124]

الساعة التي يمكن تجربة الإخلاص فيها بسهولة، هي الساعة التي نعيش فيها مشاعر الحبّ لأهل البيت(ع)

إن أهل البيت(ع) لفرصة استثنائية في تحقيق الإخلاص، إذ حتى الأنانيّين من الناس قادرون على حبّ أهل البيت(ع) نوعا ما. والسبب في ذلك هو أن حبّ أهل البيت(ع) يحرق القلب وفي أوج الحبّ لا يبقى منك شيء بل تفنى في المحبوب. فالساعة التي يمكن تجربة الإخلاص فيها بسهولة، هي الساعة التي نعيش فيها مشاعر الحبّ لأهل البيت(ع). إنك تستطيع أن تعيش الإخلاص في مجالس مصيبة الحسين(ع) وذكر مصائب أهل البيت(ع)، فإنك في تلك الساعة لا تفكّر بمصالحك بل تحترق لغيرك. ففي ذلك الحال الذي أنت تبكي فيه على الحسين(ع) مثلا، إن أخبروك بثواب هذا البكاء لا تبالي كثيرا، وتقول: لم أبك الآن للحصول على الثواب ولا أبكي من أجل أن أحصل على شيء، بل أريد أن أكون للحسين(ع) ولأطفاله.

تحتاج الأدوية المعنوية إلى المعرفة والنيّة الخالصة حتى تؤثر بخلاف الأدوية المادّية/ يجب أن نعرف أن الصلاة بصدد إذلال النفس في مقابل الله وتضعيف كبرنا أمامه

لا يحتاج الدواء إلى «معرفة» أو «نية» في سبيل أن يترك مفعوله في جسم الإنسان؛ يعني أولا لسنا بحاجة إلى أن نعرف ماذا تفعل حبّة الدواء في جهاز جسمنا، وثانيا لا داعي إلى استعمال الدواء بنية التئام الحلق مثلا. إذ يترك الدواء أثره في جسم الإنسان على أيّ حال، سواء أكنّا عارفين بتفاصيل أثر الدواء ونوينا الشفاء عند الاستعمال أم لا. بينما تحتاج الأدوية المعنوية التي تشفي روح الإنسان ومن أجل تأثيرها إلى المعرفة والنية الخالصة بخلاف الأدوية المادّية.

فعلى سبيل المثال، الصلاة شفاء ووقاية لكثير من أمراضنا بل لجميع الفحشاء والمنكر بشكل عام؛ **(إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ)** [العنكبوت/45]. ولكن إذا أرادت هذه الصلاة مع كل عظمتها أن تترك أثرها علينا، فيقتضي ذلك معرفتنا ونيتنا المخلصة أيضا.

إن اطلّعنا بشكل دقيق على حقيقة أثر الصلاة على روحنا، وكانت نيتنا في مسار هذا التأثير، عند ذلك ستكون الصلاة مؤثرة فينا واقعا. يجب أن نعرف أن الصلاة تسعى لإذلالنا في مقابل الله ولتضعيف كبرنا وأنانيتنا، ثم ننوي ذلك وندعو لتحقّق هذا الهدف ونقول: «إلهي أريد أن أزداد تواضعا وذلّا بين يديك

وأن يضعف كبري عبر هذه الصلاة». فإننا إن أردفنا إلى الصلاة مثل هذه المعرفة والنيّة، سوف نتقرّب إلى الله.

لا يستطيع الإنسان أن يسير في هذا الطريق إلا بعد أن عرف ماذا يفعل أولا، ونوى ما عرفه ثانيا. السبب الذي جعل ديننا يحثّ على التدبر والتعقّل ومعرفة النفس والتفقه والفهم الدقيق بهذا القدر، هو أن للمعرفة أثرا وضعيا ولا تخلو عن الفائدة أبدا.

لا ينبغي أن نمرّ من المفاهيم الرئيسة الدينية التي اهتمّ بها الدين مرور الكرام، بل ينبغي أن نفكّر لماذا اهتمّ الدين بهذا الموضوع بهذا القدر؟ ليس من الجميل أن يعطّل الإنسان قدرة فهمه في مجال إدراك الدقائق الدينية ثم يصرفها في اللعب والقضايا التافهة.

نحن كما نخاف من السرطان، يجب أن نخاف من عدم استيعابنا العميق للمفاهيم الأساسية الدينية/ قال رسول الله(ص): أُفٍ لِكُلِ مُسْلِمٍ لَا يَجْعَلُ فِى كُلِ جُمْعَةٍ يَوْماً يَتَفَقَّهُ فِيهِ أَمْرَ دِينِهِ وَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ

نحن كما نخاف من السرطان، يجب أن نخاف ونخشى من عدم استيعابنا العميق للمفاهيم الأساسية الدينية، لأنه عند ذلك سيقع الإنسان في أخطاء فادحة قهرا ومن دون مشيئة.

مع الأسف إن بعض المتديّنين والثوريّين لم يحظوا بـالعمق المعرفـي وقـد توقفوا في مستوى ثابت من المعارف الدينية وهم يزعمـون أنهـم يعرفـون كـل المفاهيم الدينية. فعلـى سـبيل المثـال إن بعضـهم يحملـون فهمـا سـطحيا عـن مفهوم التقوى الأساسي والعميق ويتصوّرون أنه لا يتجاوز هذا المفهـوم العظيـم عن نطاق «اجتناب الذنوب»، ولا يتطلّعون إلى كسب فهم أعمق عمّا عرفوه.

كثير من الناس وللأسف الشـديد لا يتعبـون أنفسـهم للحصـول علـى فهـم عميق عن الدين وهذا أمر سيئ جدّا. قال رسول الله(ص): **أُفٍ لِكُلِ مُسْلِمٍ لَا يَجْعَـلُ فِـى كُـلِ جُمْعَـةٍ يَوْمـاً يَتَفَقَّـهُ فِيـهِ أَمْـرَ دِينِـهِ وَ يَسْـأَلُ عَـنْ دِينِهِ» [**المحاسن/1/225**].**

إن بعض الناس ـ وللأسف ـ لا يخصّصون وقتـا كافيـا لفهـم الـدين مكتفيـن بمستوى فهمهم العامّي عن الدين. ولكن هذه السطحية في الفهم إمـا سـتؤدي إلى فرار الشخص نفسه عن الدين، وإما يسـوقه إلـى ممارسـة بعـض الأعمـال التي تبعد أشخاصا آخرين عن الدين. وفي الواقع سوف يحاسبهم اللـه ويسـألهم عن الذكاء الذي منحهم أين صرفوه وفي أيّ طريق بذلوه؟! إن بعض الأشـخاص يصرف فاهمته وذكاءه في دراسته وفـي الجامعـة فقـط، ويصـرفها البعـض فـي اللعب والمرح وقضايا أخرى دون أن يستخدموها في الدين.

الدين من قبيل القضايا التنويرية وهو خاصّ بالأذكياء وأهل الفهم والمعرفة/ الابتعاد عن الدين يعني الحماقة والسفاهة والعامّية

الدين من قبيل القضايا التنويرية وهو خاصّ بالأذكياء وأهل الفهم والمعرفة. فعلى سبيل المثال كشفت دراسة ميدانية في إحدى البلدان، أن أكثر المستبصرين والذين تشرّفوا بالدخول في مذهب أهل البيت(ع) هم من خريجي الجامعات وذوي الشهادات الجامعية. الابتعاد عن الدين يعبّر عن حالة من الحماقة والسفاهة والعامّية. فكلّ من يخالف الدين فإنما يدلّ على حماقة في داخله. وهكذا قيّمهم الله سبحانه فقال: (**ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُون**) [المائدة/58]

إن خطر المتدينين الجهلة على الدين أكثر من خطر غير المتدينين/ إن خطر المتدينين الجهلة بقدر خطر المنافقين/ كل معاناتنا وآلامنا بسبب ما نراه من جهالة بعض المتدينين

ليس النزاع الرئيس في العالم بين المتديّن وغير المتديّن، وإنما بين الذين يعلمون والذين يشعرون وبين الذين لا يعلمون ولا يشعرون. ليس النزاع بين الثوريّين وغير الثوريّين، بل إنما هو نزاع قائم بين الفهم وعدم الفهم، ويا لها من معاناة يتجرّعها الدين من جانب بعض المتديّنين الذين ليسوا من أهل الفهم

والمعرفة. فإن هؤلاء قد يسيئون إلى الـدين بجهلهـم الممـزوج ببعـض النزعـات الإيجابية.

لقد طرقت أسماع بعض المتديّنين بعض المفاهيم الدينية ولكنها لم تـدخل في أعماق قلوبهم، فهم يشـعرون ويـدّعون بـأنهم يعرفـون الـدين كلّـه! فأحيانـا تكون أخطاء هؤلاء المتـدينين واشـتباهاتهم أضـرّ علـى الـدين مـن معاصـي غيـر المتديّنين.

يقول أمير المؤمنين(ع): «**قَطَعَ ظَهْرِي رَجُلَانِ مِنَ الدُّنْيَا رَجُلٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ فَاسِقٌ وَ رَجُلٌ جَاهِـلُ الْقَلْـبِ نَاسِـكٌ هَـذَا يَصُـدُّ بِلِسَـانِهِ عَـنْ فِسْقِهِ وَ هَذَا بِنُسُكِهِ عَنْ جَهْلِهِ فَاتَّقُوا الْفَاسِقَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَ الْجَاهِلَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ أُولَئِكَ فِتْنَةُ كُلِّ مَفْتُونٍ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ص يَقُـولُ يَـا عَلِـيُّ هَلَاكُ أُمَّتِـي عَلَـى يَـدَيْ كُـلِّ مُنَـافِقٍ عَلِيـمِ اللِّسَان**» [الخصال/ج 1/ص 69] و كذلك قال: «**قَطَعَ ظَهْـرِي اثْنَـانِ عَـالِمٌ فَاسِقٌ يَصُدُّ عَنْ عِلْمِهِ بِفِسْقِهِ وَ جَاهِلٌ نَاسِكٌ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهلِـهِ بِنُسُكِه**» [غررالحكم/245 , مجموعة ورام/ج 1/ص 82]

ومع الأسف قلّما يلتفت إلى خطر الفئة الثانية، أي المتـدينين الجهلـة، فـي حين أن أحاديث أهل البيت(ع) تبيّن أن الصدمات الـتي يلحقهـا هـؤلاء بـالمجتمع تماثل صدمات المنافقين. وقـد تجرّعنـا آلامـا كـثيرة مـن جـانب هـاتين الفئـتين.

فبرأيكم ما هي أسباب مشاكل مجتمعنا الآن؟ كل ما نعاني منه فبسبب جهالة بعض المتديّنين وحماقتهم. فإن جهالة هؤلاء المتنسّكين تجتمع شيئا فشيئا وإذا بها تنجر إلى الانحراف والانشقاق.

الدين ظاهرة معقّدة جدّا وليس مجرد مفاهيم بسيطة نسمعها مرّة واحدة ثم نتقنها وينتهي كل شيء بلا حاجة إلى تعمّق وتفكّر. بل إنما هو بحاجة إلى دقّة وتعمّق. لا يحتاج الدين إلى متخصصين نراجعهم وحسب، بل يجب على جميعنا فردا فردا أن نسعى للحصول على فهم عميق تجاه الدين.

قال علي(ع): ذلّل نفسك بالطاعة/ حاسب نفسك وانظر هل قد ازدادت ذلّا بعد الطاعة أم لا؟

في تكملة موضوع جهاد النفس نقف عند رواية عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «**ذَلِّلْ نَفْسَكَ بِالطَّاعَةِ**» [عيون الحكم/ ص 255]. فإن أطعت الله ولم تجد نفسك قد ازدادت ذلّا لله فلم تطع الله في الواقع، بل قد أطعت هوى نفسك، أو كانت شريكة في الطاعة على الأقل. مثلا رأيت أن هذه الطاعة تنسجم مع هواك فاخترتها، لتلبّي رغبة نفسك وتطيع ربك في نفس الوقت.

مشكلتنا هي أن نفسنا لا تدعنا نطيع الله وحده، بل نطيع الله والنفس معا. فلا يتقبل الله عبادتنا وطاعتنا حسب القاعدة لأنه لا يتخذ شريكا. كأن الله يقول لنا: «إن لم تقدر على استحضار النية الخالصة في جميع أعمالك، فاستحضرها في بعض أعمالك وطاعاتك على الأقل ولتكن بعضها لأجلي فقط،

يعني قم بالطاعة التي لا ترغب بها نفسك ولا تكن بحيث تنتقي الأفعال المنسجمة مع هواك وحسب»؛ «**سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ مَنْ أَشْرَكَ مَعِي غَيْرِي فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لَمْ أَقْبَلْهُ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصاً» [الكافي/2/295] و «أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ فَمَنْ عَمِلَ لِي وَ لِغَيْرِي فَهُوَ لِمَنْ عَمِلَهُ غَيْرِي»** [وسائل الشيعة/ج 1/ص 72]

لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله؟/ يجب أن تكون نتيجة الطاعة ازدياد ذلّ النفس لله

إن أردت أن تعرف أن ما قمت به من طاعة كانت لله واقعا ولم يكن لنفسك شراكة فيه، فحاسب نفسك وانظر هل قد ازدادت النفس ذلّا لله بعد القيام بالعمل وأداء الطاعة أم لا؟ كيف تكون النفس إذا ذلّت؟ ستكون في مقابل الله كبعض الأذلّاء في هذه الدنيا والذين يهينون أنفسهم أمام الآخرين أو يتسوّلون في الطرقات. فلابدّ أن تصبح النفس هكذا في مقابل الله. لابدّ أن نرى هل نستطيع أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله سبحانه، أم أننا أذلاء في مقابل شهوات النفس الدانية؟

لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله عز وجل؟ لأننا نريد أن نلقى الله ولا سبيل لمن لم يذل في مقابل الله إلى ساحة قربه.

يجب أن يكون أثر صيام شهر رمضان لمدّة ثلاثين يوما، التواضع وذلّ النفس/ غاية «الطاعات والعبادات وجهاد النفس» هي ذلّ النفس في مقابل الله/ لماذا يجب أن نذلّ أنفسنا في مقابل الله؟

الآن وبعد أن انتهينا إلى نهاية شهر رمضان، إذا أردنا أن نعرف مدى صحة طاعتنا في هذا الشهر، فلابد أن نرى هل قد ازددنا تواضعا وذلّا لله أم لا؟ هل ازددنا خوفا وخشية من الله أم لا؟ فعلى سبيل المثال هل أصبحنا نخاف الله إذا أردنا تأخير صلاتنا قليلا؟

يجب أن تكون نتيجة هذه العبادات والطاعات بعد ثلاثين يوما في شهر رمضان هي ذلّ النفس والخشوع. كما أن الهدف الرئيس من طاعة الله وعبادته وجهاد النفس هو ذلّ النفس. يجب أن تذلّ النفس في مقابل الله وتخشع له. فإن قبح الذل في أي مكان آخر وأمام أي شخص آخر، فإنه يحلو ويجمل في مقابل الله.

من الأعمال الرائعة التي تعيننا على ذلّ النفس وتمنحنا هذا الشعور هو أن نهتمّ بقبول الطاعة أكثر من أدائها. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «**كُونُوا بِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَاماً بِالْعَمَل**» **[مجموعة ورام/ ج 1/ ص 64]**

فالآن وبعد ما صمنا شهر رمضان كلّه وأدينا بعض العبادات، يجب أن نقلق على قبول أعمالنا ونهتمّ بذلك أكثر من اهتمامنا بأداء الأعمال وأن نلتمس الله

أن يقبل أعمالنا. عند ذلك سوف تذل نفسنا إذ أن الاهتمام بقبول العمل يحكي عن أننا لم نغترّ بأعمالنا.

كل ما يقوم به الإنسان في سبيل إذلال النفس، تستخدمه النفس كرأسمال للعجب

لماذا بعد عنائنا وصومنا خلال ثلاثين يوما، يجب أن نزداد جهدا وسعيا من أجل قبول صيامنا وأعمالنا؟ لأن نفس الإنسان تنطوي على مرض باسم «العجب» و «الأنانية»، بحيث كلّ ما يقوم به الإنسان ليذلّها، تستخدمه كرأسمال للإعجاب بنفسها. فهي تحاول أن تستعمل نفس الأعمال التي أنجزتها لإذلالها كأداة للعجب والطغيان! هذا «العجب» من الأمراض المستعصية التي يصعب معالجتها جدّا.

فعلى سبيل المثال، عندما تأمر نفسك بالسجود لله، تتمرّد في البداية ولا تطيع، ولكنك إن استطعت أن ترغم أنفها وتفرض عليها السجود، بمجرّد أن ترفع رأسك يتغيّر لحنها و تبدأ بالتفاخر والتباهي بفعلها وسجودها. وهذا هو العجب.

الاعتذار من الذنب أهمّ من اجتنابه/ إذ أن الاعتذار يذلّ النفس

لماذا الاعتذار من الذنب أهم من اجتنابه؟ إذ أن الاعتذار من الله يذلّ الإنسان في مقابل الله، ويحظى هذا الذل والخشوع بأهمية كبيرة لدى الله، وهو أفضل بكثير من أن نجتنب الذنوب ثم نصاب بالعجب والغرور بسبب تورعّنا

عن الذنب. ولذلك أحيانا يترك الله عبده المؤمن ليذنب خوفا عليه مـن العجـب، إذ يعلم الله سبحانه أن الذنب أفضل لعبده المؤمن من العجب؛ «**إنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ مَا ابْتُلِيَ مُؤْمِنٌ بِـذَنْبٍ أَبَداً**» [الكافي/ج 2/ص 313]

إن لم نسأل الله ونلتمسه أن يقبل أعمالنا، سوف تذهب كل طاعاتنا في هذا الشهر هباءً

بإمكـانكم الآن أن تشـاهدوا أثـر الاهتمـام بقبـول الأعمـال علـى روحكـم ونفوسكم. فالتمسوا الله وتذلّلوا إليه وقولوا: «إلهـي أسـألك وأتوسـل إليـك أن تتقبّل شهر رمضان هذا! صحيح أن طاعاتي كلّها كانت غير جيّدة ورديئة، ولكنـي ألتمسك أن تقبلها ولا تردّها». ثم انظروا ماذا يحصل في أرواحنا بهـذه المناجـاة القصيرة؟ التذلل والنور. فما إن تبدأ بالالتماس والإلحاح على الله ليقبل أعمالك تزداد صفاء ونورا. وفي المقابل إن خلـت أعمالنـا مـن هـذا الإلحـاح والالتمـاس سوف تذهب كل طاعاتنا ومناجاتنا في هذا الشهر هباءً ونخـرج مـن هـذا الشـهر بأيدٍ خالية.

إن ذلّ النفس هدف الإطاعة، فإن لم نصل إلى هذا الذلّ بعد الطاعة، نعرف أن طاعتنا كانت غير صحيحة

إن ذلّ النفس هدف الإطاعة، فإن أطعنا الله ولم نصل إلى هذا الذلّ، ينكشف أن طاعتنا كانت ذات خلل. ما يحفظ الإنسان هو الذلّ بين يدي الله. إن ضجيج الإنسان إلى الله بعد الصلاة والإلحاح عليه أن يتقبّل صلاته هو الذي يحفظ الإنسان، ولولا ذلك جدير بالصلاة نفسها أن تفسد الإنسان. إذ لولا هذا السؤال الملحّ، لاقتحم العجب قلب الإنسان.

ففي هذه الأيام ونحن على وشك انتهاء شهر رمضان يجب أن نفعل أمرين: 1ـ نلتمس الله أن يتقبّل طاعاتنا 2ــ أن نستغفر من طاعاتنا وعباداتنا وأن نقول: «ربّنا! اغفر لنا نقصان عباداتنا وطاعاتنا فإنها لم تكن بمستوى شأنك ومقامك. فتغاض عن هذه العبادات ولا تحاسبنا عليها». إن هذه الأعمال سوف تجعلنا نعيش حالة الذل والانكسار بين يدي الله إن شاء الله.

ما معنى «لنستعن بالعقل على السيطرة على عواطفنا» بشكل دقيق؟

كثيرا ما يقال يجب أن نستعين بالعقل على عواطفنا أو أن نسيطر على إحساساتنا ونتغلب عليها. وقد تستبدل بالعقل مفاهيم أخرى كالفكر والعلم

والإيمان. إن أصل هذا الكلام صحيح ولكن قد أخطأ الكثير في فهمه. فليس معنى هذا الكلام الدقيق والصحيح هو المتبادر إلى أذهان الكثير من الناس.

إذا يقال: يجب أن تستعينوا بالعقل والإيمان والعلم والفكر على مخالفة أهوائكم، فمعناه الدقيق هو أنه يجب أن توقظوا نزعاتكم ورغباتكم الحسنة بالعقل والعلم والإيمان، ثم تستعينوا بهذه الرغبات الحسنة على الأهواء السيئة. فإن العقل والإيمان والعلم والفكر كلّها مدعاة إلى صحوة الرغبات الحسنة وتنشيطها.

العقل موقظ الرغبات المثلى في الإنسان ومعزّزها/ يحظى العقل بقوّة يدير بها أهواء الإنسان

نحن بصدد تضييق رغباتنا السيئة والسيطرة عليها. فمن أجل تحقيق ذلك لا سبيل لنا سوى الرغبات الحسنة التي هي إما مودعة في فطرتنا وهي بحاجة إلى التفعيل والازدهار، أو أنها موجودة وناشطة بالفعل ولابد من إدارتها. العقل هو موقظ الرغبات المثلى في الإنسان ومعزّزها. فإنكم سوف تقضون على الأهواء السيئة عن طريق هذه الرغبات الحسنة.

يحظى العقل بقوّة يدير بها نزعات الإنسان. كما أنّ أنبياء الله جاءوا ليخاطبوا نبيّنا الباطني وهو العقل. والعقل هو القوّة التي تدير مختلف الأهواء

والرغبات الكامنة في داخلنا. فتهـدينا قـوّة العقـل دائمـا نحـو الرغبـات الأسـمى ويشير علينا بأن نختار أفضل رغبة ونلبّيها.

يضيء العقل الطريق ويعرّفنا على الرغبة المثلى

عندما نتمرّض ويصف لنا الطبيب دواء مرّا، يجب أن نشرب الدواء بـالرغم من كرهنا وعدم رغبتنا. فنحن هنا في الواقـع قـد جاهـدنا هـوى النفـس بالعقـل، فنحَّينا «كره شرب الدواء» على جانب، إذ قد شـخّص العقـل أن «حـبّ الصـحة والحياة» رغبة أسمى وأمثل. فنحن في مثل هذا الموقف أصبحنا في الواقع بين رغبتين متعارضتين: إحداهما هي حب عـدم شـرب الـدواء المـرّ، والأخـرى حـبّ الصحة والحياة. فهنا يأتي العقل ويضيء الطريق ويعرّفنا على الرغبـة الأسـمى، فنشخصّها ونختارها.

يهدينا العقل إلى الرغبات القيّمة واختيار أفضل الخيارات. ولذلك إذا ذهـب أحد إلى محلّ بيع الألبسة لشراء قميص، واختار أقدم القمصـان وأقبحهـا وأقلّهـا تناسبا وأغلاها في نفس الوقت، يتّهم بفقدان العقل عندئذ.

دور العلم هنا إتحـاف الإنسـان بالمعلومـات، أمـا العقـل فهـو الـذي يقـوم بإدارة مختلف الرغبات ويفضّـل أفضـل الخيـارات علـى غيرهـا، ويعيـن الإنسـان لتلبية أفضل الرغبات وأسماها.

بإمكان العقل اليوم وحتى العقل التجريبي أن يدافع عن أكثر القيم

نحن الآن نعيش في زمن أصبح الدفاع عن القيم فيه عقليّا أكثر من كونه عقديّا. فحاجتنا الأولى هي التمتّع بالعقل بمختلف أنواعه وأشكاله من عقل المعاش والعقل السياسي وغيره. فإن كنّا في زمن ننطلق فيه من العقائد في الدفاع عن الثورة، فقد أصبحنا اليوم ندافع عن أكثر قيم الثورة على أساس العقل، وحتى العقل التجريبي. فعلى سبيل المثال كان العقل التجريبي في العقود الماضية عاجزا عن فهم فساد الديمقراطية الغربيّة، فكنّا ندّعي فسادها بالاستناد إلى الآيات والروايات، أو كنّا نحذّر من السقوط فيما لا يرضى به الله عبر الذهاب وراء الديمقراطية الغربية. أما الآن فقد نما العقل البشري وبإمكانه أن يثبت فساد الديمقراطيّة الغربية. وقد أصبحت جرائم الديمقراطية الغربية الآن بمرأى الجميع ولا تحتاج مشاهدتها إلى العين المسلّحة.

بإمكاننا اليوم أن ندرك جميع القيم بالعقلانية والواقعيّة/ إن أجواءنا ومناخنا من الشفافيّة بمكان بحيث إن أردنا تحقيق مصالحنا الوطنية فقط، فقد حفظنا القيم أيضا

النزاع اليوم بين العقلانية وعدم العقلانية، فلابدّ أن ندافع عن قيم ثورتنا الإسلامية بأساليب عقلانية. لأن تجربة نظام السلطة الفاشلة التي قامت على

أركان الكفر والإلحاد ماثلة أمامنا. وحتى ظاهرة النفاق فإن كانت موجـودة فـي مجتمعنا فهو نفاق يتظاهر بالعقلانية والتعقّل.

إن بعض الأشخاص فـي الأوسـاط السياسـيّة يخـدع النـاس عـبر اسـتغلال العقلانية والواقعيّة. ولكن يجب أن نعرف أن الواقعية التي يهتف بشعارها بعـض الناس، ويؤكد عليهـا الؤمنـون بحـقّ، أصـبحت اليـوم عمـادا للـدفاع عـن القيـم، فحسبنا اليوم أن نؤكد على هـذه الواقعيّـة والعقلانيـة ونسـتدلّ بهـا علـى أحقيـة مبادئنا وقيمنا. لقد تيسّر اليوم وعبر نموّ العقل والتجارب أن نفهم وندرك جميـع القيم بالعقلانيّة والواقعيّة.

كنا نقول قبل ثلاثين عامـا: لابـدّ أن نراعـي مصـالحنا الوطنيـة وفـي نفـس الوقت لا ينبغي أن ننسى القيم الإسلامية. أمّا الآن فقد أصـبح المنـاخ السياسـي في العالم من الشفافية والوضوح بمكان بحيث حـتى إن أردنـا تحقيـق مصـالحنا الوطنية فقط، فقد حفظنا القيم أيضا. كما يجب على مختلف التيّارات السياسيّة أن يعيـدوا تعريفهـم عـن أنفسـهم ويحـدّدوا مـوقعهم الـدقيق تجـاه العقلانيـة السياسية اليوم.

يودّ بعض الناس أن يحقّق الأمان والرفاه في هذا البلد عن طريق تحسـين العلاقات السياسية والدوليّة وإرضاء هذا وذاك فقط. فعلى سـبيل المثـال كـانت سورية قد اتخذت هذه السياسة فهي كانت تحافظ على أمنهـا واسـتقرارها عـبر

معادلات المنطقة، يعني كانت تعتمد في حفظ أمنها على تحسين علاقاتها مع بلدان المنطقة دون أن تسيطر سيطرة كاملة وشديدة على حدودها. ولكن قد اتضح أن هذا الأمن أمن هشّ واهن، إذ إن أرادت دول الجوار أو بلدان المنطقة ولأي سبب كان أن يدخلوا جيوشا من الإرهابيين في البلد، كيف يمكن السيطرة عليها عندئذ؟!

من الذي لا يعرف أن التراجع أمام العدو اليوم مخالف للمصالح الوطنية، ومن الذي لا يعرف أن العدو بصدد التوغل واقتحام البلد في أي لحظة، ولا يمكن أن نرى منه أي نصح؟ فلا يحتاج فهم هذه الحقائق إلى عقائد ثورية راسخة.

العقل يقمع الأهواء السيئة بالرغائب الحسنة/ اتباع الهوى عدوّ العقل

يتمّ جهاد أهواء النفس والرغائب السيئة عبر الرغائب الحسنة. فإذا قيل أن العقل هو الذي يحارب أهواء النفس فمعنى ذلك أن العقل يقمع الأهواء السيئة بالرغائب الحسنة.

يقول أمير المؤمنين(ع): «أَعْقَلُ النَّاسِ أَنْظَرُهُمْ فِى الْعَوَاقِب» [غرر الحكم/ص 217/الحديث 542] إذن بطبيعة الحال أعقل الناس من أخذ يوم القيامة أيضا بعين الاعتبار والأعقل منه من ينظر في درجات الجنّة ويصبو إلى الصعود إلى أعلى درجات الجنان.

عدو العقل اتباع الهوى. لأنه يأمرك أن تتبع المشتهيات والرغبات القريبة التي في متناول يدك بلا أن تفكّر في يوم غد! أمّا العقل فيفكّر بيوم الغد وحتى بالمستقبل البعيد.

إن هوى النفس عدوّ للعقل وكذلك عدوّ للعشق/ إن رُشّت بذور اتباع الهوى في المجتمع، يمت العشق/ النساء أول المتضرّرين من السفور

ليس العقل هو الوحيد في مجاهدة هوى النفس، بحيث إذا تغلّب الهوى فنى العقل، بل إن الهوى هو عدوّ للعشق ويحاربه. العشق بمعناه المستعمل في أدبياتنا العرفانية هو الحبّ الشديد الذي يحصل في القضايا المعنوية أكثر من المادّية.

إذا استطعنا أن نرسّخ هذا المفهوم في المجتمع، سوف يتصّدى النساء أنفسهم للحفاظ على الحياء والحجاب، إذ سوف تعي المرأة بأنها إن لم تحافظ على حجابها فإنها قد ساهمت بترك حجابها في ازدياد أرضية اتباع الهوى في المجتمع، وعندئذ سوف تكون هي المتضرّرة الأولى من تفشّي ظاهرة اتباع الهوى. وذلك لأنه إن رُشّت بذور اتباع الهوى في المجتمع، يمت العشق أي الحبّ الشديد والطويل المدى، وسوف يعجز الرجال عن عشق أزواجهم وحبّهنّ الشديد. وسوف تنقص سنيّ عزّ المرأة إلى سنيّ فترة لعب لاعبي كرة القدم، كما أن اليوم أصبحت سنوات عزّ المرأة في الغرب قصيرة جدّا وسرعان ما

تُرمى بعد مضيّ سنين قصيرة. وبما أنه ليس لهنّ أي أسرة فيضطرن إلى الحياة في باقي عمرهن مع قططهن وكلابهنّ. وكأن المرأة الغربيّة قد رضت بذلك. هكذا يتعامل المجتمع الغربي معها كسلعة سرعان ما تنتهي مدّة استعمالها.

لقد أدى اتباع الهوى إلى فناء العشق والحبّ في الغرب/ ما هي الأكذوبة التي تسوّق على الشباب في كثير من الأفلام

لقد أدى اتباع الهوى إلى فناء العشق والحبّ في الغرب. ومع الأسف قلّ ما أنتج فيلم أو مسلسل أو فيلم وثائقيّ يعكس هذا الواقع إلى أبناء مجتمعنا من النساء والرجال. يمكن إنتاج أفلام كثيرة في موضوع العلاقة بين المرأة والرجل، بحيث تكون جذابة من جانب و تقضي على الفسوق والفجور بدلا من تعزيزها من جانب آخر.

من المؤسف أن الكثير من الأفلام تكذب على شبابنا فهي تلقي لهم هذا المعنى الكاذب وهو أنه بإمكان الشباب والشابات أن يعشق بعضهم بعضا ويسعدا مع بعض بالرغم من فسقهم واتباعهم الهوى.

بإمكان الإنسان الذي يحظى بالعقل أن يعيش أرقى اللذات وأحلاها/ إن لذّة المشي في مسيرة الأربعين أعلى من لذّة أيّ فسق وفجور

لقد بلغ عقل الناس من الرشد بمكان بحيث، لا داعي إلى استخدام الآيات والروايات لتفهيمهم أن «اتباع الهوى» يفني العقل ويقضي على العشق. بإمكاننا أن نفهم هذا المعنى من خلال التجربة وندرك أن «جهاد النفس» يزيد العاطفة غزارة ويؤهّل الناس للحبّ الشديد والطويل المدى. هذا هو الواقع الذي نعيشه اليوم ونشاهده حولنا وفي عالمنا.

بإمكان الإنسان الذي يحظى بالعقل وينظر إلى المستقبل الأبعد كالجنة، أن يعاشق الجنّة وما فوقها يعني لقاءَ الله عز وجل، وأن يتمتّع بلذّة لا يذوقها أفسق الناس في ألهى الملاهي. فعلى سبيل المثال نشير إلى اللذة التي لا يمكن وصفها والتي تعتري زائري أبي عبد الله الحسين المشاة إلى كربلاء في أيّام الأربعين. فأولئك الذين حضروا في هذه الشعيرة العظيمة، يشعرون في تلك الأجواء الرهيبة التي لا توصف بلذّة لا يذوقها طلّاب اللذة والفسق والفجور في أي مكان من هذا العالم.

حريّ بالإنسان أن يتحسّر على حرمان أتباع الهوى وخيبتهم في الحياة

حريّ بالإنسان أن يتحسّر على حرمان أتباع الهوى وخيبتهم في الحياة. ينبغي أن ندعو لهؤلاء المساكين، فإنهم معوّقون في روحهم وذهنهم. لقد أصاب هؤلاء أنفسهم وأرواحهم بجروح وقد قضوا على أرواحهم كالمصاب المجروح إثر حادث اصطدام. لقد اتبع هؤلاء المساكين أهواءهم وسلكوا طريق الفسق والفجور ليسعدوا بلذّته، وهم لا يعرفون أن اللذة الحقيقية هي في مجاهدة الهوى لا في اتباعه. ففي الواقع قد كُذِب على هؤلاء وخدعوا.

إن التزمت بدينك وجاهدت نفسك بعقلك، تجد العشق

قد يتبادر هذا السؤال وهو: إن أردت أن ألازم الدين بعقلي، فعندئذ لا أتمتّع بديانتي، إذ أن اللذة في العشق لا في العقل. الجواب هو: إن التزمت بدينك وجاهدت نفسك بعقلك، تجد العشق. إذ أن العشق لا ينافي العقل وإن كان قد يكون مخالفا للعقل الضيّق النطاق والمقتصر على تدبير الدنيا، ولكنه لا يتعارض مع العقل بشكل عام.

يشير عليك العقل أن تخطو خطاك في سبيل الله فإنه لصالحك، ومن مصلحتك أيضا أن لا تذنب وأن تفعل الأعمال الصالحة. العقل يحكم بأن (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها) [الإسراء/7] والعقل يحكم بأن لا

يمكـن الفـرار مـن حكومـة اللـه؛ «لَا يُمْكِـنُ الْفِـرَارُ مِـنْ حُكُومَتِـك» [مصـباح المتهجد/ج 2/ص 845]

ولكن أين يوجد العشـق؟ إن كففـت عـن الهـوى سـوف تعشـق مـن تـرى نفسك بمقتضى العقل أسيرا بيده. يعني سـوف تسـتعدّ للعشـق أولا إذ لـم تتبـع هواك، وثانيا سوف ترى أنـه لا يليـق أحـد بالعشـق والحـبِّ سـواه. وهنـا سـوف يتبلور تركيب رائع وفريد وهو أنك عبر هذه التزكية سـوف تعشـق إلهـا مضـطرّا إليه ولا مفرّ لك منه، وهذا ما يحقّق علاقة حبّ عجيبة ورائعة جدّا مـن شـأنها أن تصيّرك للفناء فيها.

لقد قال أمير المؤمنين(ع) عن شدّة عشق الله عز وجل: «**حُبُ اللَّهِ نَـارٌ لَا تَمُرُّ عَلَى شَىْءٍ إِلَّا احْتَرَق**» [مصباح الشريعة/ص 192]. وهـذا الحـبّ هـو حبّ من أنت مضطرّ إليه بحسـب العقـل، وفـي نفـس الـوقت قـد شـغف بحبّـه قلبك. فإنك إن تقبل على مناجاة اللـه بهـذا النَفَـس، سـوف تعـي لغـة المناجـاة أفضل.

في بداية المطاف يدرك الإنسان بعقله أنه مقهور بإرادة الله، وبعد ذلك يشعر كم هو مشتاق إلى هذا الربّ

العقل يضطر الإنسان إلـى الحركـة باتجـاه اللـه سـبحانه، إذ سـوف تـدرك بعقلـك أن جميـع أنـواع الحـبّ والغـرام لا تلصـق بـالفؤاد إلا محبّـة اللـه وأهـل

البيت(ع)، ولا سبيل إلى السعادة غير هذا الطريق. فمن لم يكن مريض القلب يعشقهم كما لا يجد طريقا غير سلوك طريق حبّهم والتقرّب إليهم.

في بداية المطاف يدرك الإنسان بعقله أنه مقهور بإرادة الله، وبعد ذلك يشعر كم هو مشتاق إلى هذا الربّ وكم هو يحبّه. يزعم الكثير من الناس أنهم إذا اضطرّوا إلى شيء سوف لا يحبّونه فضلا عن أن يعشقوه. ولكن ليس الأمر مع الله عز وجل كذلك. فنحن وإن كنّا مضطرّين إلى الله وأسراء بيده ولكن نستطيع أن نعشقه في نفس الوقت.

يتبلور العشق فيما إذا عرفت بعقلك أن مصالحك كلّها تتحقّق عبر سلوكك إلى الله، ولكن تغضّ النظر عن هذه المصالح!

يتبلور العشق من تلك اللحظة التي تعرف فيها بعقلك أن بكلّ خطوة تخطوها إلى الله يتحقّق شيء من مصالحك، ولكن تغضّ النظر عن هذه المصالح ثم تواصل الطريق إلى الله بدافع حبّ الله وحسب.

فإن قيل أن هناك نزاع بين العقل والعشق فلا يعني أن العقل يحكم بضرر شيء والعشق يحكم بمصلحته، فتضطر إلى اختيار أحدهما دون الآخر! فإن هذا الانطباع عن النزاع بين العقل والعشق غير صحيح. النزاع الحقيقي بين العقل والعشق في أن: «العقل يفتح عينيك لترى منافع العمل الصالح، بينما يدعوك العشق إلى غمض العين عن أرباح هذا العمل وأن تسلك هذا الطريق بدافع

الحبّ وحسب». فإنك إن غضضت النظر عن المصالح التي يراها العقـل وأديـت فعل الخير بدافع العشـق لـم تنحـرف عـن طريـق العقلانيـة. لأنـك إن كنـت قـد فتحت عينك واحتسبت المصالح والأرباح لما ملت عن هذا الطريق.

أوج الإخلاص هو تعبير آخر عن العشق

أوج الإخلاص هو تعبير آخر عن العشق بالمعنى الذي ذكرناه آنفا أي (أَشَـدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة/165]. الإخلاص هو أن تعلم وتشعر بالمنافع المعنويـة والماديـة التي يؤدّي إليها العمل الذي تقوم به، ولكن لا تنظـر إليهـا وتجعـل نيتـك خالصـة لله. وليس العشق غير هذا.

يزعم كثير من الناس أن معنى الإخلاص هو أن تقول لله: «إلهي، أنا أقـوم بهذا العمل في سبيلك ومن أجلك وإن كـان بضـرري!» فهـم يتصـوّرون العشـق والإخلاص بهذه الصورة المشوّهة وغير العقلانية. فكأنهم يمنّون علـى اللـه! فـى حين أن الله سيعطي عبده ما لا يحصى من الأجر والثواب على كـل قطـرة مـن دمه، بالإضافة إلى أن من يقتل في سبيل الله، كان قد انتهى أجله، فتفضّل الله عليه ومنّ عليه فأعطاه فرصة الجهاد لكي يراق دمه فـي سـبيله. وهـذه حقيقـة تبيّنها الآيات والروايات وهي أن الجهاد في سبيل الله لا يقرّب مـوت أحـد، وأمـا من كان قد جاء أجله، فإنه إن فرّ من الجهـاد فسـوف يلقـى المـوت فـي جـوف

بيته؛ (يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِم) [آل عمران/154]

معنى العشق هو أن يقول عقلك: «إن في هذا العمل منافع كثيرة» ويقول العشق: «لا تنظر إلى منافعه»

يقول العقل: «إن كان لابدّ من مغادرة هذه الدنيا في تاريخ محدّد، فادع بالشهادة، إذ أن الشهادة لا تقرّب من أجل الإنسان شيئا». فهو يحكم بمصلحة الشهادة للإنسان. ولكن بعد أن عرفت أن هذه الشهادة لصالحك، يقتضي العشق أن تسلك درب الشهادة بغض النظر عن منافعه ومصالحه.

إن أصبح الإنسان عاشقا، سوف لا يرى شيئا من المنافع الأخروية والدنيوية التي سوف يحظى بها في هذا الطريق سوى الله عز وجل. ليس معنى العشق هو أن ينهاك عقلك من أمر لمضارّه، ويدفعك العشق صوبه بالرغم من أضراره! معنى العشق هو أن يرغّبك العقل بأمر ما لما ينطوي عليه من منافع وأرباح طائلة، وفي المقابل ينهاك العشق أن ترى هذه المنافع كلّها لكي تقوم بهذا العمل الصالح النافع لوجه الله ولحبّه.

فجاهد نفسك لتفعّل وتعزّز عقلك، ثمّ واصل الجهاد لكي تنال العشق والإخلاص

إذن فجاهد نفسك لتفعّل وتعزّز عقلك، ثم واصل الجهاد لكي تنال العشق والإخلاص. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «**كَيْفَ يَسْتَطِيعُ الْإِخْلَاصَ مَنْ يَغْلِبُهُ الْهَوَى**» [غرر الحكم/ص 516]

إن الله سبحانه يريك بعض آثار الطاعة والعبادة في هذه الدنيا ليرى هل أنت عاشقه أم لا. وهل تنظر بطمع إلى هذه المنافع أم لا. ولهذا السبب يمنح اللهُ العرفاءَ كرامات وقدرات خارقة، فلو التهوا بهذه الكرامات، لسقطوا من مقامهم المعنوي.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله

أقبل أبو الفضل العبّاس نحو الشريعة، فهل كان يعلم أنه إذا استشهد في مثل هذا الموقف ينال درجة يغبطه سائر الشهداء أم لا؟! من المؤكد أنه كان يعلم. ولكن العشق هو أن تعلم كل هذه الحقائق ولكن تغض النظر عنها. ولذلك عند ما وصل العبّاس إلى الشريعة لم يكن يفكّر بشيء إلّا بالحسين وبأطفال الحسين(ع) غافلا عن كونه قد اقترب من أعلى درجات الجنان.

يا أبا الفضل العبّاس أدركنا في هذه الليلة وخذ بأيدينا بيديك القطيعتين. يا أبا الفضل العبّاس ويا باب الحوائج، هذه الليلة الأخيرة من شهر رمضان، يأتيك

المصابون بمختلف الأمراض المستعصية ويشفون عند ضريحك، فاشفِ قلبي سيدي. إن لم يعافَ بعض المرضى فلعلّ ذلك بمصلحتهم، ولكن هل هناك مصلحة في بقاء أمراضي الروحية بلا علاج؟!

لقد انتهت الليلة الأخيرة من شهر رمضان وأنا لم أستفد من هذا الشهر وخرّبته. إن بعض القرويّين من العرب لهم عقيدة عجيبة بأبي الفضل العباس(ع). يقول أحد الزوّار كنت واقفا إلى جنب ضريح العباس(ع) وإذا برجل عربيّ قرويّ جاء وألصق رأس ابنه بضريح العبّاس وبدأ يتكلم بكلام لم أفهم منه شيئا. ثم يرجّع رأس ابنه ويسأله عن صحّته، فأجابه ابنه بالنفي. فأعاد عمليّته مرّة أخرى. فسألت أحد الخدّام الذين يعرفون الفارسية فقلت له ماذا يفعل هذا الرجل؟ فالتفت إليه واستمع إلى حديثه فاستعبر وبكى. فقال: يقول هذا الرجل للعباس، يا عبّاس رأس ولدي يوجعه ولا يطيب، فعافِه بسرعة لأني أريد أن أرجع. فيسأل ابنه هل طاب رأسك؟ فأجابه ابنه: لا بعد. فيقول له: اصبر قليلا فالآن يشفيك العبّاس. هكذا يعتقد الناس بأبي الفضل العبّاس.

أحد الأصدقاء من أهالي مشهد، يقول: كنت في حرم العبّاس فرأيت أحد المرضى قد طاب بفضل أبي الفضل العبّاس. ولكني استغربت عندما رأيت أن الخدّام لم يكترثوا كثيرا بهذه الكرامة وكأن لم يحدث شيء عجيب. فقلت لهم: لقد شفي هذا المريض! فلو كان قد شفي في مشهد لقامت القيامة! فأجابني

أحدهم قال: لا تستغرب فهذه الأحداث عادية هنا. هذا هو العباس. سيدي يا بـاب الحوائج! لقد جئت إليك بقلب مريض فاشفه وعافه.

أحد الأطبّاء المؤمنين من أقرباء العارف آية الله العظمى بهاء الديني(ره)، ومن المقرّبين له قال: أخبروني بعد أيّام عاشوراء أن صحّة السـيد بهـاء الـديني سيئة. فجئت إلى قم لزيارته وفحصه فرأيته شاخصا إلى نقطة ثابتة مـن الجـدار ولا يتكلم. فبدأت أفحصه ولكن لم أر آثارا من مرض. فقلت: إن السيد قد صدم بقضية روحيّة! ولكن أين السيد بهاء الديني من الصدمات الروحية؟! إذ كان جبلا شامخا لا يهتزّ. كان يخبر عن الغيب والمستقبل ويتحدّث مع أرواح المؤمنين في عالم البرزخ.

فحاولت أن أتمازح مع السيد ولكن لم تتغير صحّته. إلى أن قلت له سيدنا: أنت الذي يجب أن تساعدني لأعرف السبب من هذه الحالـة. ثـم بـدأت أعطيـه أدوية مهدئة بمدّة يومين، فتحسّنت صحّته. فقلت له: إذن سيدنا يجب أن تحكـي لنا قصتك. ثم مرّت خمسة عشر يوما وتحسّنت صحّته، حتى بدأ يتكلّم ويضـحك. فقلت له: قل لي سيدنا ماذا حدث بك، فقد سمعت أن قد تدهورت صـحتك مـن يوم تاسوعاء؟ (يوم التاسع من المحرم في إيران هو يـوم العبـاس). فقـال لـي: أترك الموضوع، ولكني أخطأت وأصررت علـى السـيد. فمـا أن قـال لـي قصّـته تدهورت حالته مرّة أخرى. ما الذي أثّر في قلب السيد بهاء الديني بهـذا القـدر؟

يقول: قال لي السيد، أنا قد التفتت لحظة واحدة إلى قلب أبي الفضل العبّاس عندما يئس من إيصال قربته إلى المخيّم. ثم صاح صيحة وقال: واويلي على يأس العبّاس!

مرور على ما سبق/ لقد تمّ تصميم حياة الإنسان وخلقته بحيث تفرض الدنيا علينا بعض المعاناة وكذلك قد انطوى وجودنا على بعض العناء

في هذه الجلسة والتي هي الجلسة الأخيرة من ليالي شهر رمضان، في البداية نستعرض موجز الأبحاث المطروحة في الجلسات السابقة، ثم ننتهي إلى ذكر عدد من الطرق العملية والقواعد التنفيذية لإدارة عملية جهاد النفس.

لقد ذكرنا أن فلسفة خلق الإنسان هي: 1ـ أن يرشد ويتكامل عبر الشدّة والعناء. 2ـ بغض النظر عن فلسفة خلق الإنسان والهدف منه، تركيبة وجود الإنسان تفرض عليه العناء، إذ قد انطوى وجود الإنسان على عدّة رغبات متعارضة، ولذلك فلا سبيل للإنسان لتلبية جميع رغباته. 3ـ لقد جعلت حياة الإنسان في بيئة متزاحمة مع كثير من أهواء الإنسان، ولذلك فمن المحال أن لا تواجهوا طيلة حياتكم بعض الأشخاص الذين لم يسيئوا إليكم لسوء تفاهم.

لقد تمّ تصميم حياة الإنسان وخلقته بحيث تفرض الدنيا علينا بعض المعاناة وكذلك قد انطوى وجودنا على بعض العناء. فسواء علينا أسلكنا طريق الهدى صوب الله أم لا، فلابدّ من المعاناة (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فى كَبَد) [بلد/4]

إن كان لابدّ من تحمّل العناء في الدنيا، فلابدّ من إدارة المعاناة/ لابدّ أن نـدير المعانـاة وفقـا لبرنـامج في جهاد النفس

بعد أن عرفنا أن لابدّ من المعاناة في الحياة الدنيا، ننتهي إلى هذه النتيجـة وهي أنه يجب إدارة هذا العسر والعناء، في سبيل أن: 1ـ نقلّل من هذه المعاناة بقدر المستطاع 2ـ نحظـى بأفضـل نفـع مـن مقاسـاة هـذه المشـقّة 3ــ نحقّـق الهـدف المنشـود مـن هـذه المعانـاة ولا نكـون مصـداقا لقـوله: (خَسِـرَ الـدُّنْيا وَ الْآخِرَه) [الحج/11]يعني أن لا نكون بحيث نتحمّل كل هذا العناء ثم لا نكسب أي شيء ولا يكون لنا فـي الآخـرة مـن خلاق. لـذلك لابـدّ أن نتجهّـز ببرنامـج لإدارة المعاناة وفقا لبرنامج في جهاد النفس.

إن برنامج جهاد النفس وإدارة المعاناة والصعوبات لهو الطريق الوحيد في حياة الإنسان. وهو يشمل جميع مراحل حياة الإنسان من بدايته إلى نهـايته. أمـا باقي المفاهيم والوصايا والبرامج فهي إما مقدّمته أو أجزاؤه أو نتيجته.

الإيمان يشحننا عزما على جهاد النفس. وأما هـدف جهـاد النفـس فكسـب الصلاح ورشد المـواهب وتعـادل الـروح وكـثير مـن الفوائـد الدنيويـة والأخرويـة والماديــة والمعنويــة، أمــا الهــدف الأرقــى والأســمى مــن جهــاد النفــس فهــو «الاستعداد والتأهّل للقاء الله».

إن أدرنا عملية جهاد النفس وفقا لرغبتنا وتشخيصنا، فإننا في الواقع قد اتبعنا هوى نفسنا/ لا يتحقّق جهاد النفس بلا أوامر

بعد ما عرفنا ضرورة إدارة هذه المعاناة، وعرفنا أن جهاد النفس هو في الواقع حقيقة مهمّتنا لإدارة المعاناة في الدنيا، فهنا إذا أردنا أن ندير عملية جهاد النفس وفقا لرغبتنا وتشخيصنا، فقد رجعنا في ورطة اتباع الهوى. إذ قمنا بجهاد نفسنا بأمر من نفسنا وهذا نقض للغرض، فلا ترتفع أنانية النفس وكبريائها عبر هذا الأسلوب.

ليس من شأن أيّ معاناة وأيّ جهاد للنفس أن يطهّر الإنسان ويزيل عنه لوث الكبر. فإننا إن جاهدنا أنفسنا وفقا لرغبتنا، فسوف تكبر نفسنا وتسمن. وهذا يعني إذا أردنا أن نجاهد أنفسنا فلابدّ أن يأمرنا شخص آخر وإلا فيصبح جهادنا بلا فائدة. ولذلك تفضّل علينا الله وأمرنا عن طريق أنبيائه. لماذا نقول أن الله تفضّل علينا في إصدار أوامره؟ لأن كثيرا من الأعمال الصالحة التي أمرنا الله بها، هي من الأعمال التي كان بإمكاننا أن نشخصها وندرك حسنها حتى ولو لم يأمرنا الله بها، مثل التصدق على الفقير، ولكن الله قد تفضّل علينا وأمرنا بذلك لكي لا تكبر أنانيّتنا، إذ لو كانت نفسنا هي المحور في تشخيص الصحيح عن الخطأ وكانت هي صاحبة الرأي في تربيتنا، لملئت كبرا وطغيانا.

نحن نودّ أن نتعاظم ونزداد قدرا، ولكن لا سبيل إلى تلبية هذه الرغبة إلا بـ «الاتصال بالعظيم»/ طريق الاتصال إلى الله هو التواضع والعبودية

هنا انتهينا إلى مفهوم العبودية الرائع. فيدخل هذا المفهوم في موضوع إدارة جهاد النفس. إذا أردنا أن نتصل بالله العظيم والمتكبّر فلابدّ لنا أن نتواضع أمام كبريائه. نحن نودّ أن نتعاظم ونزداد قدرا، ولكن لا سبيل إلى تلبية هذه الرغبة إلا بـ «الاتصال بالعظيم». مثل الإمام الخميني(ره) الذي بلغ العزّ والعظمة عبر التواضع والتذلل إلى الله، وإلا فإن أردنا أن نلبّي هذه الرغبة عن طريق آخر، سينتهي حالنا إلى الكبر ونصبح متكبّرين بحيث نحرم استشمام ريح الجنة؛ «مَن ماتَ و في قَلبِهِ مِثقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبرٍ لم يَجِدْ رائحَةَ الجَنَّةِ» [أمالي الشيخ الطوسي/ص 537]

تزهق أنانيتنا عبر اتباع وليّ الله/ الولاية هي المفهوم الثاني في مسار عملية جهاد النفس/ التقوى هي برنامج لجهاد النفس

بعد ما أقرنا بضرورة أمر الله في عملية إدارة جهاد النفس، هنا يتبلور مفهوم رئيس ومبارك باسم «الولاية». لأن الله لا يصدر جميع أوامره بشكل مباشر، بل من أجل أن تذلّ نفسنا واقعا، يصدر بعض الأوامر وليّ الله. فهنا تزهق أنانيّتنا باتباع ولي الله. لأن من طبيعة الإنسان أن يصعب عليه إطاعة بشر

مثله، إلّا أن الله قد سهّل علينا إطاعة وليّه إذ قد اختار أفضل خلقه وأحسنهم وأفضلهم وأجملهم وليّا له.

إذن المفهوم الأول الذي نواجهه في مسار إدارة جهاد النفس هو «العبودية»، والمفهوم الثاني هو «الولاية». ثم يأتي دور البرنامج في جهاد النفس والذي يتمثّل في أوامر الله ونواهيه والذي يسمّى بـ «التقوى».

الطرق العملية لجهاد النفس/ يرتكز جهاد النفس على ركنين: 1- ترك الشهوات 2ـ الصبر على المكاره

وأما في تكملة البحث، نقف عند الطرق العملية لجهاد النفس ونعرّف عددا من القواعد التنفيذية لإدارة هوى النفس. يرتكز جهاد النفس على ركنين، ولابدّ من مراعاتهما معا: الأول: ترك الشهوات والثاني: الصبر على المكاره.

قال الإمام الصادق(ع) لأحد أصحابه: «بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَا تُصِيبُونَ مَا تُرِيدُونَ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تَشْتَهُونَ وَ لَا تَنَالُونَ مَا تَأْمُلُونَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ» [تحف العقول/ص 305 و أمالي المفيد/208]

ترى بعض الناس مستعدّين لترك الذنب والشهوات، ولكنهم غير مستعدّين للصبر على البلاء والمصائب/ بإمكان الإنسان أن يحلّق بجناحي «ترك الهوى» و «الصبر في البلاء»

ترى بعض المتدينين مستعدّين لترك الذنب والشهوات، ولكنهم غير مستعدّين للصبر على البلاء والمصائب. ومن جانب آخر ترى بعض الناس مستعدّين للصبر على البلاء ولكنهم غير مستعدّين لترك المعاصي. في حين أنه لابدّ من حفظ هذين الركنين معاً لكي يُنتِجا. إذ بإمكان الإنسان أن يحلّق بجناحين؛ أحدهما هي أن يترك الهوى والهوس ويكفّ عن الذنوب والأخرى هي أن يصبر على البلاء إذا نزل به.

سئل الحاج دولابي(ره) أن يعطي وصفة للسير والسلوك إلى الله، فقال: لا حاجة إلى وصفة «فاذهبوا وارضوا» بما قدّر الله لكم! إذ قلّما تجد راضيا بين الناس. نفس هذه الأعمال الصالحة التي نقوم بها وما نمارسه من مراقبة في ترك الذنوب، إن دمجناها بالرضا، فسوف تعيننا على الإقلاع والتحليق بهذين الجناحين.

الصبر على المكاره جهاد للنفس في حدّ ذاته. مجرّد رضا الإنسان وعدم شكواه مع نفسه من المصائب والمكاره، يحسب جهادا للنفس. فقد يبتلى الإنسان ببعض المشاكل ولكن يحافظ على بسمته في داخله ومع ربّه، فهذا

جهاد للنفس أيضا وممّا يكسب رضا الرحمن. لأن اللـه يعلـم جيّـدا مـدى معانـاة عبده في هذه المشكلة، ولكنه يراه راضيا عنه وشاكرا له.

لقد كان الإمام الحسين(ع) في يوم عاشوراء محافظا على رضاه عن الله، ففي إحدى هذه المواقف العظيمة جدّا على قلبه، فـي تلـك اللحظـة الـذي ذبـح فيها طفله الرضيع في يده، رمى بدم عبدالله الرضيع إلى السماء وقـال: «هـونٌ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللَّه» [اللهوف/ص 117] فقد جسّد الإمام أحـد أعظـم مصاديق قوله تعالى: (ارْجِعي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّة) [الفجر/28].

يجب أن يكون جهاد النفس دأب الإنسان يوميّا وفي كلّ حال

قال أمير المؤمنين(ع): «وَ مَنْ أَرَادَ إِصْلَاحَ حَـالِهِ وَ سَـلَامَةَ نَفْسِـهِ فَلْيَجْعَـلْ دَأْبَهُ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ حَالٍ» [إرشاد القلوب/ج 1/ص 98] يجـب أن يصـبح جهاد النفس دأب الإنسان يوميا وفي كـلّ حـال، بحيـث لا يغفـل عـن هـذا الأمـر لحظة واحدة.

إن جهاد النفس عملية مستمرّة وهي باقية إلى آخر العمر

سئل الإمام الصادق(ع): «أَيْنَ طَرِيقُ الرَّاحَةِ؟ فَقَالَ ع: فِـي خِلَافِ الْهَـوَى. قِيلَ: فَمَتَى يَجِدُ عَبْدُ الرَّاحَـةَ؟ فَقَـالَ ع عِنْـدَ أَوَّلِ يَـوْمٍ يَصِـيرُ فِـي الْجَنَّـة» [تحـف العقول/ص 370] وهذا يعني أن جهاد النفس عمليـة مسـتمرّة وهـي باقيـة إلـى آخر العمر. يعني مادام الإنسان يعيش فـي هـذه الـدنيا فيجـب أن يخـالف هـواه

دائما، ولا فرق بين أن يكون في المراحل الابتدائية أو في المراتب العالية. فحتى العرفاء ورجالنا العظام كانوا يجاهدون أنفسهم إلى آخر عمرهم، طبعا كلّ بحسبه وبمقتضى درجته ومستواه.

حديث قدسي: إِذَا عَلِمْت أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى عَبْدِيَ الِاشْتِغَالُ بِي نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِي مَسْأَلَتِي وَ مُنَاجَاتِي/ إن ذكر الله ومناجاته من اللذة والحلاوة بمكان بحيث يملأ فراغ لذة الشهوات

قال النبي(ص): «قَالَ اللهُ تَبَارَك وَتَعالَى إِذَا عَلِمْت أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى عَبْدِيَ الِاشْتِغَالُ بِي نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِي مَسْأَلَتِي وَ مُنَاجَاتِي فَإِذَا كَانَ عَبْدِي كَذَلِكَ فَأَرَادَ أَنْ يَسْهُوَ حُلْتُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَنْ يَسْهُوَ أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً أُولَئِكَ الْأَبْطَالُ حَقّاً أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُهْلِكَ الْأَرْضَ عُقُوبَةً زَوَيْتُهَا عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ أُولَئِكَ الْأَبْطَال» [عدة الداعي/ص 250]

إن سعيتم قليلا وانشغلتم بعملية جهاد النفس وجعلتم ذلك همّا لكم، سوف ترون حسن تعامل الله معكم ومدى لطفه بكم. فلنسأل الله أن يجعلنا من الذين غفلوا عن شهواتهم وانشغلوا بذكره. إن ذكر الله ومناجاته من اللذة والحلاوة بمكان بحيث يملأ فراغ لذة الشهوات.

سأل أحد الأشخاص رسول الله(ص): «فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِ فَقَالَ ع مَعْرِفَةُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مُوَافَقَةِ الْحَقِّ قَالَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى رِضَاءِ

الْحَقِّ قَالَ سَخَطُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى وَصْلِ الْحَقِّ قَالَ هَجْرُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى طَاعَةِ الْحَقِّ قَالَ عِصْيَانُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذِكْرِ الْحَقِّ قَالَ نِسْيَانُ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ قَالَ التَّبَاعُدُ عَنِ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى أُنْسِ الْحَقِّ قَالَ الْوَحْشَةُ مِنَ النَّفْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ قَالَ الِاسْتِعَانَةُ بِالْحَقِّ عَلَى النَّفْس» [عوالي اللئالي/ج 1/ص 246]

دعاؤنا في آخر شهر رمضان هو أن نقول: اللهم انصرنا على أنفسنا وأعنا في مخالفة هوى نفسنا.